من وظائف البلاغة العربية في العصر الحاضر

إعداد

أحمد حمّاد حمد الصانع

المشرف

الدكتور محمد علي أبو حمدة

قُدمتْ هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الثاني /٢٠٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة مناقشة

نوقشت هذه الرسالة (من وظائف البلاغة العربية في العصر الحاضر) ، وأجيزت بتاريخ 27/ 12/ 2007.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد علي أبوحمدة (مشرفا) البلاغةو النقد القديم	.....
أ . الدكتور عبد الله عنبر (عضوا) النحو العربى واللسانيات	.....
أ .الدكتور عبد الكريم الحياري (عضوا) البلاغة العربية	.....
الدكتور محمد خليل الخلايلة (عضوا) الأدب القديم ونقده (الجامعةالهاشمية)	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم موالاة له

إلى روح والدي العزيز وأمي المجاهدة

إلى زوجتي ووالديها الأفاضل

إلى قرة عيني أبرار وأفنان وحيدر

وإلى كل محب لهذا الدين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أولاً وقبل كل شيء ، فإن العرفان بالجميل يقضي – وفاء لأهل الفضل – أن أتقدم بجزيل شكري ، وفائق تقديري ، إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمد علي أبو حمدة ، الذي تفضل عليَّ – مشكوراً – بالإشراف على هذه الرسالة ، إرشاداً وتوجيهاً ، حتى استوى على سوقه بهذه الصورة .

ثم ثانياً للأساتذة الأفاضل الدكتور عبد الله عنبر ، والدكتور عبد الكريم الحياري ، والدكتور محمد الخلايله ، على تفضلهم بقبول المناقشة ، وإبداء ملحوظاتهم التي كان أطيب الأثر في إثراء البحث .

كما وأتقدم بخالص شكري إلى أستاذي الفاضل الدكتور جمال أبو حسان ، على ما قدم لي من معونة حتى شملني برعايته ، وأفدت من علمه ، ولمست مؤازرته وعطفه وحنانه ، فكان كالبدر في الليلة الظلماء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة.....	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
المحتويات	هـ
المقدمة	١
التمهيد	٤
الفصل الأول : الدِّلالة في البلاغة العربية :	٧
المبحث الأول : الإطار الدِّلالي في النظرية البلاغية القديمة.....	٨
الدِّلالة و اللفظ	١٣
الدِّلالة والنظام البلاغي.....	١٥
الدِّلالة ووظائف اللغة	١٨
الدِّلالة والسياق	١٩
المبحث الثاني : الإطار الدِّلالي في النظرية اللسانية الحديثة	٢٢
العلاقة بين اللفظ والمعنى	٢٤
الدِّلالة والنظام اللغوي	٢٨
الدِّلالة الصوتية	٣١
الدِّلالة الصرفية	٣٢
الدِّلالة النحوية والدلالة المعجمية.....	٣٣
الدِّلالة والوظائف البلاغية	٣٥
الدِّلالة والسياق	٤٢
المبحث الثالث : المنهج التوليدي التحويلي	٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني : الوظائف الدِلالية في البلاغة العربية :..... ٥٦
الوظائف في علم المعاني ٥٧
المبحث الأول : الوظائف الدلالية للخبر..... ٥٩
وظائف الأسلوب الخبري في موضع الأسلوب الإنشائي ٦٣
وظائف الأسلوب الإنشائي في موضع الأسلوب الخبري ٦٦
المبحث الثاني : الإنشائي الطلبي ٦٨
الأمر ٦٩
النهي ٧٤
التمني ٧٥
النداء ٧٧
الاستفهام ٧٨
المبحث الثاني : التقديم والتأخير ٨٤
تقديم المبتدأ ٨٦
تقديم الخبر..... ٩٢
المبحث الثالث : الذِّكر والحذف ٩٦
وظيفة ذكر المسند إليه ٩٦
وظيفة ذكر المسند ٩٨
الحذف ١٠٠
المحذوفات ١٠٤
المبحث الرابع : التعريف والتنكير ١١١
التعريف بالعلمية ١١١
التعريف باسم الإشارة ١١٣
التعريف بالاسم الموصول ١١٥
التعريف بالإضافة ١١٣
التنكير ١١٥
المبحث الخامس : القصر ١٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث (مقاربات المحْدَثين في البلاغة العربية المعاصرة). ١٢٥
المرحلة الأولى : محاولة أمين الخولي (الوظيفة النفسية) ١٢٧
محاولة عائشة عبد الرحمن (الوظيفة الدينية) ١٣٧
المرحلة الثانية : محاولة تمَّام حسان (الوظيفة الاجتماعية)..... ١٤٧
محاولة صلاح فضل (الوظيفة الأدبية)..... ١٥٣
المرحلة الثالثة : محاولة محمد عبد المطلب(الوظائف الدّلالية).... ١٦٣
خاتمة البحث ١٩٢
الخلاصة ٢٠٢
المصادر والمراجع ٢٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى الصحابة وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعدُ...

فلما بلغت البحوث العلمية ما بلغت , في حقل الدراسة البلاغية , من تقدم وتطور أخذ عدد من المحدثين العرب على عاتقهم أن يفيدوا من نتائج تلك البحوث والدراسات في صياغة جديدة أكثر موضوعية وأكثر منهجية.

تناولت في هذا البحث , الذي عنوانه ((من وظائف البلاغة العربية في العصر الحاضر)) , الأحكام الدلالية التي احتكم إليها البلاغيون العرب المعاصرون في تحليلهم , وتناولهم الوظائف البلاغية في العربية , لتبدو في صورة أكثر وضوحا وبروزا , الأمر الذي يمكننا من وضع النظرية البلاغية العربية موضعها الذي تستحق , ومكانتها التي تستوجب .

يهدف البحث إلى عرض الوظائف البلاغية من خلال حدود البلاغيين , وما تفرع عنها من وظائف دينية ، وأدبية ، واجتماعية ، ونفسية , وإبراز الجوانب الدلالية , ويعرج على مقاربات المحدثين العرب للوظائف البلاغية , بدءا من أشمل مقاربة ممثلة في محاولة أمين الخولي , وعائشة عبد الرحمن , وصلاح فضل , وانتهاء بالمعاصرين .

ويصبو الباحث من خلال هذه الأطروحة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١- تحديد الضوابط والمعايير التي يمكن أن تسلك لدراسة الوظائف الدلالية ، كما عرضت لها البلاغة العربية .

٢- محاولة استعراض خصائص الدلالة للوظائف النفسية والدينية والاجتماعية والأدبية .

وهو موضوع لم تتناوله الدراسات السابقة ــ حسب معرفتي ــ بهذا التخطيط, وان جاء بعض أجزائها عرضا في بعض البحوث والدراسات , دون هدف قاصد إلى تناولها هذه الدراسة , ومن هذه الدراسات :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ــ أمين الخولي في دراستين , الأولى في دراسة عنوانها "فــن القــول" , وعلاقته بعلوم الفلسفة , والجمال , والنفس , فبدأ بالكلمة , ثــم بالجملــة , ثــم بالفقرة, ثم درس صور التعبير ، الرمز , والإيماء .

أما الدراسة الأخرى, فهي "مناهج تجديد فــي النحــو والبلاغــة والتفــسير والأدب" تناول الباحث فيه مفهوم البلاغة تطبيقا للدراسة السابقة.

٢ــ محمد عبد المنعم خفاجة وعبد العزيز شرف , في دراسة بعنوان "نحو بلاغة جديدة" , ذهب الباحثان إلى أن الوظائف الإعلامية هــي التــي خلقــت الوسائل أو الأجناس الإعلامية , وبهذا ترتبط البلاغــة الجديــدة بكــل جــنس إعلامي, وتحدثا عن الوظائف البلاغية ومستويات التعبيــر وقــسماها إلــى : المستوى التعبيري, والمستوى الاقناعي , والمستوى الإعلامي .

٣- صلاح فضل ، في كتابه " بلاغة الخطاب وعلم النص" ، الناظر في كتاب (بلاغة الخطاب) بإمعان ، يجد في أسلوب الكاتب منهجا ونهجــا ، فعنــد الكلام عن منهج المؤلف ؛ نرى أنه تابع فيه المنهج الوصفي الذي يقف علــى النظرية ويصفها دون أن يحكم عليها ويحاكمها ، وخالط هذا المنهج منهجا آخر هو المنهج التاريخي الذي أرى أنه أثقل الكتاب بحمل زائد من الأبواب التي كان يمكن الاستغناء عنها .

ولما كانت هذه الدراسات - على فضلها – غير مستوفية الجانب الوظيفي ، رأى الباحث استجلاء هذه الجوانب البلاغية ، محــاولاً الوقــوف علــى نقــاط الاتصال والانفصال في البلاغة العربية واللسانيات الحديثة فــي هــذا الجانــب تحديداً ، ليخرج العمل جامعاً لجوانب الوظائف النفسية والدينيــة والاجتماعيــة والأدبية .

تقع هذه الدراسة ضمن إعادة النظر في البلاغة العربيــة وفــق التحليــل اللساني الحديث ، فهي تسلط الضوء على قراءة البلاغة العربية مرة أخرى من وجهة نظر لسانية حديثة ، وذلك لتشكيل بعض ملامح نظرية بلاغيــة عربيــة حديثة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانسجاماً مع طبيعة الموضوع وأهدافه ، فإن الباحث سيركز على الجانب التطبيقي في هذا الميدان ، فتجاوز منهج السرد والنقل من ناحية التوظيف الدلالي.

v وتحقيقا للغاية المرجوة , فقد رأيت أن أجعل دراستي في ثلاثة فصول , كالآتي :

الفصل الأول: تحديد المصطلحات , ويقع في ثلاثة مباحث :

يتحدث حول المعنى مادة للدراسة اللغوية في النظرية البلاغية العربية القديمة والحديثة , وفي الأنظار اللسانية الحديثة ، ومنزلة الدلالة ضابطا من ضوابط التحليل في المناهج اللغوية الحديثة ؛ لنتمثل مكانة الوظيفة الدلالية ودورها في عملية وصف اللغة وتحليلها عند اللسانيين المحدثين.

الفصل الثاني: الدلالة في البلاغة العربية، ويقع في خمسة مباحث :

يتناول الأول الأبعاد الدلالية من خلال حدود علم المعاني ، وبيان منزلة الدلالة في النظرية البلاغية العربية وتقعيد قواعدها , وذلك من خلال الوقوف على معالجات البلاغيين وتحليلاتهم للوظائف البلاغية .

الفصل الثالث: مقاربات المُحْدَثين العرب للوظائف الدلالية ، ويقع في خمسة مباحث :

لتبيُّن موقفهم , وما خرجوا به من توصيات من شأنها أن ترقى بالبلاغة العربية, ومن ثَمَّ مناقشتهم في آرائهم وتوصياتهم ؛ لبيان مدى واقعيتها , ومقدار إسهامها في دفع المسيرة اللغوية العربية .

وقد أوجز الباحث في الخاتمة نتائج البحث ، وسجل نتائجه ، وما توصل إليه من أحكام ، التي يرى أنها الأقرب إلى طبيعة العلاقة بين اللسانيات والدلالة من جهة ، والبلاغة العربية من جهة أخرى .

والله أسأل أن يلهمنا الصواب ، وأن يجنبنا الزلل ، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد

يقتضي الحديث عن الوظائف الدلالية للبلاغة في العصر الحديث ، الحاجة إلى الكلام عن تحديد المصطلح الدِّلالي وتعريفه ، والوصول إلى التصور العام الذي تؤديه الوظيفة الدِّلالية.

ونظراً لأهمية القيمة الدِّلالية في إبراز المعنى ، فقد كان للعلوم الأخرى سببٌ في ظهور علم الدلالة ، " فقد ساعد المناطقة وعلماء النفس واللغويون على إيجاد هذا العلم وأطلقوا عليه اسم (سيمانتكس) ، أو السمانتيك (semantics) ، ولكن تجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد خلط أو تضاد بين هذه العلوم وعلم الدلالة ، فـ(السيمانتيك) : هو نقطة التقاء لأنواع من التفكير والمناهج ، مثل الفلسفة ، وعلم النفس ، وعلم اللغة "[١].

وثمة تساؤلات يطرحها علم الدلالة ، منها:المسائل اللغوية ، حول ماهية المعنى، ثمَّ ما العلاقة أو الألفة بين شكل الكلمة ومعناها؟ ، وما العلاقات بين الكلمات جميعاً تلك التي وردت في السياق؟، وكيف تقوم هذه الدلالات بوظائفها؟.

ومجال الدرس الدلالي متشعب ومتداخل المسائل التي تتصل بالمعنى ، حتى بات من الصعب تحديد مصطلح الدلالة ، أو أنْ نضع حدوداً تفصله عن المجالات الأخرى ، ولأجل ذلك سعى علماء الدِّلالة إلى تحديد محاور الدرس الدِّلالي في نطاق اللسانيات ، وتركوا ما عدا ذلك لاختصاصات علمية أخرى ، وأهم المحاور التي طرقتها الدراسات الدِّلالية الحديثة هي:

١- محور الدلالة ، ويتضمن دراسة المعنى ، والحقول الدِّلالية ، والسياق ، وأنواع المعنى وتحليله[٢] ، والبحث في معاني الكلمات،

---

[١] انظر : أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ط١ ، مكتبة دار العروبة للنشروالتوزيع - الكويت ، ١٩٨٢م ، ص١٦. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : أحمد مختار عمر ، علم الدلالة .

[٢] أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ط١ ، دار الفكر – دمشق ، ١٩٩٦م ، ص ٢٨٤ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : أحمد قدور ، مبادئ اللسانيات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومصادر هذه المعاني ، واختلافها في لغة باختلاف عصورها ، والأمم الناطقة بها ، وموت بعض معاني الكلمات ، ونشأة معانٍ جديدة [١].

٢- محور العلاقات الدلالية ، ويتضمنُ الترادف والاشتراك والأضداد والفروق ، وتدرج الدِّلالة ومساحتها ، كما يتضمن بِنى الألفاظ ، وحركية الثورة اللفظية ، والاقتراض ، ونحو ذلك من مسائل[٢]، فالعلاقات الدِّلالية التي تندرج في الترادف ، والاشتراك اللفظي ، والتضاد ، وغيرها من العلاقات الدِّلالية تربط بين معاني الألفاظ.

٣- وفي مجال العلاقات الدلالية استطاع علماء العربية في هذا الإطار البحث في معاني الكلمات والعلائق الدِّلالية بينها ، وقد أكد أحمد مختار عمر " أن التحليل إلى عناصر علم الدلالة ، في محاولة لوضع نظرية على الطريق أكثر ثباتاً "[٣] .

فالباحث يجد أن الدراسات المختلفة – منها المعجمات - تتخذ العلائق اللغوية بين المفردات منطلقاً نظرياً تعتمده في رسم إطار دلالي داخلي يحيط بمجموعة محددة من ألفاظ تجمعها علاقة دلالية مخصوصة ؛ كعلاقات الترادف، والتضاد ، والاشتراك اللفظي ، والمجاز، [٤] والكتب المؤلفة في هذا المجال كثيرة متنوعة ، يجد الدارس في مقدماتها إشارات ذكية توحي بتفطن علماء العربية لدور العلائق المختلفة في تشكيل بنية اللغة، ورسم حدودها الداخلية الذاتية ، وما يكون بينها من تداخل و تباعد حسب نوع العلاقة الدلالية الرابطة بين وظائف عناصرها .

---

[١] عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ، (د . ت) ، ص٦ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد الواحد وافي ، علم اللغة .

[٢] أحمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص ٢٨٤ .

[٣] انظر : علم الدلالة ، ص٢١ .

[٤] انظر : فايز الداية ، علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق) ، ط١ ، دار الفكر – دمشق ، ١٩٨٥م ، ص٢٤. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : فايز الدَّاية ، علم الدلالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- محور التغير الدلالي ، ويتضمن أسباب التغير الداخلية والخارجية، وسبل التغيّر وأشكاله ، ومجالاته ، إضافة إلى بحث المجاز والاستعارة مما له اتصال وثيق بالمعنى وتبدلاته [١]، ذلك أن الألفاظ ترتبط بدلالتها ضمن علاقة متبادلة فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغير في هذه المعاني .

٥- البحث في إطار الربط بين اللغة الخارجية التي تكتنفها وتلابسها : فقد شُكِّل البعد الخارجي في الدراسات اللغوية العربية في ضربين: ضرب تتجه معه وجهة النظر إلى العناصر التي تشكل مادة اللغة في خصائصها الطبيعية وسماتها العضوية ومميزاتها التركيبية ، بحيث يأتي التعريف أكثر التصاقاً بما ينبني عليه الكلام البشري في ذاته ، وضرب يتجه في النظر صوب ما يقترن به الكلام من دوافع إحداثه وملابسات استخدامه ومرامي الإنسان في تعاطي أنشطته [٢]، وتأتي وظائف اللغة متصلة بوظائف الدلالة المتنوعة ، عبر تجلياتها المختلفة لدى الفرد ولدى الجماعة.

هذه المباحث التي أُجمِلتْ ، تمثل مجال الدراسة الدِّلالية التي تهتم بالمعنى وما يتعلق به ، فهي تتناوله في صيغته الإفرادية كما تتناوله في صيغته التركيبية.

---

[١] أحمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص ٢٨٤ .

[٢] انظر : فايز الداية ، علم الدلالة ، ص٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

تحديد مصطلح الدِّلالة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

المبحث الأول

الإطار الدِّلالي في النظرية البلاغية القديمة

ورد في مقاييس اللغة : الدال واللام أصلان ، أحدهما إبانة الشيء بأمـــارة تتعلمها ، والآخر اضطراب في الشيء ، فالأول قولهم : دللـــت فلانـــاً علـــى الطريق ، والدلالة الأمارة في الشيء ، وهو بين الدَّلالة والدِّلالة [١].

وعرّف الشريف الجرجاني / ت ٨١٦هـــ / الدِّلالة بقوله :" الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول "[٢].

أما في المعجم الوسيط فقد وردت الدِّلالة " بمعنى الإرشـــاد ، وهـــو مـــا يقتضيه اللفظ عند إطلاقه "[٣].

وشملت دراسة العرب القدامى الدِّلالات ، منها دلالة الحركات على المعاني من خلال دلالة الحركات على أواخر الكلم ، ففي قوله تعالى { أنَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولُه }، (التوبة : ٣) ، بكسر كلمة رسوله ، " قال أعرابـــي : إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا بريء ، فشكاه رجل إلى عمر رضي الله عنـــه ،

---

[١] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا / ت ٣٩٥ هـــ/ ، مقاييس اللغة ، د.ط ، تح : عبد السلام هارون ، الدار الإسلامية – بيروت ، ١٩٩٠م ، ٢٦٠/٢. وسأشير إلى هذا المصدر بـــ : مقاييس اللغة.

[٢] علي بن محمد الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ط١ ، مكتبة لبنان – بيروت ، ١٩٨٣م، ص١٠٤. وسأشير إلى هذا المصدر بـــ : التعريفات .

[٣] إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية – استانبول ، ١٩٧٢م ، مادة (دلـــل). وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : المعجم الوسيط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجاء الأعرابي إلى عمر وحكى له قراءة الرجل وعندها أمر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية "[١].

والدِّلالة الوظيفية - التي نقصدها من وراء ما نبحث عنه – هي الإرشاد إلى المعاني المراد توصيلها إلى المتلقي ، فالدلالة الأولى هي التي نريدها ، أي بمعنى إبانة الشيء والدِّلالة عليه .

وتعريف الدِّلالة يمكن الوصول إليه عن طريق تعريف الجاحظ ت / ٢٥٥هـ/ للبيان الذي هو: " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام ، وأوضحت المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[٢] ، فوصول الدلالة تتم بإزالة الغموض والملابسات ، والأحوال والظروف الخارجية التي تحيط بالنص ، ليتم إدراك المعنى وفهمه.

وكان أبو يعقوب السكَّاكي ت / ٦٢٦هـ / قد حاول صياغة تعريف علم المعاني ، إلا أنَّ تعريفه لم يتسم بالوضوح ، حيث قال : " اعلم أنَّ علم المعاني هو: تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة ، وما يتصل بها من الاستحسان غيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على مايقتضي الحال ذكره"[٣]، وهذا كلام قريب لمفهوم علم الدلالة الحالي ، لكنه لم يوضح كيفية تتبع خواص التركيب للإفادة ، وكذلك ما هي الأمور المستحسنة لمنع الخطأ في الكلام ؟.

---

[١] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري /ت٥٣٨هـ/ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م ، ٢/ ٢٤٥ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : الكشاف .

[٢] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح: عبد السلام هارون ، د.ط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ت) ، ١/ ٧٦ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : البيان والتبيين .

[٣] أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكّاكي ، مفتاح العلوم ، تح: عبد الحميد الهنداوي، د.ط، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ص٢٤٧ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : مفتاح العلوم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتأخذ الدِّلالة بُعداً أعمق عند عبد القاهر الجرجاني ت / ٤٧١هـ/ ، فقد أظهر أنَّ دِلالات الألفاظ بمجموعها تشكل نسقاً ، هذا النسق هو الذي ينتج الدِّلالة التي تظهر من خلال التركيب ، حيثُ يقول: " وإذا كان هذا كذلك ، فينبغي أن يُنْظَر إلى الكل قبل دخولها في التأليف ، وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها الكَلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً ، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة ، وبناء لفظة على لفظة "[١]، فهو بهذا التصنيف يجعل الدِّلالة دِلالتين : دِلالة اللفظ على المعنى، وهي دِلالة معجمية ، ودِلالة المعنى على اللفظ والتركيب ، لا تأتي إلا بالسياق .

ويجدد عبد القاهر الجرجاني القول بدلالة اللفظ على المعنى بقوله : " الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه الغرض بدِلالة اللفظ وحده ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدِلالة اللفظ وحده ، ولكنْ يدل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثمَّ تجد لذلك المعنى دِلالة ثانية تصل بها إلى الغرض"[٢]، فالوظيفة الدِّلالية نصل إليها عن طريق المعنى الثاني ، فالتأليف من خلال علاقة الكَلِم بعضه بعضاً لا تحصل بمجرد الإبانة ، أو بمجرد فهم الألفاظ ، وإنَّما تتم بمراعاة تلك الدِّلالات .

وقد تحدَّث الجاحظ عن مناسبة الكلام لمقضتى الحال ، وكأنَّ الغرض هو أنْ يوصل معنى اللفظ إلى السامع بما يحدثه من دِلالات لفظية على المعاني ، بحيثُ لا تتعدى تلك الدِّلالة حدودها لمطابقة الكلام لمناسبة المقام ، فيقول: " ينبغي للمتكلم أنْ يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يُقْسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم المعاني على أقدار

---

[١] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح : محمود محمد شاكر ، ط٥ ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص٤٤ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : دلائل الإعجاز .

[٢] المصدر ذاته ، ص٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "[١]، فالوظائف الدِّلالية تُصنَّف باعتبار المعنى الذي يرد من خلاله في السياقات المختلفة.

ويربط ابن جنى ت / ٣٩٢هـ/ ، بين الأصوات والانفعالات ، وبين أصل اللغات ، كدويّ الريح ، وخرير الماء ، وترجيح الرأي القائل بتأثير الاستخراج النطقي للمدلول الصوتي ، وهذا أول مباحث علم دِلالة الألفاظ في صيغها، حيثُ يقول:" ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول ، إجماع الناس على أنْ لا يقولوا : القرآن قول الله ، وذلك أنَّ هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه ، ولا يسوَّغ تبديله شيء ، فعبر لذلك عنه بالكلام الذي لا يكون إلا أصواتاً تامة مفيدة ، وعدل به عن القول الذي يكون أصواتا غير مفيدة ، وآراء معتقدة "[٢] ، فعقد لذلك مقارنة وثيقة بين القول والكلام ، وأنَّ دِلالة القول مختلفة عن دِلالة الكلام.

أمَّا أحمد بن فارس ت / ٣٩٥ هـ/ ، فهو يُعنى بالكشف عن الروابط بين الألفاظ والمعاني ، ويشير الى تقلبات الجذور الدِّلالية للمادة ، ويبين المعنى العام المشترك من خلال جملة من معاني الألفاظ ، فينطلق من ثلاثة محاور ، يشير فيها إلى أصالة دِلالة المعاني ، وهي أنَّ :" المعنى والتفسير والتأويل وإنْ اختلفت ، فإنَّ المقاصد متقاربة "[٣]، فالعلاقة التي هي ارتباط جوهر الدلالة بالشكل الخارجي يجب أنْ تحصل دون تردد ، لاقتران الدال بالمدلول ، أو اللفظ بالمعنى ، أو الشكل بالمادة.

ويتحدث ابن فارس عن دِلالة تسمية الشيء الواحد بالأسماء المختلفة ، كالسيف والمهند والحسام ، ويقررمذهبه ، حيثُ يقول: " إنَّ كل صفة من هذه الصفات معناها غير معنى الأخرى ، وكذلك الحال بالنسبة للأفعال فيما يتوهم

---

[١] البيان والتبيين ، ١/١٣٨-١٣٩ .

[٢] أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، د.ط ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ١٩٩٠م ، ١/٤٦-٤٧. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : الخصائص .

[٣] أبو الحسين أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ، د.ط ، المكتبة السلفية – القاهرة ، ١٩١٠م ، ص١٩٣ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : الصاحبي في فقه اللغة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من دِلالتها على مدلول واحد ، وهو مختلف عنده بنحو : مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس"[١].

ويربط عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم بدِلالة الألفاظ فيما يفيد من معنى عند التركيب ، فحسن التأليف إذا راقك ، سببه دقة التركيب ، والدليل على ذلك أنَّك لو نثرت هذا المنظوم وباعدته ، فلا تحصل على الدلالة التركيبية نفسها، وفي هذا الصدد يقول عبد القاهر الجرجاني متسائلا ومجيباً: " كيف ينبغي أنْ يحكم تفاضل الأقوال إذا أراد أن يقسم بينها حظوظها من الاستحسان ، ويعدل القسمه بصائب القسطاس والميزان ؟. ومن البيّن الجلي أن التباين في هذه الفضيلة , والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة ، ليس مجرد اللفظ ، كيف والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصاً من التآلف ... وفي ثبوت هذا الأصل ما تعلم به أن المعنى الذي كانت له هذه الكلم ... أعنى الاختصاص في التركيب، وهذا الحكم يقع في الألفاظ قريباً على المعاني المترتبة في النفس المنتظمة فيها على قضيه العقل، ولن يتصور في الألفاظ وجوب تقديم وتأخير ، وتخصيص في ترتيب وتنزيل ، وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركبة ، وأقسام الكلام المدونة "[٢] ، فالتركيب الذي يؤدي قِيَماً دِلالية ، يُفترض أنْ يكون ذات وحدة بنيوية ووظائفية ، وهو ما يكرّس مبدأ التركيب السياقي ودوره الأدائي في إنتاج الوظائف البلاغية من تقديم وتأخير.

وإذا انتقلنا إلى حازم القرطاجني ت/ ٦٨٤هـ/ ، فنراه يقارن بين دِلالة اللفظ ودِلالة المعنى على نحو متكامل ، في تصور جُمَليّ متتابع ، حيثُ : " إنَّ المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شيء له وجود وخارج ، وأنَّه إذا أدرك حصلتْ له صورة في الذهن

---

[١] الصاحبي في فقه اللغة ، ص٢٠١.

[٢] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ط١ ، شرح وتعليق وتحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف ، دار الجيل – بيروت ، ١٩٩١م ، ص ٢٢-٢٣. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : أسرار البلاغة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطابق لما أدرك فيه ، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين وأذهانهم "[١].

- الدلالة و اللفظ :

النتاجات الدلالية هي المرحلة الأخيرة بعد تحديد المعنى المعجمي ، والمعنى الصرفي ، والمعنىالنحوي ، فالبلاغيون يرتِّبون إنتاج الوظائف الدلالية مبتدئين بالمعجم ، ثمَّ الصرف ، ثمَّ النحو، ثمَّ البلاغة ، فعلى كل صاحب علم ألاّ يأخذ البلاغة إلا بعد دراسة ما قبله من العلوم المعجمية ، والصرفية ، والنحوية ، وقد أشار بعضهم إلى تلك المراحل بقوله:" فالرتبة الدُّنيا تتعلق بالواضع ، والثانية بالتصريفي ، والثالثة بالنحوي ، والرابعة بصاحب علم المعاني ، والخامسة بصاحب علم البيان والبديع"[٢].

جاء في صحيفة بشر بن المعتمر ت/٢٢٦هـ/ ، التي أوردها الجاحظ في تقديم المعنى على اللفظ قوله :" ومن أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً ؛ فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف "[٣] ، وهو الرأي القائم على تقديم المعنى في المرحلة الأولى ، ومن ثَمَّ اللفظة في المرحلة الثانية ، وهذا التعريف يقوم على مطابقة دلالة الكلام للواقع الخارجي ، ويؤكد على صحة التقسيم ليس عند البلاغيين فقط ، ولكن عند الفلاسفة والفقهاء .

ويعود الجاحظ ليتحدث عن العناصر التي تشترك مع الدِّلالة لبيان المعنى وإيضاحه ، " فجميع أصناف الدِّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء ، أولها اللفظ ، ثمَّ الإشارة ، ثم العقد ، ثمَّ الخط ، ثمَّ الحال التي تسمى

---

[١] أبو الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ط١ ، دار الكتب الشرقية - تونس ، ١٩٦٦م ، ص١٨. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : منهاج البلغاء .

[٢] محمد بن علي الشريف الجرجاني ، الإشارات والتنبيهات ، تح : عبد القادر حسن الطاهر ، د.ط ، دار نهضة- مصر ، ١٩٨٢م ، ص٣-٤. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : الإشارات والتنبيهات .

[٣] البيان والتبيين ، ١/ ١٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نِصبة "[١] ، فهذه الأصناف تدل على الأشياء التي تدخل طرفاً بين المتكلم والسامع ، فالسامع يفهم إشارة طرف العين أو الحاجب ، فاللفظ والإشارة تنوب في الدّلالة على المعنى ، لتحقيق محصول الكلام ، وأمَّا العَقْد فهو يشكِّل الأعداد بالأنامل ، وهي صورة الحساب ، والخط صورة اللفظ والحساب ، والنِّصبة هي الحال التي تدل على المرء بغير عبارة ولا إشارة .

وقد كان أبو يعقوب السكَّاكي يروم إلى هذه الغاية في تأليف كتابة المفتاح ، فلم يذكر العلوم الأخرى النحوية والصرفية ، بل قصد البلاغة ، فيقول في المقدمة: " فإذا خضتَ فيه (أي علم البلاغة) لهِمَّة تبعثك على الاحتراز عن الخطأ في العربية ، وسلوك جادة الصواب فيها "[٢] .

وتناول عبد القاهر الجرجاني موضوع اللفظ والمعنى بمصطلح (النظم) ، فقيمة اللفظ عنده ليست ذاتية ، وإنَّما تستمد قيمتها من أخواتها ، حيث يقول: " فهل تجد أحداً يقول : هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وفضل مآنستها لأخواتها "[٣].

أما تلازم اللفظ والمعنى عند الكتابة والتأليف ، فيقول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز :"... وإنك ترتب المعاني أولاً في نفسك ، ثمَّ تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك "[٤].

ويستكمل هذا الرأي في مكان آخر في(باب نظم الكلام بحسب المعاني) حيثُ يقول: " إنَّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني ، فإنَّها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب لمعنى أنْ يكون أولاً في النفس وجب اللفظ الدال عليه أنْ يكون مثله أولاً في النطق ، فإمّا أنْ تتصور في الألفاظ أنْ تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب ، أو أنْ يكون الفكر في النظم الذي يتواضعه البلغاء فكراً في نظم الألفاظ ، أو أنْ تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه

---

[١] البيان والتبيين ، ١/ ٧٦ .

[٢] مفتاح العلوم ، ص٣٨.

[٣] دلائل الإعجاز ، ص٩٢ .

[٤] دلائل الإعجاز، ص٣٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنْ تجيء بالألفاظ على نسقها ، فباطل من الظنِّ ، ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه"[١]، فلم يتحيز عبد القاهر للفظ عن المعنى ، بل ساوى بينهما في قضية المفاضلة ؛ وذلك لأنَّ دِلالة الألفاظ ودِلالة المعاني واحدة ، فلا يسبق أحدهما الآخر ، بل يأتيان معاً في تشكيل الكلمة .

- الدلالة والنظام البلاغي :

تتمحور العلاقة في هذه المسألة حول تحديد أركان الدلالة ، ما ورد لدى الفخْر الرازي ت / ٦٠٦هـ/ ؛ إذ يقول: " للألفاظ دلالات على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان ؛ ولهذا السبب يقال : الألفاظ تدل على المعاني ، لأن المعاني هي التي عناها العاني ، وهي أمور ذهنية "[٢] .

وتظهر هذه المسألة في ثنائية الحقيقة والمجاز عند السكَّاكي ، الذي يقول : " ولك أن تقول : الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة ، كاستعمال (الأسد) في الهيكل المخصوص ، أو (القُرء) في أن لا يتجاوز الطهر والحيض غير مجموع بينهما ، فهذا ما يدل بنفسه ما دام منتسباً إلى الوضعين... ، ولك أنْ تقول : المجاز هو الكلمة المستعملة في معناها بالتحقيق استعمالاً في ذلك بالنسبة إلى نوع حقيقتها ، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع " [٣] ، فالمجاز تحول استعمال اللفظ من معنى إلى معنى آخر ، وذلك بتحول اللفظ من دلالة إلى دلالة أخرى مع مراعاة القرينة التي تمنع الانصراف إلى المعنى الأصلي ، والحقيقة استعمال المعنى الأصلي دون غيره .

---

[١] دلائل الإعجاز ، ص٤٣.

[٢] فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، تح : خليل محي الدين الميس ، د.ط ، دار الفكر- عمان ، ١٩٩٥م ، ١/ ٣١. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : التفسير الكبير .

[٣] مفتاح العلوم ، ص٤٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتحولات الدلالية في منظور البلاغة العربية تأتي من خلال " وصف اللفظة بأنها حقيقية أو مجازٌ ، حكم فيها من حيث أنَّ لها دِلالة على الجملة ، لا من حيث هي عربية ، أو فارسية ، أو سابقة في الوضع ، أو محدثة مولّدة ؛ فمن حق الحد أنْ يكون بحيث يجري في جميع الألفاظ الدَّالة ، ونظير هذا نظير أنْ تضع حداً للاسم والصفة في أنَّك تضعه بحيث لو اعتبرتْ به لغة غير لغة العرب ، وجدته يجري فيها جريانه في العربية "[١] .

فاللغات جميعها تتفق على أن تشمل الألفاظ دون النظر إلى زمن الوضع ، سواءُ أكانت حقيقة أم مجازٌ ، لذلك حدّ عبد القاهر الجرجاني الحقيقة والمجاز ، فالحقيقة عنده: " كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع – وإن شئت قلت : في مواضعة – وقوعاً فيه إلى غيره فهي حقيقة " [٢] ، والمجاز كذلك :" كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها ، لملاحظة بين الأول والثاني "[٣].

وأدرك اللغويون القدماء قيمة الدلالات الوظيفية ، ولنأخذ مثالاً المجاز ، فقد أشار ابن جني إلى المجاز بقوله: " وإنما يقع المجاز ويُعدل إليه لمعان ثلاثة ، وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه "[٤] ، فيخرج المعنى من الأصل إلى معنى آخر تنتجه الوظيفة الدلالية التي يؤديها المجاز ، أو السياق الذي يرد فيه .

ومفهوم الدلالة عند الغزالي ينبغي أن ينظر إليه من زاوية الثقافة الأصولية، ذلك أنَّ الأحكام التي استنبطها من القرآن الكريم ، بحسْب دِلالتها على معانيها تقسم إلى : مترادفة ، ومتباينة ، ومتواطئة ، ومشتركة ، " أما المترادفة فهي الألفاظ المختلفة التي تلتقي على معنى واحد ، كالسهم والنُّشاب ، وكالخمر والعُقار ، والمقصود هنا ، ما يسمى بالترادف ، وأمَّا المتباينة فهي اختلاف الألفاظ لاختلاف معانيها، كالمفتاح ، والسماء ، والأسد ... إلخ ، وفيما يتعلق

---

[١] أسرار البلاغة ، ص٢٩٦.

[٢] المصدر ذاته ، ص٣١٦.

[٣] المصدر ذاته ، ص٣١٧.

[٤] الخصائص ، ٢ /٤٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالمتواطئة فهي الألفاظ التي تطبق على آحاد مسمياتها الكثيرة بطريق التواطؤ ؛ كلفظ (الرجل) الذي ينطبق على زيد ، وعمرو ، وأمَّا المشتركة فالألفاظ التي تدل على معانٍ مختلفة ، كالعين التي تعني في جملة ما تعنيه : العين الباصرة ، والميزان ، والمقصود هنا ، المشترك اللفظي "[١]، وعلى أساس هذا التنظير التعليمي ، يحدد الغزالي مراتب الدوال بحسب أدائها للدِّلالات ، وتعطي ذلك المفهوم العام حول الدِّلالة وفروعها ومتعلقاتها ، ويمكن أنْ يشير في هذا المجال إلى تقسيمه للألفاظ باعتبار الكلي والجزئي ، وعموم المعنى وخصوصه ، كما أقام تقسيمات للألفاظ باعتبار نسبتها إلى المعاني وحددها بأربعة أصناف .

- الدلالة ووظائف اللغة :

نظر البلاغيون إلى اللغة على أنَّها أداة لإنجاز الوظائف التواصلية الاجتماعية ، التي عن طريقها ننقل الأفكار والرغبات إلى الآخرين ، ولكنَّها في الدرس الحديث تختلف فيما إذا كانت هذه الوظيفة أساسية أم لا .

ومن هنا أدرك العلماء القدامى ارتباط دلالة الألفاظ بمستويات الوظائف ، لتمكنَها من أداء الدلالة التي تريد ، فالمستويات الثلاثة التي تحدث عنها العلماء هي الوظيفة التعبيرية ، والوظيفة الوصفية ، والوظيفة الاجتماعية .

فقد جاء في رسائل إخوان الصفا أن " الألفاظ إنما هي سمات دالات على المعاني التي في أفكار النفوس ، وُضعت بين الناس ؛ ليعبر كل إنسان عما في نفسه من المعاني لغيره من الناس ، عند الخطاب والسؤال "[٢] ، وهي الوظيفة

---

[١] انظر: أبو حامد محمد الغزالي الطوسي الغزالي / ت ٥٠٥هـ /، المستصفى من علم الأصول ، تح : محمد سليمان الأشقر ، ط١ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٩٩٧م ، ص٣٨. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : المستصفى .

[٢] رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، تح: عارف تامر، ط١ ، منشورات عويدات – بيروت ، ١٩٩٥م ، ص ١ / ٣٦٤. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : رسائل إخوان الصفاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعبيرية في نقل الأفكار باعتبار اللغة ظاهرة إنسانية للبيئة الخارجية المحيطة به.

وجاء في وصف الخبر الذي هو " كل قول جاز تصديق قائله فيه أو تكذيبه، لغيبته عن العيان ، أو لمغيبه عن الزمان ، ووصفه أنه مسموع من قائله، مثل مخبرٍ أن مدينة كذا عامرة بأهلها " [١]، فمستخدم اللغة هنا يصف الأشياء كما هي، سواء أكان قابلاً للتصديق أم التكذيب ، دون أنْ يعبِّر عن أفكاره ، وهي الوظيفة التي تسمى الوظيفة الوصفية ، وهي وصف الواقع كما هو دون تغيير أو تحريف.

أمَّا الوظيفة الاجتماعية ، فتتجلى في قضاء حاجات الأنسان الضرورية ، كما جاء في الهوامل والشوامل عندما يتحدث عن قضاء الحاجات " وهذه المعاونات والضرورات المقتسمة بين الناس ، التي جاء بها بكاؤهم ، وتتم حياتهم ، وتحسن معيشتهم ، هي أشخاص وأعيان من أمور مختلفة ، وأحوال غير متفقة ، وهي كثيرة غير متناهية ، وربما كانت حاضرة فضمت الإشارة إليها ، وربما كانت غائبة فلم تكفِ الإشارة فيها ، فلم يكن بدّ من أن يفزع إلى حركات بأصوات دالة على هذه المعاني بالاصطلاح ، وليستدعيها بعض الناس من بعض ؛ فيتم لهم البقاء الإنساني ، وتكمل فيهم الحياة البشرية "[٢] ، فالوظيفة الاجتماعية يتم من خلالها المحافظة على الجنس البشري من الفناء .

فلكل مستوى دلالي من مستويات الأداء ، سواء أكانت الوظيفة التعبيرية ، أم الوظيفة الوصفية ، أم الوظيفة الاجتماعية ، فإنَّ لها أداء وظيفياً ، يتم من خلال تجسيده في أصوات أو كلمات ، وهي تجتمع في وظيفة دلالية واحدة تقوم على نظام من العلاقات المترابطة بين تلك الوظائف.

---

[١] رسائل إخوان الصفاء ، ٣/٩٠.

[٢] أبو علي أحمد بن يعقوب مسكويه/ ت ٤٢١هـ/ ، الهوامل والشوامل ، تح : سيد كردي ، ط١، دار الكتب العلمية– بيروت ، ٢٠٠١م ، ص٣٣. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : الهوامل والشوامل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الدِّلالة والسياق :

لقد كان للعلماء العرب المحْدثين جهود واضحة في العناية بدلالة السياق ، إذ أشاروا إلى أهمية السياق ، ووظفوه في دراسة النصوص وتحليلها ، وهذا يعني أنَّ السياق من نِتاجات البحث الدِّلالي الحديث ، لذا فإنَّنا ستتحدث عن الإنجازات في الدِّلالة العربية القديمة .

ولعل أول من أشار إلى السياق ، وبيّن أهميته في الكلام بشر بن معتمر، إذ نقل عنه الجاحظ قوله:" المعنى ليس يشرُف بأنْ يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنِّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام مقال"[١]، ويذهب ابن قتيبة / ت٢٧٦هـ / في هذا الاتجاه إلى أهمية مراعاة سياق الحال، فيرى أنَّه على الكاتب أنْ يجعلَ الألفاظ " على قدر الكاتب والمكتوب إليه ، وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ، ولا رفيع الناس خسيس الكلام "[٢] ، وقد نالت هذه الإشارة إلى العلاقة بين المقام والمقال اهتمام البلاغيين ، فهي تسير في اتجاهين على نحو مستمر ، فكما أن المقال دليل على المقام ، فكذلك نجد المعرفة بالمقام جوهرية في فهم المقال.

ويذكر ابن جني إدراك الدِّلالة المقصودة بمشاهدة المتكلمين ، ويرى أنَّ مُشاهد المعاني ليس كالذي غاب عنها أياماً ، " فالحمَّالون ، والحماميون ، والساسة ، والوقادون ، ومن يليهم ويعتد منهم ، يستوضحون في مشاهدة الأحوال ما لا يحصله أبو عمرو من شعر الفرزدق ، إذ أخبر به عنه ، ولم يحضره ينشده "[٣].

---

[١] البيان والتبيين ، ١٣٦/١ .

[٢] أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، أدب الكاتب ، شرح : علي فاعور ، د.ط ، دار الكتب العلمية– بيروت ، (د.ت) ، ص١٨ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : أدب الكاتب .

[٣] الخصائص ، ١/ ٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسياق الحال متطور من خلال الألفاظ والتعبيرات ، بحيث يختلف عن معناها الأصيل ، ويضرب ابن جني على ذلك قول العرب (رفع عقيرته): " وتقول العرب هذا القول إذا رفع الإنسان صوته ، يقول ابن جني : قال له أبو بكر : فلو ذهبنا نشتق لقولهم (ع ق ر) من معنى الصوت ، لبعد الأمر الآخر جداً ، وإنِّما هو أنَّ رجلاً قَطع إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ، ثمَّ نادى وصرخ بأعلى صوته ، فقال الناس : رفع عقيرته أي رجله المعقورة "[١]، فمعرفة المناسبة التي قيل فيها الكلام ، يدلل على معنى الألفاظ والتعبيرات من خلال سياق الحال ، فلذلك تهتم وظيفة الدلالة بالمقدار الذي تؤديه وظيفة الكلام في الجملة .

ويأتي معنى اللفظ في السياق الذي تنتظم فيه ، ولا معنى آخر سوى ذلك، يقول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز : " فقد اتضح إذن في مجال لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ "[٢]، فالجملة الواحدة من الألفاظ قد يكون له معانٍ مختلفة بحسب قائلها ، أو بحسب المخاطب بها ، بحيث يخرج الكلام تماما عن ظاهر معناه.

والبلاغيون عند دراستهم للأساليب اللغوية ، أعتنَوا بالسياق في جَلاء الوظيفة الدلالية ، ويتضح ذلك في الموقف الكلامي ففي قوله تعالى :{ واسأل القرية } (يوسف : ٨٢) ، " معنى العبارة في السياق القرآني يقتضي محذوفاً ، والتقدير : (واسأل أهل القرية ...) ، لكنْ هذه العبارة في مقام آخر لا تحتمل الحذف ، وذلك إذا كان في كلام رجل مرَّ بقرية قد خربت وباد أهلها ، فأراد أنْ يقول لصاحبه واعظاً ومذكراً ، أو لنفسه متعظاً ومعتبراً ، واسأل القرية عن

---

[١] الخصائص ، ١/ ٢٤٨ .

[٢] دلائل الإعجاز ، ص٤٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهلها "[١] ، فعناية البلاغيين واضحة في العناية بالسياق الحالي وبيان أثره ، وتفصيل عناصره ، وتحديد قيمتة في إبراز الوظيفة الدلالية .

والمقام هو مجموع الأغراض التي يساق من أجلها الكلام من مدح واعتذار وغزل ، ومن العلاقة بين المتكلم والمخاطب ، وقد شرح ابن رشيق هذا المفهوم، وهو المقام حيث قال :" وقد قيل لكل مقام مقال ، وشعر الشاعر لنفسه، وفي مراده ، وأمور ذاته من مزح ، وغزل ومكاتبة ومجون وخمرية ، وما أشبه ذلك ، غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين ، يقبل منه في تلك الطرائق عفو كلامه وما لم يتكلف له بالاً ، ولا ألقى به ، ولا يقبل منه في هذه إلا ما كان محككاً ، معاوداً فيه النظر ، لا غث فيه ولا ساقط ولا قلق ؛ وشعُره للأمير والقائد ، غير شعره للوزير والكاتب ، ومخاطبته للفقهاء بخلاف ما تقدم من الأنواع "[٢]، فالمقام وثيق الصلة بجَلاء المعنى ، فالوقوف على مجموع الأغراض يساعد على إبراز الدِّلالة التي سيقتْ من أجلها.

ويوضح ابن رشيق العلاقة بين المقام والموضوع ، والمخاطب بالشعر " فأول ما يحتاج إليه الشاعر- بعد الحد الذي هو الغاية وفيه وحده الكفاية - حسن التأني والسياسة ، وعلم مقاصد القول ؛ فهو يسلك طريقا ، فيصيب به البلاغة ، ويطابق مقتضى الحال"[٣].

ومن الأمثلة التي جاء بها ابن رشيق على ذلك المديح ، حيث قال: " وسبيل الشاعر إذا مدح ملكِاً أنْ يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح ، وأنْ يجعل معانيه جزله وألفاظه نقية ، غير مبتذلة ولا سوقية ، ويتجنب مع ذلك التقصي والتجاوز والتطويل ، فإنَّ للملك سآمة وضجراً ، ربما عاب من أجلها مالا يعاب ، وحرم من لا يريد حرمانه"[٤] ، فعند النظر إلى السياق فإن الأمر

---

[١] أسرار البلاغة ، ص٣٧٩ .

[٢] أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تح : محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠١م ، ٢٠٨/١ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : العمدة.

[٣] المصدر ذاته ، ٢٠٨/١.

[٤] المصدر ذاته ، ٨٤/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُفضي بنا إلى الوظائف الدلالية ، لذا يجب الوقوف على المعاني والمـــضامين والدلالات من خلال بعض السياقات في أداء الوظائف الدلالية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني
الإطار الدلالي في النظرية اللسانية الحديثة

تختلف دراسة الدلالة في الإطار العربي القديم عنها في إطار العربي الحديث، إذ إنَّ أي نظرية أو فكر مخصوص ، تتحدد معالمه ، ومنهجه وطرائق وصفه ، وتحليله بمجموعة الأسئلة التي ينطلق منها ويبحث عن إجابات لها.

فالحديث عن المفهوم الدِّلالي ، يدعو إلى تحديد المفهوم اللغوي الأول لهذا المفهوم ، " فالمصطلح يتشكل مع نمو الاهتمام في أبواب العلم وبالاحتكاك الثقافي"[١] ، والوضع اللغوي الذي تصالح عليه أهل اللغة قديماً ، يُلقي بظلاله الدِّلالية على المعنى في الدرس اللساني الحديث .

فحدث تطور كبير في مفاهيم المصطلحات القديمة في العصر الحديث ، ووسعت مجال البحث فيها ، ومصطلح (الدلالة) هو من ضمن تلك المصطلحات التي تبلورت مفاهيمها في العصر الحديث ، وهذه الصورة التي برز فيها علم الدَّلالة كأساس لعدة معارف حديثة ، هي نِتاج للدراسة اللغوية المتخصصة ، ذلك " أنَّ معالجة قضايا الدِّلالة بمفهوم العلم ، وبمناهج بحثه الخاصة ، وعلى أيدي لغويين متخصصين ، إنِّما تعد ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة"[٢].

فتعريف علم الدلالة عند أحمد مختار عمر، هو:" العلم الذي يدرس المعنى"[٣]، وتبعاً للتعريف فإن دراسة الدلالة تتصل بكل ذات صلة بالمعنى ، سواءٌ أكانت ألفاظاً أم عباراتٍ .

ويرى محمد علي الخولي أن علم الدلالة : " علم عام يتناول اللغات جميعاً، وليس لغة بعينها ، وفي كل لغة يوجد معنىً للجملة وكذا المتكلم والمخاطب ،

---

[١] فايز الداية ، علم الدلالة ، ص٧٧.

[٢] أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، ص٢٢.

[٣] المرجع ذاته ، ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك فإنَّ معنى أي كلمة يرتبط بعلاقاتها مع الكلمات ذات العلاقة في اللغة الواحدة "[١]، فالدرس الدلالي يتطلب دراسة معنى الكلمة مع معاني الكلمات الأخرى ، لا انفصال لمعنى عن آخر ، والوظيفة الدِّلالية تتقصى العلاقات الدِّلالية اللغوية ، وما يترتب عليها من سلامة الأداء للوظيفة الدِّلالية المقصودة ، من خلال وضوح الرسالة بين المتكلم والسامع .

وفي مقام آخر يستعمل محمد علي الخولي نفسه مصطلحي الدال والمدلول في حديثه عن العلاقة الطبيعية بين الرمز الأدبي ومعناه ، إذ يقول: "وهناك طريقة أخرى للكشف عن هذه الرموز الطبيعية في الأدب ، الطريقة هي عزل الدال عن المدلول أو الشكل عن المضمون ، ثمَّ النظر إلى تأثير الدال في النفس بعد ذلك "[٢].

ويمكن استعمال مصطلح (الدلالة) مقابلاً للمصطلح الأجنبي (السيمانتيك) : " لأنه يعين على اشتقاقات فرعية مرنة ، نجدها في مادة الدلالة: - الدال- المدلول - المدلولا – الدلالات - الدلالي"[٣]، ولأنَّه لفظ عام يرتبط بالرموز اللغوية وغير اللغوية ، أمَّا مصطلح (المعنى) ، فلا يعتني إلا باللفظ اللغوي ، فضلاً على ذلك أنَّه يعد أحد فروع الدرس البلاغي ، وهو علم المعاني.

ولكن ما يميز البحث الدِّلالي ، هو عمق الدراسة في معنى الكلمات والتراكيب متخذاً في ذلك منهجاً خاصاً يتوخى المعيارية في اللغة والكلام، "والعلوم إذا اختلفت في المنهج تباينت في الهُوية ، وقِوام العلوم ليست فحسب

---

[١] علم الدلالة (علم المعنى) ، ط١ ، دار الفلاح – عمان ، ٢٠٠١م ، ص٢٩. وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : محمد الخولي ، علم الدلالة .

[٢] علم الدلالة ، ص٣٢١.

[٣] فايز الداية ، علم الدلالة ، ص٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مواضيع بحثها ، وإنِّما يستقيم العلم بموضوع ومنهج" [١]، وتبعاً لذلك اتسع نطاق البحث الدِّلالي ، وأحرز علماء العرب سبقاً في هذا المجال حيث برز لغويون كثيرون ، وضعوا نظريات مختلفة ، وأرسوا بذلك قواعد أضحت مدارس دِلالية.

أمَّا اللغويون – ومنهم تمَّام حسان - فقد انصب اهتمامهم على دراسة المعنى من حيث دِلالة المفردات ، والتراكيب ، والعلاقة بين الرمز اللغوي ومدلولاته ، والمعاني الظاهرة الضمنية والاجتماعية ، وكان لهم محاولات جادة لوضع نظرية لعلم المعنى ، التي تشكل جزءا محورياً من نظرية علم اللغة الحديث [٢].

وقد شغلت مسألة الدلالة كثيراً من اللغويين والبلاغيين والفلاسفة ، فهو - أي مفهوم الدلالة - مصطلح متعدد المعاني يصعب حصره في تعريف يشمل كل جوانبه ، وما ذاك إلا لأهميتها وصلتها بالدراسات البلاغية .

- العلاقة بين اللفظ والمعنى :

غدت اللسانيات الحديثة الإطار العام الذي اتخذت فيه اللغة مادة للدراسة والبحث ، ودار الجدل الطويل حول اللفظ والمعنى ، فمن جملة الآراء التي وردت قولهم: " بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان " [٣]، فالمباحث اللسانية الحديثة أولت الدراسات الدِّلالية اهتماماً كبيراً ، وخاصة العلاقة بين اللفظ وارتباطه بالمعنى .

---

[١] عبد السلام المسدِّي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، ط١، المطبعة العربية - تونس ، ١٩٨٦م ، ص٤١. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد السلام المسدِّي ، اللسانيات وأسسها المعرفية .

[٢] انظر : تمَّام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص٢٤-٢٩ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : تمَّام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها .

[٣] أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومعظم الدراسات البلاغية الحديثة تحدثت عن اللفظ والمعنى ، وتعتبرها المحور الأساسي فيها ، فنتيجة للملابسات والاستعمال الخارجي ، تكمن قضية الخلاف حول طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وهي نفسها التي تربط بين الكلمات في نظام المادة اللغوية ، " فالعلاقة بين عناصر المثلث الدلالي تتجه من الدال إلى المدلول ، وهي (الصورة الذهنية) ، ثمَّ إلى الشيء الخارجي المشار إليها ؛ أي أن العلاقة بين الدال وما يدل عليه في العالم الخارجي ليست مباشرة وإنما تُطرد من خلال الصورة الذهنية المختزنة في الذهن" [١]، لأن العلاقة القائمة بين الدال والمدلول علاقة محورية ، تجعل من الدال علامة يرمز إليها بالأشكال ، والمدلول يؤكد عليها بالمعاني.

ومن المتعارف عليه أنَّ علم الدِّلالة كان عاملاً حاسماً في تطور الدراسات البلاغية الحديثة ، ولكنَّه يتميز بكثرة تعريفاته ، وذلك لكثرة ما جرى فيه من تعريفات باعتبارات مختلفة ، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة عناصر أساسية [٢]:

١- اللفظ أو الصورة الصوتية التي يطلقها المتكلم.

٢- الصورة الذهنية المثارة في ذهن السامع ، والمتكونة من التجارب المجردة والحقائق الخارجية التي صادفها الإنسان في حياته .

٣- الشيء المعني أو الصورة الخارجية المقصودة ، ويتم الوصول إليها عن طريق اللفظ الذي يثير في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ، لا الشيء ذاته .

وهذا الرسم يوضح ما قصدناه وهو يشير إلى أنَّ الدِّلالة تنتج من علاقة بين الدال والمدلول ، والشيء الخارجي المشار إليه:

الدال ـــــ المدلول (الصورة الذهنية) ـــــ الشيء الخارجي المشار إليه.

---

[١] أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص٥٥.

[٢] محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، ط٣ ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٦٨م ، ص١٦٦-١٦٧. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد المبارك ، فقه اللغة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هنا ، أخذت البحوث عند المحدثين بالتطور ، وجعلوا لمفهوم الدِّلالة قسمين هما: الدال والمدلول ، ونتيجة لاقترانهما ، تكون صلة اللغة بالفكر مباشرة لإنتاج عناصر الإشارات الدلالية المتولدة .

وباتساع مجال علم الدلالة أضحت المسألة تتعلق بالدال والمدلول ، سواء أكان الدال لفظاً أم غير لفظ ، يقول في ذلك عبد السلام المسدَّي: " اللغة هي مجموعة من العلاقات الثنائية القائمة بين جملة العلامات المكونة لرصيد اللغة ذاتها، وعندئذ نستسيغ أيضاً ما دأب عليه اللسانيون من تعريف العلامة بأنَّها لا تشكل قيمته ولا دِلالته من ذاته ، وإنِّما يستمدهما من طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين سائر العلامات الأخرى "[١]، فاللسانيات تركز اهتمامها على دراسة (الدال) من جوانبه المختلفة ، فعلم الدلالة يعتني بالجانب المفهومي (للدال) ؛ فيتناول ضمن مباحثه العلاقة التي يقيمها (المدلول) مع الأشياء، وعلاقته ببقية المدلولات داخل السياق اللغوي ، وذلك لإنتاج الوظائف الدّلالية.

فالدلالة الوضعية ، يتواضع الناس في اصطلاحه على دِلالة شيء ما ، ففي الدِّلالة العرفية يقول عبد السلام المسدِّي : " لا يتسنى للعقل البشري من تلقاء مكوناته الفطرية ولا الثقافية أنْ يهتديَ إلى إدراك فعل الدِّلالة إلا إذا ألمَّ سلفاً بمفاتيح الربط بين ما هو دال وما هو مدلول ، وهذا الإلمام ليس بفعل الطبيعة ولا هو من مقومات العقل الخالص ولكنَّه من المواضعات التي يصطنعها المجتمع"[٢]، فيقتضي إدراك الدلالة الوضعية ، العلم المسبق بطبيعة الارتباط بين الدال ومدلوله .

أمَّا الدِّلالة العقلية ، فهي التي يكون فيها إدراك طبيعة العلاقة التي تربط الدال بمدلوله وطرق إدراكها، ويحدد عبد السلام المسدَّي هذه الدلالة بقوله:" وفيها

---

[١] عبد السلام المسدِّي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص٣٠.

[٢] المرجع ذاته ، ص٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أي الدلالة العقلية - يتحول الفكر من الحقائق الحاضرة إلى حقيقة غائبة عن طريق المسالك العقلية بمختلف أنواعها "[١]، ويمثل لتعريفها عادة ، بدِلالة الدخان على النار ، إذ يتم استحضار الدِّلالة الغائبة بحقيقة حاضرة ، والذي يربط بين الأمرين هو العقل ، وعلى هذا سميت الدِّلالة المستحضرة بالدِّلالة العقلية .

أمَّا الدِّلالة الثالثة فهي الدِّلالة الطبيعية ، التي يعتمد في إدراكها على علاقة طبيعية يتم على أساسها الانتقال من الدال إلى المدلول ، يقول عادل الفاخوري في تعريفها: "هي الدلالة ، يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه ، كدِلالة الحُمرة على الخجل ، والصُفرة على الوَجَل"[٢].

والدلالة السياقية ، تستقل الجملة بدلالتها داخل النسيج الدِّلالي للخطاب ، وهذا لا يعني نفي أية صلة بينها وبين السياق العام للنص ، بحكم انتمائها إلى نفس المجال الدِّلالي للجمل الأخرى داخل النص الواحد ، ويبيّن عبد السلام المسدِّي ذلك بقوله:" إنَّ استقلال التركيب لا يعزل وجود ارتباط معنوي، فالنص بأكمله مجال دِلالي واحد، والجمل من النص تقوم على تسلسل معنوي عام بحكم انتمائها إلى نفس المجال الدلالي"[٣] ، فقد تتكون جملتان من نفس الوحدات التركيبية لكن ترتيبها في كل جملة يختلف ، فالدِّلالة السياقية تتحدد وفق موقع الصيغة من السياق ، ووَفق تركيب عناصر الجملة وترتيبها .

والحقول الدِّلالية ترتبط بالمعنى ارتباطاً وثيقاً ، فهي " الفكرة المصاحبة للرمز في ذهن من يستخدمه ، وكذا في ذهن من يسمعه حتى يتحقق الاتصال

---

[١] اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص٤٧.

[٢] عادل الفاخوري ، علم الدلالة عند العرب ، ط١ ، دار الطليعة – بيروت ، ١٩٨٥م ، ص٤٢. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عادل الفاخوري ، علم الدلالة .

[٣] اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص١٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين الأفراد"[١]، فالحقول الدلالية هي التي تصنف العلاقات التي تربط الألفاظ ، فالفعل الواحد يحتوي أكثر من علاقة دلالية تربط الألفاظ فيما بينها ، وتتدرج في الترادف ، والاشتراك اللفظي ، والتضاد ، وغيرها.

وإذا تمت عملية التواصل بين المتكلم والسامع ، تنشأ الدِّلالة في ارتباط اللفظ بالمعنى ، وسرعان ما تتغير هذه الدِّلالة ، لأنَّ " التحول الدلالي – شأنه شأن حقيقة اللغة في جذورها الأولى - ، إنِّما يُعزى إلى قانون الحاجة ، والحاجة مولد الوسيلة"[٢]، وأرى أنَّ العلاقة المتبادلة بين اللفظ والدلالة هي علاقة استدعاء، حيثُ إنَّ الألفاظ هي الصيغة الخارجية ، والدلالة هي الفكرة التي يستدعيها اللفظ ، فليس اللفظ وحدَه هو الذي يستدعى المدلول ، بل إنَّ المدلول يستدعي اللفظ أيضاً .

هذه هي مختلف الأبحاث الدلالية التي دارت حول محور دراسة طرفي الدلالة - الدال والمدلول - تناولتُ طبيعة كل منهما ، كما عاينتُ العلائق المختلفة التي تنشأ من اتحاد الدال بمدلوله ، والتي أنتجت أقساماً وأنواعاً للدلالة.

- الدلالة والنظام اللغوي :

يقرر عبد السلام المسدِّي " أنَّ الاعتباطية في انتظام عناصر الكلام ، هي المقوم الأساسي في الظاهرة اللسانية المطلقة ، مستدلاً على ذلك بما يتسنى بين المخاطبين من أن يتفقا في لحظة من وجودهما على تغيير المصطلح اللغوي ، أو استحداثه بالوضع ، أو الاتفاق "[٣]، وهذه الاعتباطية بين الدال والمدلول،

---

[١] عزمي إسلام ، مفهوم المعنى ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية السادسة ، الرسالة الحادية والثلاثون ، الكويت ، ١٩٨٥م، ص٢٧. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عزمي إسلام ، مفهوم المعنى .

[٢] عبد السلام المسدَّي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ط١ ، الدار العربية للكتاب – ليبيا ، ١٩٨١م، ص١٩٥ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد السلام المسدَّي ، التفكير اللساني .

[٣] المرجع ذاته ، ص١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعتبر النقطة الحيوية التي تشرف على عملية التوالد الداخلي في اللغة، إذ يتم استحداث تراكيب وصيغ لغوية جديدة في صلب اللغة ، وابتكار مدلولات لها .

ويشرح ذلك عبد السلام المسدي بقوله : "إنَّ التوالد المستمر في رصيد اللغة سببه سمة العرضية في حصول الألفاظ دوال على المعاني ، وبهذا يتسنى الجزم بطواعية الألفاظ على عبور المجالات الدِّلالية واحداً بعد آخر ، وبطواعية المدلولات على ارتداء الألفاظ بعضها مكان بعض ، كما تسنى البت- بحكم علاقة الإنسان باللغة وموقعه الفاعل منها – في أمر استحداث المركبات الدِّلالية أصلاً بابتكار المدلول الذي لم يكن، ثمَّ صناعة دال له فيلتحمان ، ومن التحامهما يتكون مثلث دلالي جديد"[١]، فمعيار الاعتباطية في العلاقة الدلالية المعتمد في النظام اللغوي ، تتحدد على أساسه العملية الإبلاغية والتواصلية ، وتحقق من خلالها العلاقة الاعتباطية بكثافة في لغة الخطاب .

والتفسير الدِّلالي للنظام اللغوي يتعلق بدراسة العلاقات النحوية فيما بينها ، يقول عدنان بن ذريل[٢]: "والتفسير الدلالي ينصب على العلاقات النحوية ، المحددة في البِنية العميقة ، ولكنه يمكن الإفادة فيه من بعض الخصائص على بِنية السطح "، وهذا التفسير يتناول البنية العميقة والبِنية السطحية ، فالبِنية السطحية تمثل وظيفة دلالية على المعاني المجردة ، والتي تؤدي إلى توضيح وظيفة البِنية العميقة .

ويلاحظ كمال بِشر أنَّ الحديث حول مسار الدلالة ، يبين ماهية المعنى من حيث هو عمل من اتحاد وجهي الدِّلالة : أي الدال والمدلول ، فوجه العناية بالعلاقة التي تربط مكونات الدلالة التي يجب أن تبدأ من الفكرة أو المحتوى الفعلي الذي تستعيده الكلمة ، " فالاهتمام بالدلالة أو المعنى لايقل عن الاهتمام

---

[١] اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص٩٥.

[٢] اللغة والدِّلالة ، د . ط ، اتحاد الكتاب العرب - دمشق ، ١٩٨١م ، ص٧٥. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عدنان بن ذريل ، اللغة والدلالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالشكل والصورة للكلمة ، إذ لا خير في كلمة غَمُض معناها ، أو التبست على المتعلم "[١]، فالنظر إلى المعنى من خلال إطار لغوي خالص يعد أسهل بكثير ، إذ لو نظرنا إليه من خلال الظروف البيئية للمتكلم .

ويلاحظ محمد علي الخولي من منظور آخر ، أن ذلك يعني أن علماء الدلالة يجعلون معنى الكلمة داخل الدلالة ، " فعندما نتحدث عن معنى الكلمة ، فإننا نتحدث عن علاقاتها مع الكلمات الأخرى داخل اللغة ذاتها . ومن ناحية أخرى ، الدلالة تَعني علاقة الكلمة بالعالم الخارجي ، فهي تشير إلى كائن موجود في العالم الخارجي ، مثلاً ، إنسان ... فالتعابير اللغوية جزء من اللغة، ولكن الموجودات الخارجية جزء من العالم "[٢].

وما يراه كاتب هذا البحث أن معنى الجملة داخل الدلالة مختلف عنها في خارج الدلالة ، لأنَّ حصر علم الدلالة في مجال معين يغيّر المعنى ، لأن الأصل في علم الدلالة أن يشمل كل شيء في عملية التواصل بين المتكلم والمستمع، ومن شأن هذا أن يجعل دلالة المعنى محصورة ، وحينئذٍ يجب معرفة الظروف المحيطة ببيئة المتكلم ، مثل السياق ، والمستوى الثقافي ، والحالة النفسية .

ويقرر في هذا الاتجاه أحمد مختار عمر ، على صعيد " أن علم الدلالة هو أحد فروع علم اللغة الذي تناط به دراسة نظرية المعنى ، باعتباره يتناول بالدراسة تلك الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى" [٣] ، فأحد الوظائف الأساسية للكلمة ، دلالة الرمز ، ولذا فإنَّ علم الدِّلالة صار معنياً بدراسة معاني الكلمات ، أو دراسة وظيفة الكلمات باعتبارها وسيلة اتصال ، وهي الأداة التي يستعان بها لنقل الأفكار.

---

[١] دراسات في علم اللغة ، ط١ ، دار غريب - القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص٢٤٤. وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : كمال بِشر ، دراسات في علم اللغة .

[٢] علم الدلالة ، ص٢٠-٢١ .

[٣] المرجع ذاته ، ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمَّة علاقة وثيقة بين البلاغة ودراسة المعاني ، لأنَّ " التغيرات التي تطرأ على المعنى كانت أحد الأسباب التي أوجدت نوعاً من العلاقة بين علم الدِّلالة على هذا النحو وعلم البيان البلاغي ، حيث إنه قائم أيضاً على تبدلات المعنى وتغيره"[١].

فعند دراسة المعنى من خلال الدلالة ، فإنَّها ترجح معنى دون معنى آخر ، وذلك حسب عوامل تساعد تلك الدلالات على إيجاد المعاني المختلفة ، والدلالة ليست محصورة في معاني الألفاظ ، بل تتألف من :

١- الدلالة الصوتية :

ويعرِّف عبد الواحد حسن الشيخ الدِّلالة الصوتية ، أنَّها " التي تُستمد من طبيعة الصوت في العبارة المسموعة ، فبمجرد تغيير صوت الحرف ، أو نبره، أو تنغيمه ، يتبعه غالباً تغير في الدلالة، التي كان عليها قبل حدوث تلك الأشياء"[٢]، فوظيفة الأصوات هي تشكيل الوحدات الأخرى التي تتكون منها المستويات التركيبية الأخرى ابتداء بالدلالة الصرفية ، وانتهاء بالجملة .

ويرى بعض الباحثين – منهم إبراهيم أنيس - أنَّ الدِّلالة الصوتية قد تستفاد من أصوات الكلمة نفسها، أي أن هناك علاقة طبيعية بين الدال والمدلول ؛ فكلمة (تنضخ) تعبر عن فوران السائل بقوة وعنف ، وهي إذا ما قورنت بنظيرتها (تنضح) التي تدل على تسرب السائل في تؤدة وبطء ، فإن تلك المقارنة تكشف عن أن الصوت الخاء في الأولى دلالة صوتية قوية ؛ إذ إنه أكسبها - في رأي أولئك الذين يقولون بوجود هذه المناسبة - تلك القوة والعنف[٣].

ويرى محمد المبارك " أن المرء بمُكنته أن يقول في غير تردد إن للحرف في العربية إيحاءً خاصاً ، وهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى ، فإنه

---

[١] عبد الواحد حسن الشيخ ، العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي ، ط١ ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية – مصر ، ١٩٩٩م ، ص٧١. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد الواحد الشيخ ، العلاقات الدلالية.

[٢] العلاقات الدلالية ، ص٩ .

[٣] انظر : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ط١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨م ، ص٤٢ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدل دلالة اتجاه وإيحاء ، ويثير في النفس جواً يهيئ لقبول المعنى ، ويوجه إليه"[١].

وفي هذا المجال أرى أن المعنى لا يعتمد على الأصوات ، والكلمات ، والأبنية فحسب ، بل يعتمد كذلك على السياق ، فالمتكلم ، مثلاً ، لا يستطيع أن يقدم معنى شاملاً يحيط بالجملة ، دون أن يبين الصلات التي تربط الجملة بالسياق .

٢ - الدِّلالة الصرفية :

وتسهم الدِّلالة الصرفية في تكوين جانب مهم جداً من المعنى ؛ إذْ يعكس تعدد صيغ الوحدات الصرفية تعدداً في دلالتها ، وهي دِلالات لها دور كبير في تحديد معنى الوحدة اللغوية ؛ إذْ لا يكفي الاقتصار في بيان معنى الفعل (استغفر) مثلاً ، على معناه المعجمي المرتبط بمادته اللغوية (غ ف ر) ، بل لا بد من النظر في معنى صيغته الصرفية (استفعل) التي تدل على الطلب ، كما أنَّ للمعاني الصرفية تأثيراً في تشكيل الجمل وتكوين البنية النحوية للغة[٢]، فيستفاد من بِنية الكلمة في توضيح وفهم الدِّلالة .

فالدِّلالة الصرفية والصورة التي تأتي عليها الكلمة ، والتغيير الذي يلحقها ، يؤدي إلى تغير في الدلالة أيضاً ، مثلما يحدث في العدول من الصيغة العادية إلى صيغة المبالغة ، فإنَّ ذلك يعطي المتكلم قدراً أكبر من الدِّلالة لم يكن يحصل عليه في الصيغة العادية .

ويرى بعضهم أنَّ البناء الصوتي والصرفي والدِّلالي أركان مهمة لعناصر المعجم لا يمكن أن تنفصل وتستقل عنه ، لأنَّ "المفردة دليل لغوي تتكون ثنائيته من وجهَيه : الدال الذي يمثل الشكل ، والمدلول الذي يمثل المحتوى ، والدال يتكون من تأليف صوتي عناصره الأصوات ، ومن بِنية صرفية عناصرها الوحدات الصرفية ، والمدلول يتكون من المعنى أو المفهوم ، الذي يربط الدال

---

[١] فقه اللغة ، ص٢٦١ .

[٢] انظر : أحمد مختارعمر ، علم الدلالة ، ص١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلاله علاقة ما ، مباشرة وغير مباشرة بمرجع ما خارج اللغة "[١]، وهذه المكونات الثلاثة : الصوتي ، والصرفي ، والدلالي أساسية في اكتساب المفردة أو الوحدة المعجمية ، الذي يدخل ضمن النظام اللغوي.

٣-الدلالة النحوية :

وهي- كما يقول فايز الداية - أن تكتسب الكلمة تحديداً ، وتبرز جزءاً من الحياة الاجتماعية والفكرية ، عندما تحلُّ في موقع نحوي معين في التركيب الإسنادي ، وعلاقاته الوظيفية : الفاعلية ، والمفعولية، والحالية ، والنعتية ، والإضافة ، والتمييز ، والظرفية ، فمثلاً : خاطبتُ الطحّان في تحسين عمله وزيادة مقدار انتاجه ، فكلمة (الطحان) في موقع المفعول به، وتبرز في جهة من العلاقة الاجتماعية ، وهي موقع المحاسبة والمسؤولية [٢] ، فالدلالة النحوية معنى الجملة المستمدة من ترتيب كلماتها .

وهي – عند إبراهيم أنيس- المعنى الذي تكتسبه الكلمة داخل السياق وإعطاء الصورة النهائية للعلاقات الدلالية مع سائر الكلمات في الجملة ، حيث أن نظام الجملة هو الذي يواصل تفحص المعنى[٣]، فنظام الجملة يحتِّم علينا ترتيباً معيناً للكلمات ، ولا يتم فهم الدلالة النحوية إلا عند اقترانها بالمعنى .

٤-الدلالة المعجمية :

وهي الدلالة التي تؤديها المعجمات عارضةً لشرحها شرحاً عاماً يوضح المعنى الأصلي ، وهي مجردة عما يمكن أن توحيه الوحدات الصرفية من دلالات زائدة على تلك الدلالات الأساسية التي تسمى معجمية ، والتي تستقل عما توحيه أصوات الكلمة ، فتزيد هذه الدِّلالة معنى الكلمة أكثر من دِلالتها الأساسية[٤] ، فالدلالة المعجمية أساسية للكلمات ، والذي يساعدنا على اكتشاف

---

[١] إبراهيم بن مراد ، مقدمة لنظرية المعجم ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ١٩٩٧م ، ص٣٧. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : إبراهيم بن مراد ، مقدمة لنظرية المعجم .

[٢] فايز الداية ، علم الدلالة ، ص٢١.

[٣] انظر : إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، ص٤٣.

[٤] انظر : المرجع ذاته ، ص ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومعرفة الوظائف الدِّلالية ، إذْ إنَّ الدِّلالة المعجمية لها معنى مخصوص في المعجم ، ومعنى آخر في الاستعمال .

ويصف محمد المبارك المستوى المعجمي على أنه " تذوق النصوص تذوقاً سليماً ، وعلى معرفة مواقع الألفاظ ، وما يكون لها من معانٍ متعددة تتناوب في الظهور بتناوب السياق ، وما يلقيه الاستعمال من لبوس الألفاظ ظلال وألوان ، وما يتعاقب عليه خلال العصور من معانٍ"[١] ، فلا يمكن فصل الدِّلالة عن غيرها من مستويات اللغة الأخرى ، فإذا أراد المتكلم تحديد وظيفة الدِّلالة ، فإنَّ عليه أن يقوم برصد الدِّلالات الأخرى من دِلالة الصوت ، والتركيب الصرفي ، وملاحظة الجانب النحوي في دراسة دلالة الحدث الكلامي .

ويرى إبراهيم أنيس أنَّ الدِّلالة الاجتماعية قد تنضاف إلى الدلالة المعجمية ؛ " إذ إنَّ هدف المعجمات توضيح تلك الدلالات الاجتماعية"[٢]، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى " لا يستطيع المعجم أنْ يحصر كل السياقات التي تقع فيها العبارات أو الكلمات ، وإن هو فصَّل فهو لا يفصّل في إيراد أنواع من دلالات الكلمة والعبارة"[٣] وهكذا يظل تحديد المعنى ومعنى الكلام محتاجاً إلى ضوابط أخرى غير ضابط الدلالة المعجمية .

وفي الشكل المنطقي يرى علماء الدلالة ، أنه يجب أن تصنف الأشباه والنظائر في إطار منطقي ، وذلك وفق تفاوت المعنى، وتقييده ، وانتشاره ، وانتقاله ، ويقرر عبد الواحد حسن الشيخ في هذا المضمار ، حيث يقول : " أما في الشكل الدِّلالي ، فإنَّ التحليل السيميائي يقترح تسمية جديدة ، ومقاييس جديدة في التصنيف ، واضعاً في الاعتبار سمات القضية الدلالية ، وأنَّها قائمة على الثنائية بين الدال والمدلول ، والطبيعة النفسية المتداعية لعلاقاتها بشكلها الثنائي القائم على التماثل والتجاور"[٤] .

---

[١] انظر : المبارك ، فقه اللغة ، ص ١٦٠-١٦١.

[٢] دلالة الألفاظ ، ص ٤٤ .

[٣] انظر: محمود السعران ، علم اللغة ، د.ط ، دار النهضة العربية – بيروت ، -- ١٩ م ، ص٢٦٥. وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : محمود السعران ، علم اللغة .

[٤] العلاقات الدلالية ، ص١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه المقترحات تجسد ضبطاً للعلاقة بين المعنى والوظيفة الدلالية ، فتلك العلاقة التي تربط بين توظيف المستويات اللغوية المختلفة : الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والمعجمية ، الذي يتحول إلى معنى دلالي آخر يظهر من خلال المقام الجديد.

- الدلالة والوظائف البلاغية :

ويختلف هذا التقسيم عن التقسيم السابق اعتماداً على البعد الداخلي للغة ، وهو يدعو إلى تقسيم اللغة إلى مستويات يدور حولها النشاط الإنساني ، وينظر إلى اللغة على أنَّها نظام متداخل من العلاقات المحكمة التي تدرس لغايات البحث والدراسة .

والحديث عن الدِّلالة في البلاغة يستدعي الحديث عن المعنى في البلاغة ؛ لأنَّ ذلك يقتضي وجود وظيفة بلاغية غير المعنى المعجمي ، والصرفي ، والنحوي .

وذلك يستدعى من طالب البلاغة أنْ يدرس هذه الأحوال ، ويعرف ما يجب أنْ يصور كلامه في كل حال ، فيجعل لكل مقام مقالاً , " وهذا يعني أنَّ الوظيفة البلاغية دِلالية متأخرة عن الوظائف الأخرى ، ذلك أنَّ الكلمات المفردة يمكن النظر في أمرها من جهة المعجم والصرف، ومع ذلك فهي ليست محل الوصف في البلاغة أو عدمها ، بل لا بدَّ أنْ تكون متأخرة كذلك عن التركيب النحوي ، لأنَّها تتعلق بالربط بين الكلام والحال"[١]، فإذا كانت اللفظة داخلة في البلاغة ، فإنها تكشف عن الدِّلالة المعجمية ، أو الصرفية ، أو النحوية ، فمادة الكلمة هي المكون الأساس للدِّلالة ؛ وذلك لأنَّها تشير إلى معنى أعمّ .

ويعرض تمَّام حسان لأنواع الدِّلالة التي تتميز من خلال تلك الوظائف البلاغية التي تؤديها اللغة ، " ويتم ذلك بتبدل المعنى الدلالي في البلاغة عن

---

[١] ناصر المبارك ، الظاهر اللغوي في الثقافة العربية ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠٤م ص١٣٠ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : ناصر المبارك ، الظاهر اللغوي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طريق عدة طرق وألوان بلاغية ، منها: فكرة المقال والمقام ، والاستعارة ، والكناية ، والتورية ، والتشبيه ، والمجاز ، وجميعها يتم فيها تبدل المعنى بطريقة تدخل البلاغة في علم الدلالة ، كما أن من يعالج الألوان البلاغية – خاصة في البيان– لا بدّ أن يتعامل معها من خلال منظور علم الدلالة"[١]، خاصة تلك الوظائف القائمة على تبدلات المعنى وتغيره ، بشرط أنْ يكون ملماً بماهية الوظيفة الدلالية ، حتى يستطيع أنْ يصل إلى الدِّلالة السياقية المرادة في الصورة البيانية التي أمامه ، حيث إنَّ لكل كلمة معنيين ، المعنى المعجمي ، والمعنى السياقي الذي تأخذه الكلمة حين توضع في سياق يحدد معنى الجملة بأكملها ، وإليك بعض هذه الوظائف :

١- المعنى المقامي : ويعرفه تمَّام حسان على أنه " المعنى الذي يتكون من ظروف أداء المقال ، تلك التي تشتمل على المحددات الدلالية الحالية ، فيما يعرف باسم المقال"[٢]، فالجواب عن هذا التساؤل يقودنا إلى تعريف البلاغيين للبلاغة ، وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، الأمر الذي يؤكد على دراسة الأحوال جميعها .

وقد عرفها تمَّام حسان على أنَّها المعنى الدلالي ، فقال : "هو مجموع المعنى النحوي ، والقرينة الاجتماعية الكبرى (المقام) ، أو هو مجموع المعنى من خلال السياق اللغوي ، والسياق الحالي "[٣]، فالدلالة تظهر من خلال المواقف الاجتماعية ، والملابسات التي تحيط به .

وللوصول إلى المعنى الدلالي لا بدَّ من ملاحظة العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها ، وهو ما يعرف بالعنصر الاجتماعي ، الذي هو المقام ، إذ إنه شرط لاكتمال وفهم المعنى أو المقال ، لأنه يختلف من مقام لآخر ، ويتبعه اختلاف المعنى لذلك ، حيث لا يمكننا الوصول إلى المعنى الدلالي إلا إذا عرفنا المقام الذي سيق فيه ، ومثال ذلك حرف النداء (يا) إذا سبق لفظ (سلام) فإن

---

[١] اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣٥٥.

[٢] المرجع ذاته ، ص٣٣٩ .

[٣] تمّام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العبارة صالحة لأن تدخل في مقامات اجتماعية كثيرة ، تؤدي كلها إلى تغيُّر أو تبدل المعنى الدلالي المراد منها في أي مقام قيلت فيه[١] ، فالسياق الاجتماعي يهدف إلى إبراز الدلالة ، وإظهار تطورها ، فالتآلف بين العناصر المتفرقة ، يشكل سياقاً جديداً ، وهذه الأهمية تكمن في إبراز الدلالة الجديدة .

ولا بدَّ من معرفة المعاني وتحديدها لاكتشاف الوظيفة الدلالية ، حتى نستطيع التمييز بينها في السياقات الاجتماعية المختلفة التي قيلت فيها العبارة .

٢- المجاز :

ويمكن تعريف دِلالة المعنى المجازي – كما ورد عند محمد الخولي -: " هو المعنى الذي تكتسبه الكلمة لغرض بلاغي ما ، ويختلف معناها الحرفي ، كالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية"[٢].

ولقد فهم فايز الداية " أنَّ نقطة الالتقاء بين وظيفة المجاز والبلاغة على اختلاف ضروبها ، تتمثل في الانعكاس الذي تتركه آثاره في اللغة المتداولة دونما قصد إلى الإبداع والتميز"[٣]، وذلك كأنْ تكون الكلمة خاصة بمصطلح معين أو مسمى معين ، ثمَّ تلحق بمعنى كلمة أخرى ، وذلك مثال كلمة (سيارة) الواردة في سورة يوسف – عليه السلام- ، فهي تطلق على القافلة ، ونتيجة لانزلاق المعنى وتطوره وانتشاره صارت تطلق على الكواكب والمحركات التي تعمل بالنفط .

ويشير تمَّام حسان إلى أنَّ هذه المعاني الفنية المجازية يكثر ترديدها على الألسنة مع إطلاقها المجاز الفني ، " فحين يطول عليها الأمد في هذا الاستعمال يميل الناس إلى اعتبار دلالتها على المعنى المجازي الجديد دلالة على سبيل الحقيقة ، ومن ثم يصبح معنى الكلمة متعدداً ، وترصد لها هذه المعاني المتعددة في المعجم ، فتكون الكلمة بين جلدتي المعجم محتملة لكل معانيها المعجمية

---

[١] تمّام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٤٥.

[٢] معجم علم اللغة النظري ، ط١ ، مكتبة لبنان- بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ٢٩٠. وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : محمد الخولي ، معجم علم اللغة النظري .

[٣] علم الدلالة ، ص٣٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختلفة المنشأ حتى توضع في سياق يحدد لها واحداً من هذه المعاني"[١] ، فالدِّلالة بحيويتها تتسع للمعنى المجازي الجديد ، من تغير المعنى ونقله ، أو تحريكه في اتجاهات أخرى يتسع لها ، ويضيق معها المعنى في نواحٍ أخرى ، ومن هنا ، فالوظيفة الدّلالية تبرز من خلال الاستعمال الدلالي للمجاز الذي يعطي معانٍ ، وألوان أخرى ذات خصوصية .

٣- التشبيه :

ويكون التشبيه أيضاً عاملاً من عوامل تبدل الدلالات خاصة عند بعض الأمم التي لا تكاد تميز بين الدلالات الكلية والدلالات الخاصة، مثل ، (تسمانيا) – بالقرب من استراليا – " فلا يستخدمون اللغة بمعناها العام ، فصفة الطول غير موجودة في معجمهم اللغوي ، ولذا لجأوا إلى التشبيه للتعبير عن أمثال هذه الصفة مما لا يوجد لديهم ألفاظ موضوعة له ، فيصفون الطويل مفرط الطول (كالشجرة أو النخلة)" [٢] .

ويرى بعض الباحثين في حديثهم عن تبدل المعنى أن " الكناية تساعد على توضيح الدلالة ، وجعل الصورة الذهنية من الجَلاء والصقل ، بحيث تزيل الشك والوهم ، ويتم ذلك بنقل الدِّلالة المجردة إلى مجال الدِّلالة المحسوسة ، وكثيراً ما يعبر عن هذه العملية عند شرّاح الأدب والنصوص الأدبية ، بقولهم : جعل المعنوي حسياً ، أو إخراج المعنوي مخرج المحسوس ، فيجسده ويجعله ملموساً"[٣]، فيهتم علم الدِّلالة في ضوء الدراسات الحديثة ببيان ما يدل عليه اللفظ، وما بينه وبين المدلول من ارتباط في السياق معتمداً على مقام الكلام وسياقه ، مع الأخذ بعين الاعتبار الملامح الثقافية والاجتماعية للبيئة اللغوية .

فالبلاغيون عند اعترافهم بفكرة (المقام) متقدمين ألف سنة تقريباً على زمانهم ، "لأنّ الاعتراف بفكرتي (المقام والمقال) باعتبارهما أساسين متميزين

---

[١] تمَّام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٣٢٠ .

[٢] المرجع ذاته ، ص٩٥.

[٣] عبد الواحد الشيخ ، العلاقات الدلالية ، ص٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أسس تحليل المعنى ، يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"[١]، فعلم اللغة الحديث لـــه فـــضل لا يمكن تجاهله في دراسة البلاغة القديمة ووظائفها الدّلالية .

وقد كتب تمَّام حسان في صلب موضوع علم الدلالة الذي ألح علـــى فكـــرة (المقام والمقال) ، حيث يقول: " وفكرة المقام هذه هي المركز الـــذي يـــدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر ، وهو الأساس الذي ينبني عليـــه الشق أو الوجه الاجتماعي ، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات ، والأحداث ، والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال "[٢]، ويـــدل علـــم الدّلالـــة الوصفي على تصور واقعي يحتوي على وصف شكلي للوصول إلـــى معنـــى جديد.

ولقد فرّق البلاغيون المحدثون بين أنواع المعنى ، من خلال التمييز بـــين وظائف اللغة ، فلكل مستوى معنوي مستوى وظيفي لأداء الوظيفـــة ، ومـــن ناحية أخرى فإن بعضهم حصر وظائف اللغة في التعبير أو التبليغ ، والحجـــة في ذلك أن الأغراض الأخرى أحياناً تتجاوز اللغة في التعبير أو التبليـــغ إلـــى وظائف أخرى بنفس المستوى .

ولمَّا كانت الوظيفة المعنوية مرتبطة بأداء الوظيفة الدلاليـــة ، فـــالبلاغيون المحدثون يتحدثون عن ثلاث وظائف للمعنى:

١- الوظيفة الوصفية : وهي التي يقوم المتكلم ، من خلالها ، بمجرد الوصـــف لموقف ، أو شيء معين في العالم الخارجي .

ويرتبط بهذه الوظيفة دلالة المعنى الأساسي :" ويسمى المفهوم ، ويتم مـــن خلاله التفاهم ، ونقل الأفكار"[٣] ، وكذلك دلالة المعنى الإضافي أو الثـــانوي : " وهو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه ، إلـــى جانـــب معنـــاه التصويري الخالص ، ويتغير هذا المعنى بتغير الثقافة ، أو الزمن ، أو الخبرة ،

---

[١] تمَّام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣٣٧ .

[٢] المرجع ذاته ، ص٣٣٧.

[٣] أحمد مختارعمر ، علم الدلالة ، ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع ثبات المعنى الأصلي " [١] ، وهذا المعنى المرتبط بعملية الوصف المجرد للأشياء الخارجية ، أي المرتبط بافتراض تم تقديمه متعلقاً بشيء معين ، ويتميز هذا النوع باحتمالية الصواب والخطأ .

٢- الوظيفة التعبيرية : ويقوم المتكلم عن طريقها ، بالتعبير الذاتي عن مواقفه وأفكاره ، ومشاعره ، وأحاسيسه .

وتتعلق بهذه الوظيفةالتعبيرية ، دلالة المعنى النفسي ، ويمكن تعريفه على أنَّه : " معنى فردي ذاتي ، يظهر في الأحاديث العادية للأفراد ، وفي كتابات الأدباء ، وأشعار الشعراء " [٢]، فوظيفة المعنى في التعبير عن أفكاره ومعتقداته، وحالته النفسية أو الذهنية .

٣- الوظيفة الاجتماعية: وهي الوظيفة التي تمكِّن مستخدم اللغة من إقامة علاقاتها الاجتماعية ، كون الإنسان مخلوقاً اجتماعياً بحاجة ماسة إلى التواصل مع الآخرين .

والتحديد الدقيق لكلمة المعنى بالغ الصعوبة ، فلا تكتفي المعاني المدونة في المعاجم في إبراز المعنى ، ولم تكن العودة إلى المعاجم الصورة الوحيدة لمعرفة معنى الكلمة ، فلا بدّ من معرفة السياق الذي وقعت فيه، ومن أجل هذا فرّق علماء الدلالة بين أنواع المعنى[٣].

---

[١] المرجع ذاته ، ص٣٧-٣٨.

[٢] المرجع ذاته ، ص٣٩.

[٣] ومن هذه المعاني :

أ - المعنى الاقتراني : هو المعنى الذي يثير مجموعة من الأشياء والمفاهيم التي تخطر ببال شخص ما حين يسمع أو يقرأ كلمة ما ، كأن يسمع أو يقرأ كلمة (نهار) فيخطر بباله العمل والشمس والضجيج. انظر : مبارك مبارك ، معجم المصطلحات الألسنية ، دار الفكر اللبناني – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص٢٦٥. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : مبارك مبارك ، معجم المصطلحات الألسنية .

ب - المعنى الإيحائي : هو المعنى الذي يتعلق بكلمات شفافة ذات قدرة على الإيحاء ، كالكلمات التي تدل على بعض الأصوات ، أو الضجيج الذي يحاكيه التركيب الصوتي للاسم ، مثل كلمة (صليل) و(خرير)، ويدخل كثيراً في الكلمات ذات المعاني المكروهة أو المحظورة ، كالكلمات المرتبطة بالجنس ، وموضع قضاء الحاجة ، والموت . انظر: أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص٣٧.

ج - المعنى الأسلوبي : هو المعنى الذي يعكس اختلافاً في بيئة المتكلم ، والطبقة التي ينتمي إليها ، كما أنه يكشف عن مستويات أخرى، مثل ، التخصص ، ودرجة العلاقة بين المتكلم والسامع ، ورتبة اللغة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبلاغة من خلال مستويات الوظائف تؤثر في حياة المتكلم ، لأنَّ المتكلم يستطيع أنْ يقبل الوظيفة أو يرفضها ، تبعاً لدرجة ثقافته في مناشط الحياة المختلفة، سواء أكانت دينية ، أم نفسية ، أم اجتماعية ، أم أدبية ، ولهذا فالمناشط آنفة الذكر تؤثر في حياة المتكلم ، ومن ثَمَّ الوظائف التي يريد أن يوصلها المتكلم إلى المتلقي.

- الدِّلالة والسياق :

انطلق عدد من الباحثين من تحديد المعنى اللغوي الذي يقوم على معطيات السياق الذي ترد فيه الكلمات ، وقد سعى هؤلاء إلى تخليص دراسة المعنى من المناهج الخارجية عن اللغة من جهة ، وجعل هذه الدراسة خاضعة للملاحظة والتحليل الموضوعي داخل اللغة من جهة أخرى .

والبحث عن العلاقة بين مفهومنا عن الشيء والشيء نفسه ، ليست مهمة من الناحية المعنوية ، لأن اللغوي يهمّه ما تعبّر عنه كلمات اللغة من مفاهيم ، وليس الكلمات نفسها في علاقاتها بالموجودات في الواقع[١]، وعلى ذلك عرّف العلماء المعنى بأنَّه حصيلة استعمال الكلمة في اللغة ، من حيث وضعها في سياقات مختلفة.

فأصحاب نظرية السياق درسوا معنى الكلمة متجاوزين أصل الدلالة، وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول ، إذ اهتموا بالدور الذي تؤديه الكلمات في السياق والطريقة التي تستعمل بها.

المستخدمة (أدبية ، رسمية ، عامية ، مبتذلة) ، ونوع اللغة (لغة النثر ، لغة القانون ، لغة الإعلان). انظر: أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص٣٨ .

[١] انظر : موريس أبو ناصر ، مدخل إلى علم الدلالة الألسني ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد(١٨) ، ١٩٨٢م ، ص٣٢-٣٣. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : موريس أبو ناصر ، مدخل إلى علم الدلالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير تمَّام حسان في هذا المجال إلى اعتناء البلاغيين بسياق الحال- وهو ما أسموه بالمقام- ، فمقام الفخر غير مقام المدح ، وهما يختلفان عن مقام الدعاء ، أو الاستعطاف ، أو الهجاء...، وعبارتهم المشهورة (لكل مقام مقال) تدل على تمييزهم بين شقي السياق ، وهو تميز ضروري في تحليل المعنى[١]، فمعرفة لفظ الكلمة وأصلها الاشتقاقي لا يكفي في تحديد المعنى تحديداً دقيقاً ، وكذلك استعمال الكلمة في البيئات المتعددة ، ترجع في أصلها إلى المعنى الأصلي ، فتكون المعاني الأخرى موجودة في تضاعيفها.

ويشير ياسر الملاح إلى أنَّ العناصر الأساسية لسياق الحال " تقوم على المظاهر الوثيقة الصلة بالمشاركين ، والأشياء الوثيقة الصلة بالموقف ، وأثر الحدث الكلامي ، ويُقصد بذلك المتكلمون والسامعون بملامحهم الظاهرة التي تصور صفاتهم الظاهرة ، وكشف دخائل أنفسهم ، ويتضمن هذا أمرين : الأمر الأول : الحدث الكلامي الصادر عن المشاركين في الحدث ، والأمر الثاني : الحدث غير الكلامي من المشاركين كأفعالهم وسلوكهم وتصرفاتهم في أثناء الكلام"[٢] ، لهذا فالسياق له دور في تحديد معاني الدلالات.

ويرى كمال بِشر أنَّ المقام أو الحال ، يهتم بما يحيط الكلام من ظروف وملابسات تتعلق بحال المتكلم والسامع والخطاب ، ويسمى هذا سياق الحال ، فنظر البلاغيون إلى سياق الحال " نظرة معيارية لا وصفية ، فأوجبوا أنْ يكون الكلام على صفات مخصصة ونماذج معينة طبقاً لمقامه ومقتضيات حاله ...، وهذا نهج في حقيقة الأمر يتمشى مع الأهداف التعليمية أو مقاصد رجال النقد والمعنيين بفنون القول ودرجات البلاغة "[٣]، فوظف البلاغيون مفهوم مطابقة الكلام لمقتضى الحال في تفسير بعض وظائف البلاغة ، من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر...إلخ.

---

[١] اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٢٣٧ .

[٢] انظر : المقدمة إلى علم المعنى في العربية ، ط١ ، دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان ، ١٩٩٣م، ص٢١٣ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : ياسر الملاح ، المقد مة إلى علم المعنى في العربية.

[٣] دراسات في علم اللغة ، ص٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد بالغ بعضهم حقاً حين رأى أنَّ دِلالة الكلمة لا معنى لها على الإطــلاق خارج مكانها في النظم ، مع أنَّ بعض دِلالة الكلمات يعتريها الغموض الــشديد في بعض الأحيان ، فلا بدّ من أنْ يكون لها عدة معانٍ مركزية ثابتة ، فالدِّلالــة تتحدد وفقاً للاستعمال الذي يرد فيه ، فهو:" الذي يعطــي الإضــاءة للغــرض والقصد "[١]، وذلك لأنَّ دِلالة الكلمة المفردة لها معانٍ يتواضع عليها المتكلمــون والسامعون ، غير أنَّ المألوف هو استعمال معنى واحد فقط من هذه المعاني في السياق المعين .

ويمكن تقسيم السياق إلى أربعة أقسام:

١- السياق اللغوي :

يوضح السياق اللغوي كثيراً من العلاقات الدِّلالية عندما يــستخدم مقياســاً لبيان الترادف ، أو الاشتراك ، أو العموم ، أو الخصوص أو الفروق ، ونحــو ذلك .

ونوَّه سمير استيتية إلى ملاحظة فذة مؤداها أنَّ السياق اللغوي " يكشف عن حقيقة المعنى في اللغات الإنسانية ، وإلى معرفة القوانين اللغوية التــي تــساعد على معرفة العلاقات التي تربط بين أجزاء المعنى الواحد ، وما ينضوي تحتــه من عناوين"[٢]، وهذا يعتمد على عناصر لغوية في النص من ذكْر جملة سابقة أو لاحقة ، أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة ، أو في الجملة نفسها ، وحــصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة المتجاورة وكلمات أخرى ، مما يكسبها معنى جديداً .

فالمعنى الذي يقدمه المعجم عادة هــو معنــى متعــدد وعــام ، ويتّــصف بالاحتمال ، على أن المعنى الذي يقدمه السياق – ولا سيما السياق اللغوي – هو معنى معين له حدود واضحة .

---

[١] فايز الداية ، علم الدلالة ، ص١٩٥ .

[٢] اللسانيات ، ط١ ، عالم الكتب الحديث – إربد ، ٢٠٠٥م ، ص٢٥٧ . وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : سمير استيتية ، اللسانيات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- السياق العاطفي :

ويوضح أحمد قدور طبيعة السياق العاطفي عند استعمال الكلمة بين دِلالتها الموضوعية ودِلالتها العاطفية ، " إذ تُنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية ، حين يتحدث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال ، مثال ذلك أنَّ المتكلم الذي يكون في حالة من الشعور الجامح يغلو في استعمال كلمات قد لا يقصد هو نفسه معناها ، نحو : القتل والذبح والاحتقار والاستكراه الشديد ، دون أن يقصد دِلالتها، إذ لا يعدو ذلك كونه مبالغة في التعبير عن حالته العاطفية"[١]، فالسياق العاطفي هو الذي يعكس الدِّلالات النفسية للفرد المتكلم ، ويحدد درجة الانفعال قوة وضعفاً.

٣-سياق الموقف أو المَقام :

يدل سياق الموقف أو المَقام على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام ،" وقد أشار اللغويون القدامى إلى هذا السياق ، كما عبر عنه البلاغيون بمصطلح (المقام) ويرى تمام حسان أنَّ ما صاغه (مالينوفسكي) سبقه إليه العرب الذين عرفوا هذا المفهوم قبله بألف سنة أو ما فوقها، ولكنَّ كتب هؤلاء لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده (مالينوفسكي) من تلك الدعاية بسبب انتشار العالم الغربي في كل الاتجاهات"[٢].

وفيما يتعلق بعلم الدلالة فقد كتب تمَّام حسان في صلب الموضوع ، وألحّ فيه على فكرة (المقام والمقال) ، حيث يقول[٣] : " وفكرة المقام هذه هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر ، وهو الأساس الذي نبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة ، وهو الوجه الذي يمثل فيه العلاقات والأحداث ، والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء (المقال) "، والبلاغة في سياق الواقع والحياة تعبير صحيح ، فهي مرهونة بسياق الحياة التي لا يحصرها إلا النشاط الواقعي .

---

[١] مبادئ اللسانيات ، ص٢٩٥.

[٢] اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣٧٢ .

[٣] المرجع ذاته ، ص٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمراعاة المقام تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدباً ، بل قد يضطر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح ، وكلما كان موافقا ظروف المقام كان مقبولاً ومستحسناً في ظروفه و حينه .

٤ - السياق الثقافي :

وينفرد السياق الثقافي بدور مستقل عن سياق الموقف الذي يقصد به عادة المقام من خلال المعطيات الاجتماعية ، لكنْ هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي ضمن معطيات المَقام عموماً ، ويظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد ، فالمثقف المعاصر يختار كلمة (زوجة) أو (مدام) للدلالة على امرأته ، على حين يستخدم الرجل العادي كلمة (مَرَه) للدلالة على زوجته [١]، وليس مهماً أنْ يختار المتكلم لذلك الكلمات ذات الدِّلالة الموضوعية الدقيقة التي ربما تكون غير مقبولة ، وإنَّما المهم هو وجود المناسبة بين الكلام والموقف.

وأصحاب الدرس السياقي الذين يستندون إلى فكرة السياق اللغوي وحده ، يرون أنَّ " الكلمة تَتَحدد من خلال ورودها مع مجموعة من الكلمات ، ولكي نتوصل إلى معنى الكلمة الدقيق علينا أنْ نتمعن في العناصر التي تقع معها في سياق لغوي يقبله أبناء اللغة"[٢]، ومن أمثلة ذلك معنى كلمة (منصهر) الذي يرتبط بمجموعة من الكلمات ، نحو : الحديد والنحاس والذهب والفضة ... ولا يرتبط بكلمات أخرى، نحو : التراب والخشب والجلد والملح ...وعلى هذا يتحدد معنى كلمة (منصهر) من جهة ، ويُعرف أنَّها لا ترد في سياق لغوي مقبول مع المجموعة الثانية من الكلمات من جهة أخرى.

ونرى ، هنا ، دور المعجم في فهم السياق ، لأنَّ السياق يبتعد كثيراً عن المعاني الجزئية ، وينظر المعجم إلى المعنى العام للسياق ، حيث إن السياق يعطي الكلمة معاني لا يدركها المعجم ، " أما حين تدخل في السياق ، فإن معناه

---

[١] أحمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، ص٢٩٥.

[٢] انظر: أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، ص٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يسمى معجمياً ، نظراً إلى أن السياق يحفل بالكثير من القرائن الحالية والمقالية التي تعطي الكلمة من المعاني ما لا يرد على بال صاحب المعجم"[١].

وترتبط فكرة الحال والمقال بالسياق من خلال علاقة الكلمة بالمقال ، " وذلك أنَّ الأمر الذي يدعو إلى تقديم صياغته على وجه معين ، إمَّا أنْ يتصل بزمن هذه الصياغة فيسمى الحال ، وإمَّا أنْ يتصل بمحلها فيسمى المقام ، لأنَّ كل كلام لا بد له من بعد زماني وبعد مكاني يقع فيه "[٢]، ومن هنا ، ارتبطت فكرة الحال والمقام من خلال علاقة الكلمة بالمقال ، واختلاف صور هذه الأحوال بالسياق .

ويبين محمد عبد المطلب في هذا المحور أنَّ الدارس يجب أن " يتجلى من خلال صياغة لغوية خارجية ، وهذه الصياغة تعتمد المفردات ركيزتها الأولى ، ثم يتم دفعها إلى السياق لتأخذ طبيعة جملية ، ثمَّ تندفع من هذا السياق الأصغر إلى السياق الأكبر لتشكيل الخطاب "[٣]، لأنَّ تدخُّل أي عنصر إضافي يمكن أنْ يؤثر في الدلالة ؛ إذْ كل عنصر يؤدي دوراً وظيفياً في السياق ، وقد يؤدي إهمال عنصر من العناصر إلى ضياع الدِّلالة.

وفكرة المقام تمثل مركز الدِّلالة من حيثُ إبرازها للوظائف الدِّلالية ، والتي تظهر من خلال العلاقات والأحداث والظروف المقتضية في الكلام لحالات مخصوصة ، فالمقام يشمل " المتكلم ، والسامع ، والظروف ، والعلاقات الاجتماعية ، والأحداث الواردة ، ثم التراث والفلكور ، والعادات ، والتقاليد ، والمعتقدات ، والخزعبلات "[٤]، وفهم المقام ضروري لفهم المقال ، ومن ثَمَّ الوصول إلى الدِّلالة التي تكشف عنها الألفاظ وتوحي بالمناسبة ، إذاً للمقام أثر بالغ في تحديد الدِّلالة التي تربط بين المستويات اللغوية .

---

[١] تمَّام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٢٤ .

[٢] محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ط٢ ، الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة ، ١٩٨٤م، ص٢٢٩. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية .

[٣] البلاغة العربية (قراءة أخرى) ، مكتبة لبنان - بيروت ط١ ، ١٩٩٧ م ، ص١٧. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية .

[٤] تمَّام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٣٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذه المفارقة بين التفكير والتطبيق في المجال الدِّلالي ، فإنَّ أهمية التطبيق تكشف عن الوظائف الدِّلالية والخروج منها بنتـــائج ، وكـــشف مـــدلول تلـــك الوظائف ، ليصبح الخطاب استراتيجيا جديدا ، ونحن في هذه الحالة محتـــاجون إلى ممارسة هذه الوظائف الدِّلالية في واقع الحال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

المنهج التوليدي التحويلي

حاول النحاة المحْدثون رسم صورة للمدرسة التوليدية التحويلية ، فانطلقوا من الأسس التي قامت عليها ، فيقرر عبد السلام المسدّي من هذه الوجهة " أنَّ غاية اللساني أنْ يحلل المحركات التي بفضلها يتوصل الإنسان إلى استخدام الرموز اللغوية ، سواءٌ أكانت تلك المحركات نفسانية أم ذهنية ذاتية "[١].

وعلم الدلالة باعتباره مبحثاً من المباحث اللغوية حسب ماهية اللسانيات ، يهتم بحلقة من حلقات علم اللسان البشري ، " فالدراسة اللسانية لا تقف عند تشخيص الحدث اللغوي في مستواه الأدائي ، ولكنْ في سلوكه الدائري ، إذْ تهتم اللسانيات بتولُّد الحدث وبلوغه وظيفته ، ثمَّ بتحقيقه مردوداً عندما يولِّد رد الفعل المنشود ، وهكذا يكون موضوع علم اللسان اللغة في مظهرها الأدائي ، ومظهرها الإبلاغي، وأخيراً في مظهرها التواصلي"[٢]، فهذه الحلقة تكمن في المظهر الوظيفي ؛ فالوظيفة البلاغية هي التي تضطلع بنقل دِلالة الخطاب إلى المتلقي بحيث يتم - في الحالات العادية- استيعابها استيعاباً كافياً.

والدراسات اللسانية الحديثة تنظر إلى علم الدِّلالة على أنَّه مرتبط بواقعه الذي يعيش فيه ، فلا بد إذن من التواصل بين الإطار والمقام ،" كون البِنية التواصلية بِنية ثابتة قابلة للعزل عن الإطار والمقام الذي قيلت فيه ، وخارج كل

---

[١] التفكير اللساني ، ص١٢.

[٢] عبدالسلام المسدِّي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلاقات الموضوعية التي تجمع بين المخاطبين "[١]، فالغرض الرئيس بين الفريقين هو تحقيق التواصل ، وإيصال المعنى بين المتكلم والمتلقي .

ويبين عبد السلام المسدّي أنَّ التوليديين يوجهون عنايتهم إلى المستويات العليا من الكلام ، منطلقين من " أنَّ علم التركيب هو الذي يستطيع النفاذ إلى محركات الكلام ؛ لأنَّه قائم على دراسة صياغة الجملة وعلاقتها بالجمل الأخرى"[٢]، وتأخذ الدراسات الألسنية والدِّلالية الحديثة دور الوظيفة الأساسي للغة، وذلك بتفكيك بِنيتها الداخلية للتعرف إلى الشبكة التنظيمية التي تشرف على عملية التواصل والإبلاغ ، وهي الوظائف الدِّلالية .

ويذكر مازن الوعر في حديثه عن القواعد التحويلية التوليدية ، أنَّ (تشومسكي) نادى بأنْ تكون الجمل التي تولِّدها القواعد مقبولة ، فهو يعرِّف النحو في هذه الحالة على أنَّه " عملية توليدية تحويلية منظمة ومركبة ، قادرة على إنتاج جمل نحوية صحيحة من خلال مستويات لغوية عدة "[٣] ، فالدِّلالة هي مجموعة الأصوات التي تنتظم فيما بينها لتشكل الكلمات ، بحيثُ يعبر فيها كل شخص عن أفكاره ، لذا ، فإنَّ ما يظهر على البِنية السطحية ، إنِّما هو محصلة العمليات الذهنية الداخلية (البِنية العميقة) .

ويرى (تشومسكي)– زعيم هذه المدرسة – أنَّ الطفل عندما يولد ، يكون مزوداً بفطرة لغوية ؛ أي مجموعة من القواعد والقوانين اللغوية العامة ، التي تتضح شيئاً فشيئاً ، من خلال ما يسميه الطفل في مجتمعه وبيئته ، إلى أنْ يصبح قادراً على بناء الجمل وتراكيبها ، وهذه القواعد تسمى (القواعد

---

[١] مصطفى غلفان ، نحو علاقة جديدة بين اللسانيات ومناهج تحليل النص الأدبي ، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني الدار البيضاء ، العدد (٣) ، ١٩٨٦م ، ص٨٧. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : مصطفى غلفان ، نحو علاقة جديدة بين اللسانيات ومناهج تحليل النص الأدبي .

[٢] المرجع ذاته ، ص ١٢.

[٣] قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، دار طلاس – دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨، ص٨٨. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : مازن الوعر ، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوليدية) ؛ لأنّها هي المسؤولة عن توليد الجمل وبنائها[١]، فالوظيفة – في نظر التوليديين التحويليين – عبارة عن مجموعة من القواعد تنتظم فيما بينها لتشكل للمتكلم كلمات تعبر له عن أفكاره ، فما يظهر على السطح من كلمات ، يسمى بِنية سطحية ، وما يظهر في العمق من محصلة العمليات الذهنية ، يسمى بِنية عميقة .

وفي هذا الاتجاه يرى ميشال زكريا أنَّ النظرية التوليدية " تتخذ شكل قاعدة (إعادة كتابة) ، أي أنَّها تعيد كتابة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام برمز آخر أو بعدة رموز"[٢]، وتكون هذه الكتابة بالنسبة للجملة المشتملة على ركن فعلي مؤلف من فعل وفاعل ومفعول به وشبه جملة عائدة للفعل.

ومن هنا تحدث (تشومسكي) عن البِنية السطحية ، وهو " الجانب المادي الظاهر من اللغة ، وهو قطعاً بِنية صوتية ، وهذا الجانب يختلف من لغة لأخرى ، أمّا الجانب الآخر من بِنية اللغة فهو ، عنده ، ما يعرف بالبِنية العميقة، وهو الشق الذهني المجرد المشترك بين كل اللغات "[٣]، ومن جانب آخر يرى منذر عياشي أنَّ البِنية السطحية تحدد التأويل الصوتي كلية ، في حين تعتبر البنية العميقة عن الوظائف القاعدية التي تضطلع بمهمة تحديد التأويل المعنوي[٤]، والتحويليون يميزون بين أمرين أساسيين في تمثل الظاهرة اللغوية ، أحدهما كفاية المتكلم ، والثاني يدل عليه ما يصدر من أداء.

وممكن تجاوز البِنى السطحية لهذه اللغة إلى بِنى عميقة تكشف عن الشبكة الداخلية التي تصنف الأداءات اللغوية وتستمر معها عملية التواصل والإبلاغ ،

---

[١] انظر : خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، عالم المعرفة – جدّة ، ط١ ، ١٩٨٤م، ص٥٦ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها.

[٢] ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت ، ١٩٨١م ، ص٢٠٣. وسأشير إلى هذا المرجع بـ: ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية .

[٣] محمد يوسف حبلص ، من أسس علم اللغة ، ط١ ، دار الثقافة العربية – القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٢٤١. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد حبلص ، من أسس علم اللغة .

[٤] تشومسكي والنظرية التوليدية ، العدد (٢٥٥) ، مجلة البيان – الكويت ، ١٩٨٧م ، ص٧٧. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : منذر عياشي ، تشومسكي والنظرية التوليدية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" إذ ليس للساني من مهمة في خاتمة المطاف ، سوى استنباط الشبكة التصنيفية التي تقوم عليها الظاهرة اللغوية ، مما يتيح له استطلاع مقومات الانتظام الداخلي عبر اكتشاف النواميس المحددة لبنية اللغة والمحركة لوظيفتها في آن معاً"[١].

ويُعدّ (تشومسكي) مؤسس النظرية التوليدية التحويلية ، فقد تجاوز هدف الألسنية عنده وصف اللغة إلى تفسيرها ، وتحليل تركيب البِنية اللغوية وتحوّلها من بِنية إلى أخرى اعتماداً على حدس المتكلم اللغوي ، ومعرفته الضمنية بقواعد لغته ، وهذه المعرفة هي التي عُني (تشومسكي) بدراستها ؛ إذْ إنَّ متكلم اللغة – في رأيه – هو موضوع الدراسة الألسنية من حيث هو قادر على إنتاج عدد غير متناهٍ من الجمل[٢].

والقدرة على إنتاج الجمل وتفهّمها في عملية تكلم اللغة بالكفاية اللغوية ؛ وهي معرفة الإنسان الضمنية باللغة ، أو معرفة الإنسان بقواعد اللغة التي تقود عملية التكلم بها ، وسمّى الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين الأداء الكلامي[٣].

ويريد (تشومسكي) بالحدس اللغوي عند المتكلم قدرته على أن يدلي بمعلومات حول مجموعة من الكلمات المتعاقبة التي تكوّن جملة صحيحة في اللغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة ، ؛ " لأن الكفاية اللغوية لا تنطوي على مقدرة إنتاج جمل اللغة وتفهمها فحسب ، بل تتضمن أيضاً الحكم على أصولية الجمل " [٤]، وهذا الحدس جزء من كفاية الإنسان اللغوية التي يحتاجها للتعبيرعن أفكاره .

والعلاقة فيما توحيه صلة اللغة بالفكر قد تكون ضرورية بين عناصر الإشارات المتولدة الذهن ، وذلك نتيجة اقتران الدال بالمدلول خلف الدلالة ،

---

[١] عبد السلام المسدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص٣٠.

[٢] انظر : ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية ، ص١٢.

[٣] المرجع ذاته ، ص ٣٢.

[٤] المرجع ذاته ، ص ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويؤكد ذلك بعض الدارسين ، حين يقول " لا تقتصر دلالة الكلمة على مدلولها فقط ، وإنَّما تحتوي على المعاني التي قد نتخذها ضمن السياق اللغوي ، وذلك لأنَّ الكلمات ، في الواقع ، لا تتضمن دِلالة مطلقة ، بلْ تتحقق دِلالتها في السياق الذي ترد فيه "[١]، وهذه البِنية العميقة أساسية لفهم الكلام وإعطائه التفسير الدلالي

وعند تحليل البِنية ، وهي بِنية ضمنية تتمثل في ذهن المتكلم والمستمع ، فإنَّها ترتبط بالدلالات اللغوية ، " أي أنَّها تحدد تفسير الجمل الدِّلالي ، على حين ترتبط البِنية السطحية بالأصوات اللغوية المتتابعة ، وتحدد تفسير الجمل من الناحية الصوتية التوليدية لدراسة الجمل اللامتناهية ، والتي تجسد القدرة الإبداعية للغة "[٢]، ونعني بالسطحية البِنية الظاهرة التي ينطق بها المتكلم ، أمَّا البِنية العميقة فهي القواعد التي أوجدت هذا التتابع ، التي يمكن تحويلها لتكوّن جمل اللغة.

وتمثلت نظرية (تشومسكي) أساساً في رسم أبعاد التحليل الدلالي ، ورؤية العلاقة الجدلية بين اللفظ والمعنى ، وخلق مستويات متعددة للعمق الإجرائي التوليدي لأصغر جزئية ممكنة ترسخ في الذات ، أو تطفو على السطح من خلال انتظامها وتشكيلها داخل السياق اللغوي وسياق الحال[٣].

ويقوم مفهوم الوظيفة الدلالية – في النظرية التوليدية التحويلية – على أنَّه نتيجة تحول العناصر المكوِّنة للدِّلالة الممكنة ،" إذْ تتفرع من البِنية العميقة جمل

---

[١] ميشال زكريا ، المكون الدلالي في القواعد التوليدية التحويلية ، الفكر العربي المعاصر ، العدد (١٨-١٩) ، مركز الإنماء – بيروت ، ١٩٨٢م ، ص٣٥ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : ميشال زكريا ، المكون الدلالي .

[٢] رجاء عيد ، البحث الأسلوبي (معاصرة وتراث) ، د.ط ، منشأة المعارف – الإسكندرية ،١٩٩٣م، ص٥٧. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : رجاء عيد ، البحث الأسلوبي .

[٣] عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية ، ط١ ، دار صفاء - عمان ، ١٩٩٨م ، ص٣١٨. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد القادر عبد الجليل ، الأصوات اللغوية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البِنية السطحية بواسطة العناصر المكونة التحويلية ، وتحدد هذه التحولات بشكل صارم على أساس الحفاظ على الدِّلالة ؛ أي أنَّها تتم دون أيِّ تغيير دِلالي"[١].

بدأت نظرية المدرسة التحويلية التوليدية[٢] – من خلال هذا الكتاب – شكلية تركيبية لا تتضمن إشارات إلى المستوى الدِّلالي ، فهو يتألف من ثلاث مكونات[٣] :

١- المكون التوليدي المركبي .

٢- المكون التحويلي.

٣- المكون الصوتي والصرفي .

أما في المرحلة الثانية [٤]، فقد ظهر كتاب لـ(تشومسكي) ، يبين فيه أنَّ المعنى أخذ مكانه في النظرية ، وهي تتألف من ثلاثة مستويات[٥] :

١- المستوى التركيبي .

٢- المستوى التوليدي : التي تولد البِنية العميقة للتركيب ، وهي التي تتضمن المعنى .

٣- المستوى التحويلي : وهي المسؤولة عن تحويل البِنية العميقة إلى بِنية سطحية .

٤- المستوى الدلالي : ويعمل على التراكيب المتولِّدة من البِنية العميقة ، وهو مجموعة القواعد التوليدية الدِّلالية التي من خلالها يتم إنتاج التمثيل الدِّلالي للتراكيب المتولدة .

---

[١] صلاح فضل ، علم الأسلوب : مبادئه وإجراءته ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص٨٨. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : صلاح فضل ، علم الأسلوب .

[٢] بدأت المدرسة التحويلية التوليدية في مرحلتها الأولى عام ١٩٥٧م ، وذلك عندما وضع (تشومسكي) كتابه (التراكيب النحوية) ، الذي يعد اللبنة الأولى في بناء هذه النظرية.

[٣] مازن الوعر ، نحو نظرية لسانية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ، ط١ ، دار طلاس – دمشق ، ١٩٨٧م ، ص٥٢-٥٣ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : مازن الوعر ، نحو نظرية لسانية حديثة .

[٤] وضع تشومسكي كتابه (مظاهر النظرية التركيبية) في عام ١٩٦٥م ، الذي يمثل ظهوره بداية المرحلة الثانية .

[٥] انظر : مازن الوعر ، نحو نظرية لسانية حديثة ، ص٥٥-٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكون تمثيلات البنية العميقة التي ينتجها المكون القاعدي ، المدخل للمكون التحويلي الذي يضم قواعد التحويل ، وينتج عن تطبيق القواعد التحويلية للبنيـــة السطحية للجملة .

وظهرت في المرحلة الثالثة [١] ، دور البنية السطحية في التغير الدلالي ، ولم تعد الدلالة مقصورة على البنية العميقة وحدها.

فالتجديد الأساسي في الدِّلالة التوليدية يقوم على أنَّ اشتقاق الجملة يبدأ بتوليد بِنية نحوية عميقة ، كما هي الحال عند تشومسكي ، بلْ بتوليد بنية دِلالية مجردة تعطي التمثيل الدِّلالي ، ومن ثمَّ تخضع هذه البِنية إلى عدة تحولات ، يتم خلالها إدخال مفردات المعجم ، إلى أن يتوصل أخيرا إلى البِنية السطحية .

ولأنَّ تركيب المعنى (البِنية الدِّلالية المجردة) يسبق التركيب النحـــوي ـــ عند هؤلاء ـــ تمَّ الاعتماد على التمثيل الدِّلالي للحكم على الجمل المتلازمة دون إيلاء التركيب النحوي الأهمية التي كانت له عند تشومسكي[٢] ، وسيظهر ذلك في محاولات بعض علماء العربية في وصف اللغة العربية .

وقد تأثر عدد كبير من المحدثين العرب بالنظرية التوليدية ، فمنهم من كانت نظرته شاملة في وصف العربية ، ومنهم من كانت محاولته جزئية في تنـــاول الظاهرة .

وبعد ، فقد لاحظنا – من خلال هذا العرض – اهتمام المدرســـة التوليديـــة التحويلية بالدلالة ، وإحلاله محلاً مهماً في النظرية العربية ، من أجل الوصول إلى وصف متكامل للغة من جوانبها المختلفة .

---

[١] بدأت المرحلة الثالثة في عام ١٩٧٢م، بظهور كتاب تشومسكي (دراسات الدلالة في القواعد التوليدية).

[٢] أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص٢٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

الوظائفُ الدِّلالية في البلاغة العربية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتناولُ هذا الفصل الوظائف البلاغية التي ترتبط بالدلالة العامة ، وهي عبارة عن وظائف دِلالية مخصوصة ، ترتبطُ بشروط معينة ، وتُمثِل حاجةَ المتكلم إلى التعبير عن دِلالات إضافية ، فتواكب الوظائف والمقاصد البلاغية للمتكلم والسامع.

كلُّ هذه الوظائف التي حدَّها البلاغيون ، وظائف مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوظيفة الدِّلالية ، والتي يُخرجها عن دلالتها الأصلية وظائف مقيَّدة ، بحيث يُوجهها وجهات دِلالية مخصوصة .

وقد تَبيَّن أنَّ بعضاً من هذه الوظائف قد ارتبط بالوظيفة الدِّلالية ؛ وذلك تبعاً لاختلاف المقامات المحيطة بالمتكلم ، ومراعاة لأحوال السامع ، والتأثيرِ فيهما.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوظائفُ الدِّلالية في البلاغة (علمِ المعاني)

تَكمُنُ الوظيفة البلاغية لعلم المعاني في إبراز الدِّلالة المركزية للمعنى وبيان قوته ، وتبدو أحياناً بعض الدِّلالات الجزئية شاردة بعيدة عن الدِّلالة المركزية ، ولكنَّ السياق يبرزُها ، وهي تمسكُ بالدلالةِ البعيدةِ الشاردة لتعيدها إلى سياقها المتفاعل مع الدلالات الأخرى ، فندرك بذلك قوة العلاقات وقوتها في الوظائف الدِّلالية ، هذه الروابط التي تبدأُ بدِلالةِ الوظيفة البلاغية الصغرى كالتنبيه والتعظيم، وتفاعلها ونموها ضمنَ دلالة الوظيفة البلاغية الكبرى ، كالنفسية والاجتماعية .

ولعلَّ بداية الاهتمامِ بالوظيفة الدلالية قد برزتْ لدى النحاة الأوائل ، فقد تنبهوا إلى أنَّ الجملةَ العربيةَ تتميز بحتميةٍ ترتيب أجزائها ، إلاَّ أنهم تركوا لنا رتباً تُحفظ ، والعدول عنها يمثِل خروجاً عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية [١]، حيثُ تتركزُ الوظائفُ الدلالية عند المتكلم ، لإبراز المنتج الإبداعي ، وتبدو تلك العملية غاية في الدقة للوصول إلى الدِّلالة العميقةِ التي يتوجب إيصالها إلى ذهن المتلقي إبداعاً.

ونلاحظ أنَّ الوظيفةَ الدلاليةَ التي تتعلق بالبلاغة العربية ، تأخذ تحولاً ذهنية، وكذلكَ يُلاحظ في هذا التحول أنَّه قد أخذ شكلاً(موضعياً) ليشمل التركيب ، ذلك أنَّ هناك تحولات أخرى تصيب التركيب ، لكنَّه يأخذُ شكل حركة أفقية ، تنتظم في البِنية العميقة ، ينتقل فيها الدال من موضعه الأصلي إلى موضع طارئ .

ويصرح ابن الأثير / ت٦٣٧ هـ/ أن علم المعاني لا غنى له عن النحو، وهو " بمنزلة أبجد في تعليم الخط "[٢]، ومن هنا ، انطلق البلاغيون من النظر

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ص٣٢٩.

[٢] ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزري (ابن الأثير) ، المثل السائر ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٩٨م ، ص٥ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : المثل السائر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى التراكيب على أساس "موافقة الكلام لمقتضى الحال" أو من مقولة "لكل مقام مقال" .

وتعد فكرة مطابقة الكلام لمقتضى الحال الفكرة الجوهرية التي ينـــادي بهـــا البلاغيون ، فإيراد المعنى الواحد بطرق شتى للوصول إلى الوظيفة الدِّلالية التي نريد .

فقد حصر البلاغيون مفردات علم البلاغة من حيثُ تناول أحـــوال المـــسند والمسند إليه , باعتبارهما قائمين بعملية الإسناد , " لا من حيثُ كونُهما دالين في صياغة مفيدة ؛ لأنَّ الاعتبارَ الثاني يُدخلنا في دائرة (علـــم البيـــان) "[١]، وهـــذه الأحوال تمثلُ ما يطرأ على البِنية الإسنادية التي تنشأ عن تحريـــك العناصـــر اللغوية من أماكنها إلى أماكن جديدة ، ليست لها في الأصل , أو إدخال عناصر أو حذفها ، أو فصلِها بعضها عن بعض.

والبلاغيُّ حريص على كـــشف الإرادة الاســـتعلامية للتركيـــب المنجـــز، والتركيب هو الذي يُنتج الوظيفة ، بما يتوافق مع السياق والمقـــام ، فـــالبلاغي عندما يشرح تركيباً من نحو: (ضاحكاً جاء محمدٌ) ، علـــى بيـــان أن تقـــديم (ضاحكاً) جاء لغاية يريدها المتكلم ؛ ليحقق وظيفـــة احتياجـــات المخاطـــب أو وظيفة المتلقي الدلالية ، فـــ(ضاحكاً) تحمل وظيفة دلالية , قد تكون للتخصيص أو للتفاؤل ، أو لغير ذلك من مقاصد التقديم وأغراضه ، فينطلقُ البلاغي مـــن النظر إلى التراكيب على أساس صورتها الظاهرة المنجزة في إطار من التفاعل بينها وبين مقتضيات المقام.

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص٢١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتلخصُ الوظائف الدلالية المتعلقة بعلم المعاني إلى أربع وظائف[١] :

١- الوظيفة الانفعالية أو العاطفية (التعبيرية) : يتمَّ التركيز فيها على المرسِل، وتتجه الرسالة إلى التعبير المباشر عن موقفه ممَّا يقول ، وهذا ما يجعلها تصْطبغ بلون من الانفعال العاطفي ، سواءٌ أكان صدقاً أم افتعلاً.

٢- الوظيفة الإفهامية (الطلبية) : حين يتمُّ التركيز على المرسَل إليه ، ويتمثل ذلك في بعض الصيغ الطلبية ، كالنداء ، والأمر ، والنهي .

٣- الوظيفة الانتباهية : وتكمن في الحرص على إبقاء التواصل بين المرسِل والمستقبِل في أثناء الإتصال .

٤- الوظيفة الشعرية : تتحقق حينَ يتمُّ التركيز على الرسالة اللغوية ذاتها ، وتكون هي غاية في نفسها ، فتصبح هي المعنية بالتحليل والدراسة .

[١] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ط١ ، دار الحضارة للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٦٤-٦٥. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول
الوظائفُ الدلالية للخبر

والخبرُ اصطلاحاً: هو ما احتملَ الصدق والكذب لذاته ، وقد قلنا لذاته لنُدخل في التعريف الأخبار الواجبة الصدق ، كأخبار الله وأخبار رسله ، والواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في دعواهم النُّبوة ، والبديهات المقطوع بصدقِها وكذبها[١].

وقد أورد البلاغيون القدماء الخبرَ بأنواعه ، وعدَّدوا صنوفه وأغراضه ؛ فتوصلَ عبد القاهر الجرجاني إلى أن الخبر لا بدَّ أن يأتيَ على نوعين هما : " خبر جزء من الجملة لا تتضمن الفائدة دونه ، وخبر ليس بجزء من الجملة ، ولكنَّه زيادة في خبر آخر سابق له ، فالأول خبر المبتدأ ، كمنطلق في قولك : (زيد منطلقٌ) ، والفعل كقولك : (خرج زيد) ، فكل واحد من هذَين جزء من الجملة وهو الأصل في الفائدة ، والثاني هو : الحال ، كقول :(جاءني زيد راكباً) ، وذاك لأن الحال خبر في الحقيقة من حيثُ أنَّك تثبت بها المعنى لدى الحال ، كما ثبتت بخبر المبتدأ للمبتدأ ، وبالفعل للفاعل "[٢]، فالأول : إفادة المخاطب الحكم ، ويسمى ذلك الحكم (فائدة الخبر) ، نحو ، الدِّين النصيحة ، فأنت تريد أن تفيد السامع أن الدِّين سلوك يدعو إلى الخير ، والثاني : إفادة السامع أن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمَّنه معنى الجملة ، ويسمى ذلك : (لازم الفائدة) ، نحو ، أنت تنال من الناس في غَيبتهم ، فالوظيفة الدلالية هي إعلام المخاطب أو السامع أن المتكلم عالم بأخلاقه في ذكر الناس في غيبتهم .

ويذكر أبو يعقوب السكَّاكي في هذا الباب أنَّ " الذي يحسن السكوت عليه لا محالة يتضمن نسبة المسند إلى المسند إليه ، فإنْ كان يقصد الدلالة على تلك النسبة المفهومة من الكلام حصلت في الخارج بين معنى المسند والمسند اليه ؛

---

[١] أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ط٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٤٣. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : أحمد المراغي ، علوم البلاغة .

[٢] دلائل الإعجاز ، ص١٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فذلك الكلام خبر ، وإنْ كان القصد الدلالة على أنَّ اللفظ وجدت به تلك النسبة ؛ فالكلام انشاء"[١]، فينتقلُ محتوى الكلام إلى جهةِ تحديد الوظيفة الدِّلالية ، فالأخبار واجبة الصدق ، كإخبار الله تعالى ، فننظر إلى الجهة المقصودة بتحديد الصدق أو الكذب، واحتماله الى الكلام نفسه لا الى قائله .

ويذكر بعض الباحثين أنَّ الوظيفة الانفعالية (التعبيرية) تهيمن على الرسالة اللغوية ، حين " يتمُّ التركيز على المتكلم ، وهي الوظيفة البارزة في الإسناد الخبري الذي يتجه غرضه إلى لازم فائدة الخبر "[٢] ، فالمتكلم يهدفُ إلى التعبير عن موقفه من الصياغة الإخبارية التي يرسلها ، دونَ إعطاء أهمية كبيرة للمتلقي، فالوظيفة البارزة في الإسناد الخبري تتجهُ للتواصل بين المتكلم والمتلقي .

وتختفي الوظيفة الشعرية في دلالة الإخبار ، وتتقدمُ الوظيفة الإعلامية التي تعتمد على المتكلمُ والمتلقي ، بحيث يكون مقصوراً على مستوى الاتصال النفعي ، ويصبح قصد المتكلم " إفادة المخاطب نفس الحكم ، كقولك : زيدٌ قائم ، لمن لا يعلم أنه قائم ، ويسمى هذا فائدة الخبر ، وإما كون المخبر عالماً بالحكم، كقولك لمن زيد عنده ، وهو لا يعلم أنَّك تعلم ذلك : زيد عندك ، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر"[٣]، فتتوارى الوظيفة الأدبية الجمالية ، ومن ثَمَّ تهيمن الوظيفة النفعية للتواصل بين المتكلم والسامع.

ويرى البحيري ويقرِّر أن الوظيفةَ الإفهامية (الطلبية) هي التي تهيمن على الرسالة اللغوية ، وذلك حين " يتمُّ التركيز على (المتلقي) ، وهي الوظيفة البارزة في الإسناد الخبري الذي يتجه غرضه إلى (فائدة الخبر) ، لأنَّ (المتلقي) يكون له الحضور المهيمن على الصياغة الأدبية "[٤]، فالمتلقي يكون حضوره هو المسيطرُ على تشكيل اللغوي لمضمون الرسالة .

---

[١] مفتاح العلوم ، ص ٧٩ - ٨٠ .

[٢] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص٦٦.

[٣] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق محمد خفاجي ، الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٨٩م ، ص١٠١ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : الإيضاح في علوم البلاغة .

[٤] تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندَ استعمال الأسلوب الخبري موضع الأسلوب الإنشائي ، يُنتج دلالات جمالية تتحرك في نطاق الوظيفة الانفعالية المتعلقة بالمتكلم ، والوظيفة الإفهامية يقصد منها المتكلم خروج الدلالة الأصلية بوضوح عن الأسلوب الإنشائي بدل الخبري ، لأنها تحقق وظائفَ جمالية .

ويبين البلاغيون العربَ أنهم على وعي بوجوب قصر غرضي فائدة الخبر ، ولازم الفائدة على المستوى الإعلامي من الإسناد الخبري ، وذلك " لأنَّ الجملة الخبرية في المستوى الأدبي تؤدي أغراضاً جمالية بلاغية يصعبُ حصرها ، وهي أغراض دينامية غير ثابتة ، تتغير بتغير السياقات المختلفة، وتفاعل الوظيفة الشعرية مع الوظائف اللغوية الأخرى"[١]، ففي الخطاب الأدبي تبرز الوظيفة الشعرية بشكل واضح تبعاً للسياقات المختلفة نتيجة تفاعلها مع غيرها من الوظائف الدلالية الأخرى ؛ لإنتاج وظائف بلاغية متنوعة وكثيرة ، والتي تدورُ في فلك الخطاب الأدبي .

ولكن الخبر كثيراً ما يخرج على خلاف مقتضى الظاهر ، فوظائف دلالة الخبر، إمَّا يدلُ عليها الخبر دلالة تَبَعية ، أي يتِمُّ ذلك عن طريق معرفة السياق وقرائن الأحوال ، أو أنْ يفهم من ذات الخبر ويدل عليه دلالة حقيقية مباشرة ، ويمكن حصر الوظائف الدلالية للخبر ، كالآتي :

١- الاسترحام والاستعطاف، نحو: إنَّي فقير إلى عفو ربي ، وإظهار الضعف [٢]، نحو ، قوله تعالى حكاية عن زكريا-عليه السلام-:{ ربِّ إنِّي وَهَنَ العظم منِّي واشتعل الرأس شيباً } (مريم : ٤) ، وإظهار التحسر على شيء محبوب[٣] ، وفي هذه الدلالة تتفاعل الوظيفة الشعرية مع الوظيفة الانفعالية ؛ لإنتاج آمال وأماني ، ومن هنا ، تظهر الوظيفة الاجتماعية ، حيثُ تهيمن الظروف المحيطة بالواقع النفسي الأليم .

---

[١] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص٦٧.

[٢] درويش الجندي ، علم المعاني ، ط ٢ ، مطبعة نهضة مصر – القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص٣١. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : درويش الجندي ، علم المعاني .

[٣] المرجع ذاته ، ص٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- تحريك الهمّة [١]، نحو : ليس سواءً عالمٌ وجهولٌ ، بحيثُ تتقهقر الوظيفة الانفعالية أمام المتكلم في البِنية السطحية ، وتبرز الوظيفة الطلبية [٢]، حيثُ تتجه الصياغة الدلالية إلى المتلقي مباشرة .

٣- التوكيد : لحظ البلاغيون أن وجود التردد في النفس يقتضي هذا الضرب من الصياغة المؤكدة [٣]، ففي قوله تعالى:{ وما أنزلَ الرحمنُ من شيء} (يس : ١٥) ، فهذا تأكيد للإنكار على لسان أصحاب القرية أن الله لم ينزل الرسالة، فأنكروها أشد إنكار [٤] ، فالتوكيد يأتي لإنكار شيء يثير في النفس إشارات وإيماءات.

٤- إفادة الحكم أو لازمه ، يقول عبد القاهر الجرجاني أن الدلالة في هذه الآية أن الظن قد كان منك أيه المتكلم في الذي كان ، أنه لا يكون [٥]، ويعلق سعد الدين التفتازاني /ت ٧٩٢هـ /على ذلك أنه يأتي " إظهاراً للتحسر على خيبة رجائها، وعكس تقديرها والتحزن إلى ربها ، لإنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً "[٦] ، كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران { ربِّ إني وضعتُها أنثى } (آل عمران :٣٦).

وظائف الأسلوب الخبري في موضع الأسلوب الإنشائي

عندَ وضع الصياغة الخبرية في موضع الصياغة الإنشائية يَنتج دلالات تتحرك في نطاق الوظيفة الانفعالية ، والوظيفة الإفهامية ، حيث يقول السكاكي:

---

[١] المرجع ذاته ، ص٣١.

[٢] أسامة البحيري ، تحولات البنية الدلالية في البلاغة العربية ، ص٦٨ .

[٣] محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ط٢ ، مكتبة وهبه - القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص٤٨ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب.

[٤] سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، مختصر المعاني في شرح تلخيص المفتاح ، د.ط ، مكتبة البابي الحلبي – القاهرة ، ١٩٦٥م ، ١٦١/١. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : المختصر على التلخيص.

[٥] دلائل الإعجاز ، ص٣٢٢.

[٦] سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، تح : عبد الحميد هنداوي ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠١م ، ص١٧٩. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : المطول شرح التلخيص.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" واعلم أنَّ الطلب كثيراً ما يخرج لا على مقتضى الظاهر ، وكذلك الخبر فيذْكرُ أحدهما في موضع الآخر ، ولا يصار إلى ذلك إلا لتوخي نُكَتٍ قلما يُتَفَطن لها"[١]، وتظهر هذه الدلالات كالآتي :

١- التفاؤل : "ويكون ذلك في(الدعاء) بأنَّ يقصد المتكلم طلب الشيء ، وتكون صيغة الأمر هي الدالة عليه ، أو طلب الكف ، وتكون صيغة النهي هي الدالة عليه ، فيعدل عنهما إلى صيغة الإخبار بالماضي الدالة على تحقيق الوقوع"[٢]، لأنَّ كثيراً من دلالات الوظائف الطلبية تسير في اتجاه معاكس لرغبات المتكلم ، كقولك : وفَقَك الله للعمل الصالح ، والمعنى الدلالي : اللهم وفْقه للعمل الصالح .

وظيفة خارجية ـــــــــ أسلوب خبري - أفعال ماضية ، مثال : (وفَقَك).

وظيفة داخلية ـــــــــ أسلوب إنشائي - أفعال أمر ، مثال : (وفِّقْه) .

ودلالة التفاؤل تتم بحصول شيء مأمول ، والحرص على وقوعه ، ومن هذه الوظائف :

أ- إشاعةُ التفاؤل بوقوع الدعَوات الصالحة التي تحفل بها الصياغة .

ب- إظهار الحرص على حصولها ، وذلك في استعمال الأفعال الماضية التي تفيد تمَام الحدث وانقطاعه ، فهي تحقق للمتلقي واقعاً يوافق رغباته الداخلية .

ج - توفير حضور خطابي للمتلقي ، يكفل له الحضور المعنوي والصياغي، وذلك يضفي عليه التشريف والتعظيم[٣].

فتتحرك دلالة التفاؤل وإظهار الحرص والرغبة في وقوع المعنى الإنشائي وتحقيقه إدخالاً للسرورعلى المخاطب.

---

[١] مفتاح العلوم ، ص١٧٩ .

[٢] بسيوني عبد الفتاح فيود ، علم المعاني ، ط٢ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة ، ٢٠٠٤م، ص ٢٨١. وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : بسيوني فيود ، علم المعاني .

[٣] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- الاحتراز عن صورة الأمر أو النهي المُشعِرة بالاستعلاء تأدباً مع المخاطب حيث يقتضي المقام ذلك التأدب [١]، كقولك لمعلمك : ينظر إليَّ أستاذي لحظة ... لا يعاقبني أستاذي ، ولو قلت : انظر بالأمر ، أو لا تعاقب بالنهي ، لكان قولك مخلاً بما يقتضيه المقام من تأدب التمليذ عند مخاطبة أستاذه [٢] ، والوظيفة الدلالية تتطلب استحضار صورة الأمر أو النهي وإبرازه.

٥- الإعلام : ويبدو ذلك واضحاً في الأساليب الخبرية المستخدمة في الكتب والمؤلفات العلمية التي تكون غايتها توصيل الحقائق إلى المتلقين ، كما تقول : (الشمس أكبر حجماً من القمر) ، لمن يجهل الحقائق [٣] ، وهو إعلام المتكلم للمخاطب بحكم يتضمنه الخبر ، دون علم المخاطب به.

٦- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ، إذا كان المخاطب جاهلاً له، ويسمى هذا النوع (فائدة الخبر)[٤] ، فالوظيفة الدلالية في هذا الخبر ، قُصد به إفادة المخاطب بمضمون الحكم.

٧- إفادة المخاطب أنَّ المتكلم عالمٌ أيضاً بأن المخاطب يعلم الخبر ، كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان ، وعلمتُ من طريق آخر : (أنت نجحت في الامتحان) ، ويسمَّى هذا النوع (لازم الفائدة) [٥]، فالوظيفة الدلالية التي يقصدها المتكلم أنَّ لا يفيد المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة ، وإنِّما يقصد أن يبين للمتكلم أنَّه عالمٌ بالحكم .

٨- المبالغةُ في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال ، نحوقوله تعالى :{ وإذْ أخذنا ميثاقَكم لا تسفِكون دماءكم } (البقرة : ٨٤) ، لم يقلْ : (لا تسفكوا)

---

[١] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٦٠ .

[٢] بسيوني فيود ، علم المعاني ، ٢٨٢/١.

[٣] حسن طبل ، علم المعاني ، د.ط ، مكتبة الإيمان – المنصورة ، ١٩٩٩م ، ص٤٠. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : حسن طبل ، علم المعاني .

[٤] أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص٥٤.

[٥] المرجع ذاته ، ص٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصداً في النهي[١] ، فالوظيفة الطلبية تسيطر على المخاطب ، على اعتبار أن (لا تسفكوا) جملة طلبية.

٩- سياق الإحباط ، والتحسر على شيء محبوب ، وإظهار الضعف ، بحيث تتفاعل الوظيفة الشعرية معَ الوظيفة الانفعالية للتعبير عن انفعال المبدع إزاء الآمال الضائعة ، والأماني المحبطة ، وموقفه من الرسالة ، ومن السياق المحيط بها[٢] ، حيث يتمُّ التركيز على المتكلم ، لأنَّ المتكلم وظيفته الصياغة الإخبارية التي يرسلها، وهي الوظيفة الانفعالية.

٨- وفي سياق النصح والإرشاد ، وتحريك الهمَّة ، والحث على العمل ، والتحذير، والتهديد ، والوعيد ، تتقهر الوظيفة الانفعالية تبعاً لانسحاب حضور الذات المبدعة من مستوى البِنية السطحية للصياغة ، وتبرز الوظيفة الإفهامية أو(الطلبية) [٣]، نحو ، الناس يشكرون المحسن ، نظراً لتوجه الناتج الدلالي للصياغة إلى المتلقي ، فإن الوظيفة تظهر في البِنية السطحية للصياغة بالدرجة الأولى.

ونجد عند دارسي البلاغة العربية هذا البعد النفسي الذي استشعره المحدثون؛ وذلك لأنَّ الوظائفَ الدلالية ملازمة للنفس الإنسانية , والتي تعتمد على إثارة التساؤلات ، مثلاً ، صيغ الأمر ، والنهي ، والنداء دلالات طلبية تسير عكس الرغبات ، ممَّا يؤسس واقعاً مخالفاً ، وذلك " لإثارة وجدان القارئ , وإشارة روحية رفيعة , تُحدِث السرور في النفس فتَقبل ، أو تُحِدث فيها الألم فتأبى وترفض, والقرآن غني بذلك "[٤], فهو في وعده ووعيده , وأوامره ونواهيه , لا يفعل هذه الناحية من نواحي النفس الإنسانية إلا لوظيفة دِلالية.

وفي تعدد الخبر توسع أفقي في نظام البلاغة وأساليبها ، ممَّا يؤدي إلى بسط الوظيفة الدلالية للكلام وإنمائها ، كما في قوله تعالى : {وهو الغفور الودود ،

---

[١] أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص١٠٠ . والجندي ، علم المعاني ، ص٦١.

[٢] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ٦٧ .

[٣] المرجع ذاته ، ص٦٨.

[٤] أحمد أحمد بدوي , من بلاغة القرآن ، د.ط , دار نهضة مصر – القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص٣٧ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذو العرش المجيدُ ، فعالٌ لما يريد } (البـــروج :١٤-١٥) ، وهنـــاك وظيفـــة أخرى تتطلبها حالة السامع النفسية والذهنية ، بحيثُ تنتج الوظيفة الدلالية ، كما في قوله تعالى :{ هو الأول والآخر والظاهر والباطن } (الحديد :٣) ، وهـــو تعدد الدِّلالات بالعطف.

وأهمية استبدال الأسلوب الخبري بالأسلوب الإنشائي ، هو توجيه الحث على التنفيذ والمسارعة في الدِّلالة السطحية ؛ فينفذ السامع ما أُمِر به ، أمَّا في البِنية العميقة ؛ فهي دِلالة متجددة ومستمرة ، لأنها أفعال مضارعة .

وظائف الأسلوب الإنشائي في موضع الأسلوب الخبري

أمَّا عند استعمال الأسلوب الإنشائي في موضع الأسلوب الخبري ، فهدفـــه تحقيق دِلالات بلاغية ، وكثيراً ما تظهر جماليات ذلك التبادل بـــين الأســـلوبين على التشكيل الصياغي البلاغي ، وتتوزع تلـــك الـــدِّلالات بـــين الوظيفـــة الانفعالية(المتكلم) والوظيفة الإفهامية (المتلقي) ، وإليك تلك الدلالات :

١- دلالة الأهمية : الأهمية وإظهار العناية بالشيء ، والاهتمام بشأنه ، كقولـــه تعالى : { قلْ أمرَ ربي بالقسطِ وأقيموا وجوهَكم عندَ كلِّ مسجد }(الأعـــراف: ٢٤)، فالدلالة على الفعل (وأقيموا) أنه أمر ، فعدل عن الخبر إلـــى صـــيغة الأمر، وذلك اهتماماً بالمأمور به والحرص على فعله [١]، وتتجه الدلالـــة إلـــى السامع، الذي يحتل فيه التشكيل والدلالة ، فالعدول عن الأسلوب الخبري إلـــى الأسلوب الإنشائي (وأقيموا) للدلالة على الأهمية والاعتناء ، فتتجه الدلالة من خلال الأسلوب الإنشائي الذي يحتل المتلقي فيه البؤرة

٢- دلالة الاحتراز : الاحتراز والتحاشي من مساواة اللاحق بالسابق[٢]، كقوله تعالى :{ قال إنِّي أُشهد الله واشهدوا أنَّي بريء ممَّا تشركون ، من دونه }(هود : ٥٤-٥٥) ، وهي دلالة ترتدُّ إلى الصياغة نفسها ؛ لتقيمَ فارقاً تـــشكيلياً ملحوظـــاً

---

[١] مختار عطية ، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) ، ط١، دار الوفاء – الإسكندرية ، ٢٠٠٤م ، ص٣٣. وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : مختارعطية ، علم المعاني .

[٢] أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص١٠٠ . ودرويش الجندي ، علم المعاني ، ص٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين دوال سابقة ودوال لاحقة[١]، ويتضمن العدول عن الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي دلالة الاحتراز .

٣- إظهار الرضى بالواقع حتى كأنه مطلوب ، كقوله صلى الله عليه وسلم : (من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) ، لم يقل صلى الله عليه وسلم : (تبوأ) إشارة إلى الرضا بأن يتبوأ الكاذب عليه مقعده من النار حتى لكان ذلك مما ينبغي أن يطلب [٢] ، وتنتج الدلالة الافهامية تحذيراً وتهديداً بالمصير الذي سوف يؤول إليه كل من يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي دلالة تتجه إلى المتلقي.

---

[١] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ١٣٢ .

[٢] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

الإنشاء

يشكل الإنشاء قسيم الخبر ، وهما يعدان تنوعاً في الخطاب بين المتكلم والسامع، فنجد أنَّ الإنشاء عند القزويني أنه :" الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب"[١]، فيقسِّم القزويني / ت ٧٣٩هـ/ الإنشاء إلى قسمين : طلب وغير طلب ، ويقول: " والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل "[٢]، فالإنشاء: كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه .

أما الإنشاء غير الطلبي ، فهو " ما لا يستدعي مطلوباً في الأصل " [٣]، ألا إنَّ الإنشاء غير الطلبي لم يبحثه البلاغيون ، لأن الإنشاء الطلبي " تتوارد عليه المعاني الذي تجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير ...، وهذا بخلاف الإنشاء الذي ليس وراءه طلب ، فليست أساليبه مما تتوارد عليه الدلالات " [٤]، وذلك لقلة الدلالات البلاغية الناتجة منه ، واكتفى البلاغيون بالإنشاء الطلبي .

وتختفي دلالة الصدق والكذب في الصيغ الإنشائية الطلبية ، لأنَّ الهدف ليس حدوث مطابقة بين النسبة الكلامية (الصيغة) والنسبة الخارجية (الواقع)، يقول سعد الدين التفتازاني في هذا الإطار: " الكلام إمَّا أنْ تكون نسبته بحيث تحصل من اللفظ ، ويكون اللفظ موجوداً لها من غير قصد إلى كونه دالاً على نسبة حاصلة في الواقع بين الشيئين ، وهو الإنشاء ، أو تكون نسبته بحيث يقصد أن لها نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه ، وهو الخبر"[٥] ، ويرى بعض

---

[١] محمد عبد المنعم خفاجي ، نحو بلاغة جديدة ، ط١ ، مكتبة غريب - القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص١٢٦ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد خفاجي ، نحو بلاغة جديدة .

[٢] الإيضاح في علوم البلاغة ، ٢٤٣ .

[٣] عبد القادر حسين ، فن البلاغة ، د.ط ، مطبعة الأمانة – القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص١١٥ . وسأشير إلى هذالمرجع بـ : عبد القادر حسين ، فن البلاغة .

[٤] محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص٢٠١.

[٥] المختصر على التلخيص ، ٢٦/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباحثين أن التفريق بين الخبر والإنشاء على أساس احتمال الصدق والكذب ، " تفريق منطقي لا فني ، فقد أدى ذلك إلى الاضطراب في نسبة الشرط نسبة واضحة إلى أسلوبي الخبر والإنشاء "[١], ووجه الحصر أنَّ الإنشاء، يكون للتنبيه على الوظيفة الدلالية باعتباره هدفاً صياغياً تتجه بنيته إلى الإنشاء.

واهتم البلاغيون ببحث الإنشاء الطلبي ، وسبيلهم في ذلك " كثير من الاعتبارات، وتتوارد عليه المعاني التي تجعله من الأساليب الغنية ذات العطاء والتأثير ... ، وهذا بخلاف الإنشاء الذي ليس وراءه طلب فليست أساليبه مما تتوارد عليها المعاني "[٢] ، وهناك سبب آخر ، هو قلة الأغراض والدِّلالات البلاغية للإنشاء غير الطلبي ، لقلة إمكاناتها التوليدية ، وسيطرة الدلالة الأصلية على البِنيتين السطحية والعميقة .

يقول السكَّاكي وهو يتحدث عن الدلالات الأصلية لأساليب التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء ، " متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما يناسب المقام ، كما إذا قلت لمن يدعي أمراً ليس في وسعه فعله ، امتنع أن يكون المطلوب بالأمر حصول ذلك الأمر في الخارج بحكمك عليه بامتناعه ، وتوجه إلى مطلوب ممكن الحصول "[٣]، فتوجيه السكَّاكي هو خروج الأمر عن معناه الأصلي والنحوي إلى معانٍ ، بقطع النظر عن العلاقة بين الدلالة الأصلية والدلالة الفرعية.

وتتحدد الوظائف الدلالية في الخطاب الإنشائي بطرق خمسة هي : الأمر ، والنَّهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء.

---

[١] تمَّام حسان ، الأصول ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص٣٤٨ .وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : تمَّام حسان ، الأصول .

[٢] محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص٢٠١ .

[٣] مفتاح العلوم ، ص ١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الأمر**

لغة : نقيض النهي ، أمره يأمره أمراً وإماراً فأتمر : أي قبل أمره [١].

والأمر عند السكَّاكي : "عبارة عن استعمال ، نحو : لينزلْ وانزلْ ، ونزالْ ، وصه ، على سبيل الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة "[٢] ، وعند يحيى بن حمزة العلوي " صيغته تستدعي الفعل ، أو قول ينبيء عند استدعاء الفعل من جهة الغير، بل جهة الاستعداد " [٣].

وعرّف عبده قلقيلة الأمر : أنه طلب حصول الفعل [٤]، وورد عند فضل عباس أنَّه طلب الفعل على وجه الاستعلاء [٥]، فهو طلب الفعل لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك ويتوقف الطلب على القرينة .

وتفسير الاستعلاء أنْ يخاطب الإنسان من أقلُّ منه شأناً سواءٌ أكان في الحقيقة أم لا ، وصيغته " تستدعي الفعل أو القول الذي ينبئ عن استعداد الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء "[٦]. ولا شبهة في أنَّ الطلب على سبيل الاستعلاء يورِثُ إيجاب الإتيان على المطلوب منه.

والأمر في الأصل أنْ يدل على الوجوب ، وإنَّما يدل علي غيره بالقرائن ، ومن هنا لا بدّ أن يكون على جهة العلو ، أي : من الأعلى لمن هو أدنى منه[٧] ، فإذا امتنع حمله على حقيقته ، تولد منه وظائف دلالية بمعونة القرائن بما يناسب المقام.

---

[١] لسان العرب : مادة (أ م ر) .

[٢] مفتاح العلوم ، ص٣١٨ .

[٣] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل ، ط١ ، دار الكتب العلمية- بيروت،١٩٨٠م، ٢٨١/٢ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة.

[٤] عبده عبد العزيز قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية، ط١ ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص١٥٣. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبده قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية .

[٥] فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ط٣ ، دار الفرقان – إربد ، ١٩٩٢م ، ص١٤٩. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها .

[٦] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، ٢٨١/٢.

[٧] فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوظائف الدِّلالية للأمر تعبر عن الوظيفة الانفعالية التي تعكس حال المتكلم، ويبدو أنَّ فعل الأمر لا يمكن معالجته إلا بالانفعال ، " فإذا لم يستطعْ تحقيق شيء ناداه ، أو دعاه إلى نفسه دعاء ، فالفعل الطلبي واضح في الدلالة على ما يشبه العجز والقصور ، ومحاولة الثبات والرسوخ في مجال يتعرض للتموج والاضطراب"[١]، وتتولد الوظيفة الانفعالية حين يتم التركيز على المتلقي.

ويخرج الأمر إلى وظائف دلالية خارج الطلب بما يناسب المقام ، تدرك من مجرى السياق ، منها :

١- الدعاء : الدعاء هو طلب على وجه التضرع والخضوع، ويكون من الأدنى إلى الأعلى[٢]، وأسماه ابن فارس (المسألة)[٣] ، وسر بلاغة التعبير بالأمر في مقام الدعاء ، وبيان شدة رغبة العبد التضرع ، فالدعاء طلب على سبيل التضرع .

وتتحرك دلالة الدعاء في نطاق الوظيفة الانفعالية ، أي أنَّها ترتد إلى الذات المبدعة لتعبرَ عن المشاعر والانفعالات، ومع استحضار الدِّلالة الأصلية وهي الاستعلاء ، تنزلق لتحل محلها دلالة الخضوع والتذلل[٤]، وبذلك تنعكس حركة الدِّلالة من الأسفل إلى الأعلى ، كقول موسى– عليه السلام -:{ قال ربِّ اشرحْ لي صدري ويسرْ لي أمري واحللْ عقدة من لساني يفقهوا قولي }(طه : ٢٥-٢٨) ، وهو يتحقق إذا كان الأمر من أدنى إلى أعلى.

٢- الالتماس : وهو عند القزويني "على سبيل التلطف من دون استعلاء، كقولك لمن يساويك في الرتبة : افعلْ "[٥]، والالتماس في العرف إنِّما يُقال على سبيل نوع من التضرع ، لا إلى حد الدعاء[٦]، ودِلالة (الالتماس) تدور في

---

[١] مصطفى ناصف ، النحو والشعر(قراءة في دلائل الإعجاز) ، مجلة فصول – القاهرة ، العدد (٣) ، ١٩٨١م ، ص٣٩. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : مصطفى ناصف ، النحو والشعر .

[٢] انظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، ص١٤٨.

[٣] الصاحبي في فقه اللغة ، ص١٣٨ .

[٤] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص١١٧ .

[٥] الإيضاح في علوم البلاغة ، ص١٤٨ .

[٦] المطول شرح التلخيص ، ص٤٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلك الوظيفة الانفعالية ، وتتجه بؤرتها الدلالية إلى المتكلم ، مع استحضار الوظيفة الطلبية في الدائرة العامة ، ويكاد يكون مساوياً لها في المقدار ، وتختفي دلالة (الاستعلاء) أمام الوظيفة الطلبية لتصبح مساوية معها [١]، كما تقول لشخص في منزلك : أعطني كتابك ، لأنَّ دِلالة الاستعلاء تتجه إلى المتكلم ، ودِلالة الطلب تتجه إلى المتلقي ، فالدِّلالة تكون في نظيرَين متساويين في القدر والمنزلة ، مثل الحبيب والمحبوبة .

٣- التمني : تستعمل صيغة الأمر في التمني ، وهو طلب المحبوب الذي لا طماعية فيه ، كقوله تعالى : { ربنا أخرجنا منها نعملْ صالحاً فإنا ظالمون } (المؤمنون : ١٠٧) ، حيث " طلبوا الخروج من النار ولات حين الخروج ، إنه محال و لا طمع لهم في حصولهولكن التمني "[٢]، وتتحرك دلالة التمني في نطاق الوظيفة الانفعالية ، لأن المتلقي المباشر ليس له دور مؤثر ، حيث إن الأمر يوجه إلى ما لا يعقل ، فترتد الدلالة إلى انفعالات المتكلم ورغباته ، والمبدع يكون منغرساً في عمله الإبداعي، فيتم تشكيل عالم خاص به ، سواءٌ أكان صادقاً أم كاذباً، كقول امرئ القيس / ت٨٠ ق.هـ/ :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ[٣]

فتوجيه الشاعر لوظيفة التمني تظهر من خلال تمني إنجلاء وانكشاف الليل على غير الحقيقة ، وإنما كان ذلك لطول وحشة الليل .

٤- النصح والإرشاد : هو الطلب الذي لا تكليف ولا إلزام فيه ، وإنما هو طلب يحمل بين طياته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد[٤] ، والنُّصح يتحرك فيه الأمر من أعلى إلى أسفل[٥]، كقوله تعالى : { خذْ العفو وأمرْ بالعرف

---

[١] انظر : أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص١١٨ .

[٢] بسيوني فيود ، علم المعاني ، ص ٧٣/٢.

[٣] ديوان امرئ القيس ، تحق : حنا الفاخوري ، ط٢ ، دار الجيل – بيروت ، ٢٠٠٥م ، ص١٨ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : ديوان امرئ القيس .

[٤] عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية (علم المعاني) ، ط١ ، دار النهضة – بيروت ، ١٩٨٥م ، ص٨٥ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية .

[٥] عبده قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية ، ص١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعرضْ عن الجاهلين } (الأعراف : ١٩٩) ، والإعراض عن الجاهلين يكون بالحِلم عليهم ، وكون الاستعلاء مصحوباً بدِلالة إفادة المتلقي ، والحرص على مصلحته ، ويأتي الإرشاد والنصح في المصالح الدنيوية .

٦- التسوية : ومن المعاني التي تخرج إليها صيغة الأمر التسوية ، كما في قوله تعالى :{ أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يُتقبل منكم } (التوبة : ٥٣) ، فيرى سعد الدين التفتازاني في التسوية أنه توهم أن أحد الطرفين من الفعل والترك أنفع له وأرجح بالنسبة إليه[١]، وربما توهم أن الإنفاق طوعاً مقبول دون إكراه ، فسوى بينهما ، وتتحرك دِلالة التسوية في نطاق الوظيفة الطلبية(الإفهامية)، مع بروز أهمية الصياغة التي تطرح أمرين متساويين[٢]، وتتجه بؤرة الدِّلالة إلى التوزيع بين المتلقي والصياغة نفسها ، وذلك حينَ يكون للوظيفة الانفعالية حضور مهيمن على الذات المبدعة ، بحيثُ تتساوى مع الصياغة التركيبية.

ويرى عبد العزيز عتيق أنَّ التسوية في مقام يُتوهم فيه أنَّ أحد الشيئين أرجح من الآخر[٣]، ففي قوله تعالى : { اصبروا أو لا تصبروا } (الطور : ١٦)، يُتوهم فيه أنَّ الصبر نافع ، فدفع ذلك بالتسوية بين الصبر وغيره[٤] ، ولكن السياق هو الذي غيَّر الدِّلالة ، وعندها تتجه الدِّلالة إلى التسوية ، ويتوزع الناتج الدلالي بين المتلقي والتشكيل الصياغي .

٧- التخيير: ودِلالة التخيير موجهة إلى المتلقي مباشرة لتخييره ، وهو أنْ يطلب من المخاطب أنْ يختارَ بين أمرين أو أكثر ، مع امتناع الجمع بين الأمرين أو الأمور التي يتطلب إليه أن يختار [٥]، نحو : (تزوجْ فاطمة أو أختها) ، فالمخاطب مخير بين زواج فاطمة أو أختها ، ولكن ليس له أنْ يجمع بينهما .

---

[١] المطول شرح التلخيص ، ص ٤٢٣.

[٢] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ١٢١.

[٣] في البلاغة العربية ، ص٨٨ .

[٤] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٣٩ .

[٥] عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ، ص٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- الإباحة : وقد وردت الإباحة عند القزويني باستخدام صيغة الأمر في مقام الأذن ، وليس على وجه الاستعلاء بحسب ما يتطلبه السياق[١]، وتتجه دلالة الإباحة إلى المتلقي ، " والمخاطب في الإباحة كأنه توهم أنْ ليس يجوز له الإتيان بالفعل ، فأبيح له الفعل مع عدم الحرج في الترك"[٢]، نحو : (اختر ما تشاء) ، وتكون حيث يتوهم المخاطب أنَّ الفعل محظور عليه ، فيكون الأمر بعد ذلك إذْناً له بالفعل ، ولا حَرَجَ عليه في الترك ، فتأتي دلالة الإباحة لتأذن له في ممارسته ، ويكون هنا حضور المتكلم ضرورياً ليعلن عن ممارسته لهذا العمل المباح .

- **النهي**

النهي لغة : خلاف الأمر ، نهاه ينهاه نهياً وتناهى : كفَّ [٣].

يذكر يحيى بن حمزة العلوي النهي بـ : " أن الأمر لا بد فيه من إرادة مأمورة، وان النهي لا بد فيه من كراهية منهية " [٤]، ويعرفه فضل عباس أنه : " طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وله صيغة واحدة ، وهي : الفعل المضارع مع (لا) الناهية"[٥] .

فللنهي حقيقة واحدة هي الفعل المضارع المقترن بلا الناهية ، كما في قوله تعالى : { ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقهم وإياكم } (الأنعام : ١٥١)، فلقد ورد أسلوب النهي الذي جرى على المعنى الأصلي ، فهو موجه من الأعلى إلى الأدنى ، أي : من الخالق إلى المخلوق .

ولكنَّ النهي يخرج عن معناه الحقيقي إلى دلالات مجازية يظهرها السياق بمصاحبة القرائن ، وهذه الدلالات هي التي تخرج الأسلوب من البنية السطحية

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة ، ص١٤٧

[٢] المطول شرح التلخيص ، ص ٤٢٦ .

[٣] لسان العرب : مادة (ن هـ ي)

[٤] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، ٢٨٥/٣ .

[٥] البلاغة فنونها وأفنانها ، ص١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تتحجم في سمة التقرير إلى ابداعات تُقدم فيها وظائف تعتمد في جلِّها إلى البنية العميقة ، ومن هذه الوظائف :

٢- دِلالة النصح : وذلك إذا كان النهي صادراً من أعلى إلى أسفل لكن ليس على سبيل الإلزام أو كان نهياً من ذي خبرة [١] ، كقوله تعالى : { لا تسألوا عن أشياءَ إنْ تُبدَ لكم تسؤكم }(المائدة : ١٠٤) فتظهر ، هنا ، الدلالة في نطاق الوظيفة الطلبية ، وتتجه البؤرة إلى السامع والمتلقي في الصياغة .

٣- دلالة التهديد : وتتحرك في نطاق الوظيفة الانفعالية ، لأن المتلقي المباشر له دور مؤثر[٢]، نحو ، لا تنتهِ عن غيك ، حيث إنَّ النهي يوجه إليه في حالة العصيان والمخالفة ، فترتد الدلالة إلى انفعالات المتلقي ورغباته ، إذا كان الناهي غير راضٍ عن الفعل.

٤ – الالتماس : وتأتي دلالة (الالتماس) عندما يكون النَّهي صادراً من شخص إلى آخرٍ يساويه قدراً ومنزلةً [٣]، ودلالة الالتماس تدور في فلك الوظيفة الانفعالية ، وتتجه بؤرتها الدلالية إلى المتكلم ، مع استحضار الوظيفة الطلبية في الدائرة العامة، ويكادُ يكون مساوياً لها في المقدار ، كما في قوله تعالى : { يا ابن أمّ لا تأخذْ بلحيتي ولا برأسي } (طه : ٩٤) .

- **التَّمني**

التَّمني لغة : تَمنى الشيءَ : أراده ، والتمني : تشهّي حصول الأمر المرغوب فيه[٤].

وعرَّفهُ سعد الدين التفتازاني بقوله : " طلبُ حصولِ شيء على سبيل المحبة"[٥]، فهو طلبُ أمر على سبيل تحققه ، لكونه نادر الحصول ، وكثيراً ما

---

[١] عبده قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية ، ص ١٦٠.

[٢] عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر ، ط١ ، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان ، ٢٠٠٢م ، ص٢٦٢. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر .

[٣] عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ، ص٩٢ .

[٤] لسان العرب : مادة (م ن ي) .

[٥] المختصر على التلخيص ، ٥/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَطلب المرء شيئاً لا يمكن الحصول عليه ، فهو توقُّع أمر محبوب في المستقبل، والفرقُ بينه وبين الترجِّي أنَّه يَدخل المستحيلات ، والترجِّي لا يكون إلا في المُمْكِنات .

وعرفه كذلك فضل عباس أنه: " طلب الشيء المحبوب ، قد يكون ممكناً ، وقد يكون مستحيلاً" [١]، فهو طلب أمر محبوب لا يتوقع حدوثه ، فإبراز الوظيفة الدلالية من وراء التمني هي تقريب الصورة الممكنة للمحبوبة ، وذلك لكمال الاهتمام بالشيء المحبوب .

فإذا كان المطلوب متوقعاً ، كان الكلام ترجياً ، والعبارة عند ذلك تكون بـ(لعل وعسى) ، وليس معنى هذا أن التمني للأمر مستحيل تحققه أبداً ، وإنْ كان القول أن الترجي طلب ممكن حصوله دائماً ، فهذا الأمر خالٍ من الدقة ، ذلك أن التمني للمستحيل وقد يكون لغير المستحيل ، كما في قوله تعالى :{ يا ليتَ لنا مثل ما أُوتي قارون } ، (القصص : ٧٩) ، فهذا التمني ممكن وليس مستحيلاً ، لكن صعوبة تحققه تجعل المتمنين غير متوقعين له .

وهناك فروق بين التمني والترجي ، منها أن التمني طلب حصول الشيء والمحبوب دون ان يكون للمتمني طمع وترقب في حصوله ، وهذا الأمر يرجع إلى الوظيفة النفسية بالدرجة الأولى ، " فالمعاني التي نعدها من باب التمني ، ذات طبيعة خاصة ، فهي من المعاني خاصة ، فهي من المعاني التي تتعلق بها القلوب ، سواءٌ أكانت بعيدة أم قريبة "[٢]، فإذا كان المتمنى من الأمور التي يمكن الحصول عليها انتقل الأمر من التمني إلى الترجي ، مثال ، ليت لي مالاً فأتصدق به ، فإذا كان الحصول عليه متوفراً ، نقول : لعل لي مالاً فأتصدق به.

وتظهر الوظيفة الدلالية للتمني من البعد الداخلي والخارجي ، فـ(هل) تتحول بنيتها من الاستفهام إلى التمني ، " لأنها تعمل على إنتاجه في صورة المستفهم عنه ، الذي لا جرم بانتفائه لإظهار كمال العناية به ، حتى لا يستطاع

---

[١] البلاغة فنونها وأفنانها ، ص١٥٦.

[٢] محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص٢٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإتيان به إلا في صور الممكن الذي لا يطمع في وقوعه "[١]، وهـذا الإنتـاج يعتمد على تحول أداة الاستفهام (هل) إلى التمني (ليت) ، فقولنا ، ليت محمداً نشيط ، ترتد إلى أتمنى محمد نشيط .

- **النِّداء**

النِّداء لغة : النداء الصوت مثل الدعاء والرغاء ، وتناداه ، ونـادى بـه ، وناداه منادةً ونداءً ، أي : صاح به [٢].

ويعرف عبد القاهر الجرجاني النِّداء: أنه المطلوب إقباله حقيقة[٣] ، أو هو : طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعوه ونحوه [٤]، فالهدف السامي من النـداء ، هو إرسال رسالة من المتكلم إلى السامع .

ويخرج النداء كثيراً عن معناه الحقيقي الذي هو طلب المتكلم إقبال المخاطب إليه إلى وظائف دلالية يحددها إلى سياق العبارة ، من هذه الوظائف :

١- التحسر : وهو استعمال النداء بمد الصوت تعبيراً عن تأوه داخلـي في النفس [٥]، ومنه قوله تعالى :{ أنْ تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرطت فـي جنب الله وإنْ كنت لمن الساخرين } (الزُّمر:٥٦) ، وهنا ، تتحـرك الوظيفـة الانفعالية ؛ لتعبر عن انفعالات المتكلم ومشاعره اتجاه الشيء المتحسر عليه .

٢- التعجب : كقولك : يا الله !." وتتحرك دلالة التعجـب فـي نطـاق الوظيفة الانفعالية ، لتعبر عن موقف المتكلم تجاه سلوك محيّر، أو تعبـر عـن

---

[١] عبد الرحمن الشربيني / ت١٩٠٨م/ ، فيض الفتاح على حاشية شرح تلخيص المفتاح ، إدارة أوقـاف الحلمية – القاهرة ، ١٩٠٥ م ، ٢/ ٢٤٠ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : فيض الفتاح .

[٢] لسان العرب : مادة (ن د ي) .

[٣] دلائل الإعجاز ، ص ١٢٣.

[٤] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٥٨ .

[٥] عبد الرحمن حسن الميداني ، البلاغة العربيـة ، ط١ ، دار القلـم – دمـشق ، ١٩٩٦م ، ص٢٤٧. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد الرحمن الميداني ، البلاغة العربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إعجابه وانبهاره بشيء خارجي"[١]، ففي قوله تعالى : { ياحسرةً على العباد } (يس : ٣) ، فالحسرة لا تنادى ، وإنما ينادى الأشخاص ، والمعنى على التعجب ، وتتجه الوظيفة الانفعالية ؛ لتعبرَ عن تعجب المتكلم تجاه سلوك خارجي .

٣- الاختصاص : تظهر دِلالة الاختصاص في نطاق الوظيفة الانفعالية أو الطلبية ، وتتحرك هذه الوظيفة الطلبية حين يكون المقصود بالاسم الظاهر متلقياً مذكوراً في الصياغة ، وذلك يُولِّد دِلالات إضافية تعتمد على الصياغة[٢]، ويكون بحذف النداء ؛ مثل : أيها الرجل ، أي دون الرجال ، وهذا هو أحد الفروق بين النداء والاختصاص ، إذ في النداء قد يذكر حرف النداء [٣]، وترتد الوظيفة الدِّلالية للاختصاص إلى السياق الداخلي ، ويتحول إلى وظيفة دلالية انفعالية أو طلبية .

٤- النُّدبة : وهي رفع النداء بصوت حزين تعبيراً عن مشاعر داخلية ، " وتتحرك دلالة الندبة في نطاق الوظيفة الانفعالية ، لتعبر عن فجيعة المتكلم بفقد شيء أو شخص عزيز لديه"[٤] ، فتتجه بؤرتها الدلالية إلى المتلقي مباشرة .

- **الاستفهام**

الاستفهام لغة : طلب الفهم : وهو معرفتك الشيء بالقلب ، وفهمه فهماً وفهامة : علمه ، وفهمت الشيء عقلته ، وعرفته ، وأفهمته الأمر ، وفهمّت فلاناً وأفهمته وتفهّم الكلام واستفهمه : سأله أن يفهمه [٥].

والاستفهام اصطلاحاً ، " طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه أنه طلب خبر ما ليس عندك أي طلب الفهم " [١] ، أو "

---

[١] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ١٢٧.

[٢] المرجع ذاته ، ص ١٢٨ .

[٣] فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها، ص١٦٦.

[٤] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص١٢٧.

[٥] لسان العرب : مادة (ف هـ م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طلب حصول الشيء في الذهن "[٢]، وورد الاستفهام عند فضل عباس أنه :" طلب الفهم ، وهو استخبارك عن الشيء الذي لم يتقدم لك علم به" [٣] ، أو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل.

فالاستفهام طلب الفهم بشيء لم يكن معلوماً ، ومنهم من يفرق بينه وبين الاستخبار بقوله : " إن الاستخبار ما يسبق أولاً ولم يفهم حق الفهم ، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً " [٤]، ولكن المعروف أن الاستفهام يكون بأدوات طلب الفهم ، فالاستفهام بنية طلبية .

أما الوظائف الدلالية التي يدل عليها الاستفهام :

١- دِلالة التهويل والتعظيم : دِلالة التهويل والتعظيم التي تتجه إلى ترهيب المتلقي وتخويفه من أمر عظيم ، كما في قوله تعالى: { ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين ، مَنْ فرعون } (الدخان : ٣٠-٣١) ، " وهي قراءة ابن عباس- رضي الله عنهما - بلفظ الاستفهام ورفْع فرعون "[٥]، وتتحرك دلالة التعظيم في الآية على نطاق الوظيفة الانفعالية ، لترتد إلى المتكلم فيكون حضورها على التشكيل الصياغي للمفردات .

وتتم وظيفة الدلالة بخروج الاستفهام عن معناه الأصلي ، واستخدامه في الدلالة على ما يتحلى به المسؤول عنه من صفات حميدة ، كالشجاعة ، والكرم والسيادة والملك وما أشبه ذلك [٦] ، فتُقرِّر دلالة التعظيم وتُمكِّنُها في النفس ، وذلك ضمن الوظيفة الانفعالية ، فتهيمن على حضور المتكلم ؛ لتشكيل الوظيفة بالتنبيه على عظمة صفاته الحميدة .

---

[١] بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي / ت ٧٩٤ هـ / ، البرهان في علوم القرآن ، ط١ ، بيروت – دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٢م، ٣٢٦/٢. وسأشير إلى هذا المصدر بـ : البرهان في علوم القرآن .

[٢] المختصر على التلخيص ، ٢/ ٨.

[٣] البلاغة فنونها وأفنانها ، ص١٦٨.

[٤] الصاحبي في فقه اللغة ، ص١٨١ .

[٥] المطول شرح التلخيص ، ص ٤٢٣.

[٦] عبد العزيزعتيق ، في البلاغة العربية ، ص١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- التقرير : معناه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه[١]، وقد يقال التقرير التحقيق والتثبيت ، كقوله تعالى : { ءأنت فعلت هذا بآلهتنا } (الأنبياء : ٦٢) ، فالكفار يريدون أن يقر بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن يقر بأنه منه كان [٢]، إذ ليس مراد الكفار حمل إبراهيم - عليه الصلاة والسلام – بأن كسر الأصنام قد كان ، بل على الإقرار بأنه منه كيف كان ؟ [٣] ، فإذا قلت (ءأنت فعلت ذاك) ، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل، ودلالة التقرير لا تتحرك إلا في نطاق الوظيفة الإفهامية ، " لأن المتلقي له الحضور المهيمن في تشكيل الصياغة ، وبؤرة الدلالة موجهة إليه في الأساس "[٤]، " ذلك لأنه أوقع في النفس ، وأدل على الإلزام "[٥]، كما في قوله تعالى:{ ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك } (الشرح : ١،٢) ، وتتحرك الوظيفة الطلبية، وذلك لأن السامع له حضوره ، فتتجه البؤرة للإقرار والاعتراف ، وهنا ، يجب أن يلي الهمزة الشيء المراد إقراره.

والغرض البياني من الاستفهام التقريري إلزام المخاطب بالحجة ، وانتزاع الاعتراف منه بما يريد المتكلم ، وفي ذلك غرض نفسي ، وذلك لأن البيان والبلاغة لهما صلة وثيقة بقضايا النفس ، وعلم النفس[٦] .

ودلالة التقرير نوعان :

أ- دلالة بمعنى التحقيق والتثبيت كقول العبد الصالح لموسى عليه الصلاة والسلام : { ألمْ أقلْ لك إنِّك لن تستطيعَ معيَ صبراً } (الكهف : ٧٥) ،" فهو تحقيق وتثبيت لما قاله لموسى من قبل "[٧] .

---

[١] انظر : المختصر على التلخيص ، ٢/ ٢٢. ودرويش الجندي ، علم المعاني ، ص٥٣ .

[٢] دلائل الإعجاز ، ص١٥٢ .

[٣] المطول شرح التلخيص ، ص ٤١٩.

[٤] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ١١١.

[٥] فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ١٩٠.

[٦] عبد العزيزعتيق ، في البلاغة العربية ، ص ١٩٣ .

[٧] المرجع ذاته ، ص ١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يقال التقرير بمعنى التحقيق والتثبيت ، أي " بمعنى حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه " [١]، نحو ، أضربت زيداً إذا أردت حمله على الإقرار بالضرب .

ب- دلالة طلب المخاطب بما يريد المتكلم ، كما في قوله تعالى :{ ألستُ بربِّكم، قالوا بلى } (الأعراف ١٧٢) ، وشرح الآية بدلالة كون الاستفهام على أصله ، " إذ ليس في السياق ما يدل على أنهم عالمين بأن إبراهيم – عليه السلام – هو الذي كسر الأصنام حتى يمتنع حمله عل حقيقة الاستفهام " ، وهذا النوع يختلف عن السابق ، لأنَّه يحتاج إلى جواب .

٣- التمنِّي : ففي قوله تعالى : { وزُلزِلوا حتى يقولَ الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله } (البقرة ٢١٤) ، واسم الاستفهام متى يدل على الاستعطاء ، يقول الزمخشري : " فيها طلبَي النصر وتمنيه ، واستطالة أمد الشدة ، وهو رأي وثيق إذْ التمني ظاهر فيها " [٢]، وتتحرك دلالة التمني في هذه الآية على نطاق الوظيفة الانفعالية ، وذلك عندما يكون السؤال موجهاً إلى مَنْ لا يعقل ، وأساليب الاستفهام تستخدم في السور المكية لما فيها من الوعيد الشديد للمشركين ، فترى شتى المعاني الاستفهامية تؤثر في المشاعر.

٤- دلالة الإنكار: الاستنكار استفهامك أمراً تنكره [٣]، وهو كما يراه عبد القاهر الجرجاني ، " لتنبيه السامع بأن يرجع إلى نفسه ، فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب ، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه ...، وإمّا لأنَّه همَّ بأنْ يفعل مالا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ ، وإمَّا لأنَّه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله"[٤]، فالإنكار الموجه إلى الفعل ولكن يحتمل وقوعه، نحو قوله تعالى:{ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين } (النساء : ١٤٤) ، فالإنكار موجه إلى المؤمنين من غضب الله ،

---

[١] المطول شرح التلخيص ، ص ٤١٩.

[٢] الكشاف ، ١٣٠/١

[٣] لسان العرب : مادة (ن ك ر) .

[٤] دلائل الإعجاز ، ص١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا ينبغي أن يكون ، لن تلك الإرادة لم تحدث ، حتى إذا أحس المؤمنون بذلك التوبيخ تذكروا ، وهو موالاة الكفار .

٥- دلالة التشويق التي تسعى إلى الحث على النهوض والالتزام بما في الصياغة ، لأنَّها تهدف إلى الوفاء بمضمونها ، " ويهدف التشويق في الخطاب الروائي والأساليب السردية إلى زيادة الارتباط بين المتلقي والصياغة ، والتفاعل بينهما لاستبطان القيم الجمالية التي يشتمل عليها النص ، ويرد هذا الأسلوب في القرآن الكريم بصيغة : { هل أتاك ...} "[١]، ودلالة التشويق تسلتزم وجود سامع حاضر في الصياغة ، وذلك للوفاء بما جاء فيها .

٦- دلالة التحقير والتهكم : هي عندما يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على ضآلة المسؤول عنه ، وصِغر شأنه مع معرفة المتكلم أو السائل به[٢]، وتتجه الوظيفة الانتباهية إلى المتلقي أساساً للتقليل من شأنه ، وتنتج دلالتان تحويليتان في نفس الوقت (التحقير والتهكم) ، تعبران عن مشاعر نفسية تجاهه ، كما جاء في القرآن الكريم :{ وإذا رأوكَ إن يَتخذونك إلا هُزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً }(الفرقان : ٤١) ، فبداية الآية ترصد المفردات (رأوك) و(يتخذونك) و(هزواً) ، فهي تشير إلى حركة تراجعية تفيد الاستهزاء [٣]، التحقير عندما يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على ضآلة المسئول عنه وصغره شأنه مع معرفة المتكلم أو السائل به ، نحو : (مَنْ هذا ؟) .

والفرق بين التحقير والتهكم مفاده يرجع إلى الوظيفة الانفعالية ، والحضور المكثف للمبدع فيها ، " فهو في التحقير يعبر عما يراه ويعتقده ، أمَّا في التهكم فإنَّه يَعُوم على سطح الكلام ، ويتهكم بما لا يعتقده أكثر ممَّا يتهكم بما يعتقده... ويمكن القول بأن التهكم وسيلة والتحقير غاية " [٤] ، والعلاقة بينهما أنَّ

---

[١] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص١١٣.

[٢] عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ، ص١٠٩

[٣] المرجع ذاته ، ص ١٠٩.

[٤] عبده قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية ، ص١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتقر من شأنه أن يُجهل لعدم الاهتمام به فيُسأل عنه ، والاحتقار فيه إظهـــار حقارة المخاطب وإظهار اعتقاد صغره ، ولذلك يصح في غير العاقـــل نحـــو : (ما هذا ؟)، أي هو شيء حقير قليل.

ودِلالات الاستفهام كثيرة ، تتبع قرائن الأحوال ، وهي بحاجـــة للوظـــائف الكلية، والسياق العام ، لأنَّ أكثرها سوانح وإشارات تكون مقيدة بالسياق ، كمـــا أنَّ بِنية الاستفهام الواحدة قد يستشف منها أكثر من دِلالة ، لذا تختلف وجهـــات النظر حولها تَبعاً لوقوعها في النفس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

التقديم والتأخير

التقديم لغة : قدَم بالفتح ، يقدُم قدوماً أي تقدم [١].

والتأخير لغة : ضد التقديم ، ومؤخَّر كل شيء بالتشديد ، خلاف مقدمه[٢].

ولمَّا كانت الجملة الاسمية قائمة على الإسناد ، فإن كلاً من المبتدأ والخبر يتعانقان تعانقاً وثيقاً ؛ لينتجا الوظيفة الدلالية ، التي تكون واضحة على أساس العلاقة بينهما .

يوضح عبد القاهر الجرجاني أهمية التقديم والتأخير ، حيث يقول :" هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصريف ، بعيد الغاية "[٣]، فهو يظهر ان هذا باب مهم في فهم أسرار البلاغة العربية ، فحاز عبد القاهر الجرجاني قصب السبق في هذا المضمار ، فهو ينظر إلى التقديم والتأخير على أنه سبب من أسباب الجمال في النص البلاغي .

ويبحث السكَّاكي في التقديم بالنظر إلى المسند إليه والمسند ، ففي حديثه عن تقديم المسند إليه يرى أنَّه يتقدم إذا كان ذكره اهم ، ثم يفصل في اوجه الأهمية ، " فهي إما أن تكون أصلية ، لأن أصله التقديم ، ولا مقتضى للعدول عنه ، وإما لأن له الصدارة الصدارة في الكلام ، كأسماء الاستفهام ، وضمير الشأن "[٤]، فالسكاكي يتحدث أهمية التقديم والتأخير ، ويذهب إلى أبعد من ذلك ،

---

[١] لسان العرب : مادة (ق د م) .

[٢] المصدر ذاته : مادة (أ خ ر) .

[٣] دلائل الإعجاز ، ص٨٣ .

[٤] مفتاح العلوم ، ص١٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد أخرج الكثير من الدلالات والوظائف المختلفة من خلال الأمثلة التي كان يسوقها .

اهتم البلاغيون المحدثون بتفسير وجود التقديم والتأخير في التركيب البلاغي، فيحاول عبد العزيز عتيق تفسير ذلك في " أن أجزاء الكلام لا يتميّز واحد منها من الآخر بأنه أولى بالتقديم أو التأخير من حيث هو لفظٌ ، وإنما ذلك عن مقصود مترتب على غرض بلاغي " [١]، ويتابع عبد القاهر الجرجاني تفسير التقديم والتأخير " في أنهما لا يأتيان للاهتمام أو العناية ، وإنما يأتيان لتحرير المعنى وضبط الدِّلالة"[٢]، فالأصل الدلالي للجملة الفعلية ، مثلاً ، هو ذكر الفعل أولاً ، ثم الفاعل ثانياً ، فالتحول الدلالي ينتج من خلال تقديم الاسم ، وتأخيرالفعل لوظيفة دلالية يتغيَّاها المتكلم ، وبهذا الخروج تتحول الجملة من جملة فعلية إلى جملة إسمية .

ويعزو أحمد المراغي تقديم بعض أجزاء الكلام إلى ما يعرِض من مزايا تدعو إلى تقديمه ، وذلك يكون على ثلاثة أوجه[٣]:

١- ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين اللفظ .

٢- ما يفيد زيادة في المعنى، فحسب .

٣- ما يختل به المعنى ، ويضطرب ، وذلك هو التعقيد اللفظي أو المعاظلة.

وينظر أحمد مختار عمر إلى التقديم والتأخير على " أنه تغيير للوظائف النحوية، مما يؤدي إلى تغيير المعنى ، ولولا ذلك لما كان هناك فرق بين قولك: (طارد الكلبُ القطَ) ، وقولك: (طارد القطَ الكلبُ) "[٤]، فالتقديم يهيئ النفس لتتلقى من السياق ما يجيش به من خواطر ومشاعر وصور ، فهي محاولة حثيثة لفتح عقولهم ومسِّ نفوسهم .

---

[١] انظر : علم المعاني ، ص١٤٨-١٤٩.

[٢] دلائل الإعجاز ، ص١٣٦ .

[٣] انظر : علوم البلاغة ، ص٩٢-٩٣.

[٤] انظر : علم الدلالة ، ص١٣-١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلجأ المتكلم إلى تشكيل صورة ذات ترتيب جديد معدول عن أصله إلا لغاية مبتغاه في الوظيفة الدلالة ، ويؤكد ذلك قول فضل عباس : " فنحن حينما نقدم بعض أجزاء الجملة تارة ، ونؤخرها تارة ، فإنّا لا نفعل ذلك رغبة في التغيير ، أو تفنناً في القول فحسب ، إنّما ذلك ناشئ عن اختلاف يريده المتكلم ، فالكلام البليغ لا يجوز أنْ يكون التقديم فيه لغرض لفظي فقط ، بلْ يكون مع هذا الغرض اللفظي هدف يتعلق بالمعنى "[١]، وحتى يُحسِن المتكلم التفكير فيعود إلى السياق العام , ويعرف ماله وما عليه ، فعمليات التقديم والتأخير في الترتيب بين الألفاظ ؛ هدفها إيجاد وظيفة دلالية مقصودة ومحددة.

والتقديم والتأخير من الأساليب المستخدمة في البلاغة , ولا يستطيع الاستفادة منها إلا من هضَمَها , وعرف مضامينها وأبعادها , فإذا ما تميز المبدع بذلك , فأحسنَ في الاختيار , ووضع الألفاظ مواضعها , فيكون بذلك قد أسهم في زيادة قيمة النص ، وإعطائه الأبعاد النفسية اللازمة في التأثير ونقل التجربة الشعورية[٢]، وأجدُ أنَّ مباحث بعض المحدثين تركزت على جملة من المسائل التي ترتبط بالوظائف الدلالية ، ومن ذلك اهتمامهم بالصياغة ، حيث يتم الوصول إلى هذه الدِّلالات من خلال مجموعة من الثنائيات ، كالتقديم والتأخير ، والحذف والذِّكر.

وقد رصد البلاغيون مواطن التقديم فرأوا وراءها وظائف دلالية مختلفة ومن هذه المواطن :

- **تقديم المبتدأ**

في حالة تقديم المسند إليه (المبتدأ) : يتقدم المسند إليه لأنه الأهم والأصل، ومرتبة المبتدأ أي المسند إليه التقديم ، وذلك لأنَّ مدلوله هو الذي يخطر أولاً

---

[١] البلاغة فنونها وأفنانها ، ص٢١١.

[٢] مجيد عبد الحميد ناجي ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت، ١٩٨٤م ، ص٨٤ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : مجيد عبد الحميد ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الذهن ، ولأنَّه المحكوم عليه ، والمحكوم عليه سابق الحكم طبعـاً ، فمـن الوظائف الدلالية التي يتقدم فيها المسند إليه (المبتدأ):

١- إفادة العموم : مثل ، (كل إنسان لم يقم) فيقدم (كل إنسان) ليُفيـد نفي القيام عند كل واحد من الناس [١] ، تتحرك الوظيفة الدلالية ، فتكون إفـادة التعميم في البنية العميقة إذا اجتمع في الجملة أداة تدل على العموم ، وأداة تدل على النفي، وتقدمت أداة العموم على أداة النفي .

٢- التشويق : ومن هذا كان حق الكلام تطويل المسند إليه ، ومعلـوم أنّ حصول الشيء بعد التشويق ألذ وأوقع في النفس[٢]، وذلك يكون في المسند إليه ، والغرابة من شأنها أنْ تشوِّق المخاطب إلى معرفة المسند ، وذلك لأن المـسند والمسند إليه متلازمان[٣]، فاتصاف المسند إليه بصفة التشويق والغرابة ، تجعـل النفس تتشوق إلى ذكرالمتأخر[٤]، وتأتي هذه الوظيفة لإثارة عنصر التشويق لدى السامع ، لأن في المبتدأ تشويقاً إلى الخبر، فيلجأ المتكلم إلى تأخير عنصر فـي الحديث ، وتقديم عنصر آخر ، والسامع بدوره يجاري المتكلم ، وينتظر ذكـر العنصر المؤخر.

ونرى تقديم المبتدأ في أسماء الاستفهام، فنبحث في بعض الأمثلة لنرى مـا وراءها من معانٍ خفية ، فمثلاً، في قوله تعالى:{ فمن أظلمُ ممن افترى على الله كذباً } (الأنعام : ٤٤) ، " فالمعنى الذي أريد من تقديم اسم الاستفهام (مَنْ) هو عظيم ذنب ذلك الرجل الذي يفتري على الله الكذب فـيظلم نفـسه ويظلـم الآخرين ، واستنكار فعله استنكاراً كبيراً ، فالغرض البلاغي هو التشويق إلى المتأخر"[٥]، والوظيفة الدِّلالة للتشويق ، زيادة الارتباط بين المتلقي والـصياغة ، تسلتزم وجود سامع للوفاء بالوظيفة الطلبية.

---

[١] مفتاح العلوم ، ص ٩٣ . والإيضاح في علوم البلاغة ، ص ١٥٩/١.

[٢] المطول شرح التلخيص ، ص ٢٥٣.

[٣] فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ٢١٢.

[٤] عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ١٤٩/١ ، ودرويش الجندي ، علم المعاني ، ص٨٨.

[٥] أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالوظائف الدِّلالية للاستفهام تشعر بثقة المتكلم واطمئنانه ، وأنه لا يخشى تكذيباً ولا مخالفة ، لإيهامه أنَّ السامع أعلم منه بحقيقة الأمر ، ويطلب فيه الجواب بحسب الظاهر.

٣- تعجيل المسرة أو المساءة في النفس [١]: ومن المعاني البلاغية التي يفيدها تقديم المسند إليه ، ما يأتي لتعجيل المسرة في النفس ، كما نقول : (الناجح أنت) ، فكلمة الناجح تدخل السرور إلى نفس السامع ، وكذلك (الجائزة الأولى في المسابقات كانت من نصيبك)[٢]، ومن الصورالبلاغية التي يقدم المسند لأجلها، تقديم ما يسر السامع ويبتهج له ، فالكلام كلما كان ذا وقع طيّب ترتاح له النفس وتسر به، كان أكثر تأثيراً بها.

وتعجيل المساءة جاء عند أحمد الهاشمي فيقول : " إنَّ من أسباب تقديم المسند إليه تعجيل المساءة ، نحو: القصاص حكم به القاضي"[٣]، ويقدم المبتدأ في حالة المصدر المرفوع في قوله تعالى:{ فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم } (البقرة :٧٩) ، لأنَّ الوظيفة الدلالية في تقديم المبتدأ (ويلٌ) تعجيل المساءة والعذاب للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، وتتحرك الوظيفة الدِّلالة في تعجيل المسرة ، وهي وظيفة دلالية إفهامية طلبية تتعلق بالسامع .

٤- المدح : ويأتي تقديم المسند إليه للمدح وتحقيق نسبة الخبر إلى الممدوح، والغاية من ذلك كما ذكر عبد القاهر الجرجاني: " أنْ تحقق على السامع أنَّه قد فعل ، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولاً ، وقبل أنْ تذكر الفعل في نفسه لكي يباعده بذلك من الشبهة ، وتمنعه من الإنكار، أو من أنْ يظنَّ بك الغلط "[٤]، فأنت لا تحط من شأن الآخرين عند تعظيم

---

[١] المختصر على التلخيص ،١/ ٢٦٨.

[٢] بكري شيخ أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ط١ ، مطبعة دار العلوم – لبنان ، ١٩٧٩م ، ص١٤٨/١ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : بكري أمين ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد . وانظر : عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ١٥٠/١.

[٣] أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص١٣٩.

[٤] دلائل الإعجاز ، ص١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الممدوح ، ولكن لتنبه السامع إلى أمر يتصف به المراد مدحه ، فيقع ذكر المسند إليه أولاً ، ويُبدأ بذكره قبل ذكر الفعل .

٥- الاختصاص : وظيفة الاختصاص : بحث البلاغيون تقديم المفعول به عن موقعه الأصلي، وكان الاهتمام بتقديم المفعول به متصدراً الجملة ، أكثر من اهتمامهم بتقديم المفعول به متوسطاً بين الفعل والفاعل.

ويرى عبد القاهر الجرجاني " أنَّ تقديم المسند إليه يفيد التخصيص، أو القصر إذا وَلي حرف النفي ، كقولك ، (ما أنا قلت هذا ؟) ، فهذا التقديم يفيد أنّ أحداً قال هذا القول , وأنت تنفيه عن نفسك وتثبته لغيرك ، فيأتي التقديم في نفي شيء قد قيل ، وأنت تريد نفيه عنك "[١] ، وتأتي هذه الوظيفة بأن يُقصر المسند إليه على المسند ، لتخصيصه بالفعل وانفراده به ، وقد بحث البلاغيون هذا في التركيب الإسنادي الذي أقره النحو .

فدرس البلاغيون وظيفة الاختصاص في تقديم المفعول به على فعله ، إذ إن المفعول يتقدم على العامل ، نحو : (زيداً ضربت) ، تخصيصاً له بالفعل دون مفعول آخر [٢]، فتقديم المفعول به على الفعل يمنع السامع من الشك بأن الضرب وقع من شخص آخر غير (زيد) ، وتظهر وظيفة الاختصاص في نطاق الوظيفة الانفعالية ، وذلك حين يكون المقصود تقديم المفعول به على فعله، ومنها تتولد دِلالات إضافية تعتمد على تقديم المفعول به .

ويعد التقديم من أساليب القصر ، من خلال تغير المواقع للكلمات في تشكيل المعاني ، وصور التقديم بالنسبة لدلالتها مختلفة ، وتتحرك الدلالة الأفقية في توجيه البنية القصرية ، لأنه يقوم على توجيه الوظيفة الاختصاصية .

والتخصيص لا يكون إلا إذا توفر في التركيب شرطان ، الأول : أن يكون المسند (الخبر) فعلاً ، والثاني : أن يكون المسند إليه مسبوقاً بحرف

---

[١] انظر : دلائل الإعجاز ، ص ١٢٤.

[٢] انظر : مفتاح العلوم ، ص٢٢٣ ، وانظر : المثل السائر ، ١٧٢/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفي، ولكنَّ السكَّاكي يذهب مذهباً آخر لم ينظر فيه إلى تقدم النفـــي وتـــأخره ، فالتخصيص عنده يتحقق بشرطين[١]:

الأول : أن يصح تأخير المسند إليه ، نحو : (قمت أنا) في (أنا قمت) ، والمسند إليه حينئذٍ يكون فاعلاً في المعنى لا غير .

والثاني : أن يقدر كونه كذلك ، أي كونه في الأصل مؤخراً.

وكلام السكَّاكي يوافق الواقع نحو قولنا : (قمت) ، فإذا أردنا تأكيد الفاعل قال: (قمت أنا) ، فإذا أردنا مزيداً من التأكيد ، قال : (أنا قمت) ، وهو الدال على الاختصاص ، وأصل الجملة التوليدية ، هي :(قمت) ، ثم تحولت بزيادة الضمير (أنا) لإفادة التوكيد ، ثم دخل عنصر تحويلي آخر ، وهـــو التقـــديم لمزيد من التوكيد، فأصبحت (أنا قمت) .

ويتقدم المسند إليه على المسند ، لتخصيصه بالفعـــل ، ولانفـــراده ، حيـــث يتناول الفعل ، " وتنص فيه على واحد ، فتجعله له ، وتزعم أنـــه فاعلـــه دون واحد آخر ، أو دون كل أحد ، ومثال ذلك أن تقول : (أنا كتبت فـــي معنـــى فلان، وأنا شفعت في بابه) ، تريد أن تدّعي الانفراد بذلك وتزيل الاشتباه فيه ، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك ، أو أن غيرك قد كتب فيـــه كمـــا كتبت "[٢]، ويتقدم المسند إليه على المسند في سياق النفي كذلك ، نحو : (ما أنا قلت هذا) بقصد تخصيص الفاعل بالفعل ، وكأن المتكلم يقول : ما أنا الذي قلت هذا الكلام ، وإنَّما شخص غيري

وكذلك تأتي هذه الوظيفة إنْ بُني الفعل على نكرة ، بأنْ يكون المسند إليه نكرة ، نحو : (رجل جاءني) فالفاعل (رجل) تقـــدم علـــى الجملـــة ليفيـــد التخصيص، وكذلك ليفيد تخصيص العدد ، فأحياناً " يقصد المتكلم أنَّ الجائي من جنس الرجال لا من جنس المرأة ، فيكون في تخـــصيص الجـــنس ، أو نحـــو (رجل جاءني) لا رجلان ، حيث يقصد أنَّ الجائي واحد من جنس الرجال ، لا

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة ، ١/ ١٤٣ .

[٢] دلائل الإعجاز ، ص١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اثنان منه ، فيكون من تخصيص الوحدة "[١]، وإذا شعر المتكلم أن السامع قد يصل إلى دلالة أخرى ، متى أراد أن يخصص الفاعل بفعل ما دون أن يشرك به أحد ، ولا يمكن أن تظهر إذا حافظ التركيب على ترتيبه الأصلي .

٦- التنبيه : يتقدم العنصر الذي من حقه التأخير لتنبيه السامع على عظمة الاسم المتقدم ، فالعلاقة التعالقية بين المبتدأ والخبر ، تؤدي وظيفة دلالية، وهي التنبيه على السامع في المسند إليه .

فالتنبيه موجهٌ للإنكار ، فتقديم الفاعل يقتضي " أنك عمدت بالإنكار إلى ذات من قيل إنه يفعل أو قال هو أني أفعل ، وأردت ما تريده إذا قلت : ليس هو بالذي يفعل ، وليس مثله يفعل ، و لا يكون هذا المعنى إذا بدأت بالفعل ، فقلت: أتفعل ؟ ، ألا ترى أن من المحال أن تزعم أنَّ المعنى في قول الرجل لصاحبه: أتخرج في هذا الوقت ؟ أتغرر بنفسك ؟ أتمضي في غير الطريق ؟ أنَّه أنكر أنْ يكون بمثابة من يفعل ذلك ، وبموضع من يجيء منه ذلك "[٢] ، ويرتبط التنبيه بوظيفة دلالية خالصة ، فالسامع قد يلتبس عليه الكلام ، وقد يكون غافلاً ، لذا يأتي المتكلم بالكلام لإزالة الالتباس ، وتنبيه المقصود في ذهن السامع وتوثيقه .

٥- التوكيد : يتقدم المسند إليه لأداء وظيفة جديدة ، وهي أن يؤكد للسامع أن الفاعل هو محور المعنى ، سواء إذا قام بالفعل إذا كان السياق مثبتاً ، أو أنه لن يقوم بالفعل إذا كان السياق منفياً .

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنَّ التوكيد يأتي من تكرار المسند إليه ، لأجل إفادة وتوكيد وتقوية الحكم [٣] ، ونأخذ ذلك في قولنا : (خالد يقود الجيش) ، فهذا أوكد من قولنا: (يقود خالد الجيش) ، وقولنا هذا لا يعني أن غيره لا يقود الجيش ، ولكن تقرر في ذهن السامع ، أنَّه يقود الجيش ، فعندما تقدم المسند إليه (خالد) جعل الحكم أقوى ، " لأن الاسم معرى من العوامل إلا لحديث قد نوى

---

[١] عبد الرحمن الشربيني ، فيض الفتاح على حاشية شرح تلخيص المفتاح ، ١/ ٤٠٤ .

[٢] دلائل الإعجاز ، ص١٢٥

[٣] المصدر ذاته ، ص١٣٣ ، وانظر : مفتاح العلوم ، ص٢٢٤ . وانظر : الأيضاح في علوم البلاغة ، ١٤٢/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إسناده إليه ، فإذا قلت (عبد الله) فقد أشعرت قلبه بذلك أنك أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث فقلت : (قام) ، أو قلت : (خرج) ، أو قلت : (قدم)، فقد علمت ما جئت به ، وقد وطَّأت له ، وقدمت الإعلام فيه ، فدخل على القلب دخول المأنوس به ، وقَبِله قبول المتهيئ له المطمئن إليه ، وذلك لا محالة أشد لثبوته ، وأنفى للشبهة ، وأمنع للشك ، وأدخل في التحقيق "[١]، فيقدم المسند إليه لفائدة التوكيد ، وليس إعلامك الشيء فجأة ، مثل إعلامك له بعد التهيئة له والتقديم له ، لأنَّ ذلك يجري مجرى تكرر الإعلام في التأكيد والإحكام .

وتأتي وظيفة التوكيد عند تقدم المسند إليه على المسند ، لتفيد وظائف أخرى منها تنبيه السامع[٢]، نحو (زيد يعطي الهدية) ، فالمقصود من تقديم الفاعل (زيد) تأكيد أنَّه يعطي الهدية ، فالمتكلم ينبه السامع ، ويؤكد أن (زيداً) يعطي الهدية ، فقد يكون البدء بالاسم في هذا الموضع للتنبيه .

٧- العناية والأهمية : والأداة التي استخدمها البلاغيون في هذا النمط هي الهمزة ، لأنها تمتاز بدخولها على الاسم والفعل ، " واتفق البلاغيون على جواز تقديم الفاعل على الفعل، على أن ينتقل من وظيفته الإعرابية إلى وظيفة إعرابية أخرى ، فينتقل من وظيفة الفاعلية ، إلى وظيفة الابتداء ، إذا كان فاعلاً لفظياً ، وكذلك ينتقل من وظيفة التوكيد أو البدل إذا كان الفاعل معنوياً إلى وظيفة الابتداء ، فالبلاغيون يرفضون أن يتصدر الفاعل الجملة مع بقائه فاعلاً ، سالكين في هذا مسلك البصريين" [٣] ، فينتقل الفاعل من وظيفة الفاعلية ، إلى صورة الابتداء، للأهمية والعناية بالفاعل .

وفي قوله تعالى : { إياك نعبد } (الفاتحة :٥) ، " يقول البلاغيون تقديم المفعول إياك للأهمية ، حيث يذكر السكَّاكي " أنَّ هناك كلام آخر يتحدث عن تخصيص الله بالعبادة لا بأحد غيره ، وتتخصيصه بالاستعانة فلا يستعان بأحد

---

[١] دلائل الإعجاز ، ص١٣٢.

[٢] المصدر ذاته ، ص١٣١ . وانظر : مفتاح العلوم ، ص٢٢١ .

[٣] المختصر على التلخيص ، ٢/ ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غيره" [١]، وذهب فريق آخر منهم ابن الأثير إلى أن تقديم المفعول به (إيـــاك) في الآية السابقة ، لا للتخصيص ، ولا للاهتمام ، وإنما لرعاية تـــشاكل الآي ، وحسن النظم [٢].

- **تقديم الخبر** :

يتقدم الخبر على المبتدأ ، ويخرج عن موقعه الأصلي ، ويلجأ إليه المـــتكلم قاصداً وظيفة دلالية ، والذي يتحكم بتقديم الخبر هو المعنى التركيبي ، ولـــدى عرض الوظائف نجد أنَّ البلاغيين أشاروا إلى الوظائف الاتية :

١- الاختصاص : وتأتي وظيفة الاختصاص عندما يتقدم المسند الحامـــل لضمير المسند إليه ، نحو : (قائم زيد) ، حيث تقدم الخبر (قائم) على المبتدأ (زيد) بصفة القيام دون صفة أخرى ، كالقعود ، والجلوس [٣]، أمَّا إذا قلـــت : (زيد قائم) " فأنت بالخيار في إثبات القيام له ونفيه عنه ، بأنْ تقول : ضارب، أو جالس ، أو غير ذلك "[٤]؛ لذلك إذا أردت وظيفة جديدة ، هنـــا ، لا بـــد مـــن التقديم، إذ إنَّ هذه الوظيفة لا تأتي من التأخير ، " فإنك إذا أخرت الخبر فلـــيس فيه إلا الإخبار بأن زيداً قائم لا غير ، من غير تعرض لمعنـــى مـــن المعـــاني البليغة ، بخلاف ما إذا قدمته وقلت : قائم زيد "[٥]، وتظهر دلالة الاختصاص في نطاق الوظيفة الانفعالية ، وذلك حين يكون المقصود بالدلالـــة الخاصـــة فـــي الصياغة ، ومنها يتولد دلالات إضافية تعتمد على تقديم الخبر.

ويتقدم الخبر بصورة الجار والمجـــرور علـــى المبتـــدأ المعرفـــة لإفـــادة التخصيص أيضا، حيث تقدم في قوله تعالى : { يُسبح لله ما في السموات ، وما في الأرض له الملك ، وله الحمد } (التغابن : ١) الخبر شبه الجملة (لـــه)

---

[١] انظر : مفتاح العلوم ، ص٢٢٣ .

[٢] المثل السائر ، ١٧٣/٢ .

[٣] انظر : مفتاح العلوم ، ص٢١٩.

[٤] المثل السائر ، ١٧٢/٢ .

[٥] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، ٢/ ٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في جملة (له الحمد) على المبتد أ في(الملك) ، وكذلك ، في جملة (له الحمد)، يقول ابن الأثير في ذلك: " فإنَّه لمَّا قدم الظرفين ها هنا في قوله (له الملك) ، و(له الحمد) ، ليدل بتقديمهما على اختصاص (الملك) ، و(الحمد) بالله، لا لغيره "[١]، فتقديم الالخبر قصد منه التخصيص ، فإذا قلت : (له الملك) ، فمعنى هذا أن الملك لله وحد ، لا لأحد لغيره .

٢- العناية والاهتمام : تناول البلاغيون في وظيفة تقديم الخبر على المبتدأ ، ويظهر ذلك في قوله تعالى : { قال :أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم} (مريم : ٤٦) ، " حيث تقدم الخبر (راغب) على المبتدأ (أنت) في جملة (أراغب أنت) في سياق استفهامي ، وهذا التقديم نتج عنه وظيفة جديدة لم تكن لتأتي لو كانت الجملة (ءأنت راغب) ، إذ إنَّ الجملة الأولى تعلن عن معرفة رغبة إبراهيم عن الآلهة ، فالاهتمام منصب على معرفة الحدث ، أمَّا في الجملة الثانية فالاهتمام بالمسند يزول لتأخره وعودته إلى ترتيبه الأصلي "[٢] ، ولأثبات هذه الوظيفة تتجه الدلالة إلى السامع ، فنقوم بتقديم العنصر المراد تعظيمه من خلال العناية والاهتمام به ، وسببه في واقع الحال اعتناء العرب في كلامهم بعناصر الجملة ، فيقدمون العنصر الذي يهمهم ، ويؤخرون سوى ذلك .

٣- التأكيد : يتقدم الخبر على المبتدأ لغاية التأكيد ، إذ يكشف هذا التقديم عن الخبر هو محط الفائدة ، فقُدِم لتأكيده ، ففي قوله تعالى : { وظنُّوا أنَّهم مانعتُهم حصونهم من الله } (الحشر : ٢) ، " حيث تقدم الخبر الذي جاء بصيغة اسم فاعل (مانع) على المبتدأ (حصون) ، ليؤكد مناعة حصونهم "[٣]، وتتجه دلالة التأكيد إلى السامع ، فالوظيفة هي زيادة الإفهام في هذا المقام ، ويأتي تقديم الخبر على التأكيداً والزيادة في تقرير مناعة الحصون .

٤- التفاؤل والتشويق : يتقدم المسند في بعض الأحيان ، ليكون المراد من ذلك نوعاً من التفاؤل ، نحو : (سعد في دارك) " حيث تقدم المسند المبتدأ

---

[١] المثل السائر ، ١٧٨/٢.

[٢] المصدر ذاته ، ٢/ ١٧٦ .

[٣] البرهان في علوم القرآن ، ٣١٩/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(سعد) النكرة ، الذي من حقه التأخير ، لتعجيل المسرة ، لكونه صالحاً للتفاؤل، نحو : السفاح في دار صديقك ، حيث تقدم (السفاح) المبتدأ (المعرفة) على الخبر الجار والمجرور (في دار) ، وهذا أصل لكونه صالحاً للتشاؤم"[١]، فتتحرك دلالة التفاؤل في إدراك شيء مأمول ، وإدخال السرور إلى السامع ، وهي وظيفة دلالية داخلية .

٥- التنبيه على الخبرية : من مقتضيات تقديم المسند التنبيه على أنَّه خبر، حتى لا يلتبس بالصفة ، وبيان ذلك أنَّ الخبر والصفة مقتربان ، وإنما يفرق بينهما باعتبارات معنوية[٢]، كقوله تعالى: { ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين } (الأعراف : ٢٤) ، فالتنبيه ابتداء دون حاجة إلى تأمل في الكلام أنه خبر لا نعت ، فيثير تقديم المسند وظيفة دلالية وهي التنبيه ، حتى يمعن المتلقي في المسند أنَّه خبر .

٦- تخصيصه بالمسند إليه نحو قوله تعالى : { لا فيها غول } (الصافات: ٤٧) ، فالغَول مقصور على اتصافه بعدم حصوله في خمور الجنة ، ولكنّه يوجد في خمر الدنيا التي تغتال العقول ، وتسبب دوار الرأس وثقل الأعضاء [٣]، فهنا ، لا نستطيع تبديل كلمة مكان كلمة ، ولا نغيِّر معنى كلمة بأخرى ، لأنك لا تحس فيها بكلمة تنبو عن موضعها أو لا تعيش مع أخواتها ، ويقصد بالتخصيصص في هذا النمط ، أنْ ينفرد المسند إليه بصفة دون غيرها ، وهذه الوظيفة الدلالية تأتي في التركيب الإسنادي .

---

[١] انظر : مفتاح العلوم ، ص ٢٢٠ ، وانظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، ١٤٤/١ .

[٢] فضل عباس ، البلاغة فنونها وأننانها ، ص٢٣١.

[٣] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع
الذِّكر والحذف

يمكن تعريف الذِّكر أنه أصل الكلام الذي يتم به " تثبيت المعنى ، وتوطيده في النفس ، ويكون ذكره فضلاً عن ذلك معانٍ لا تستفاد إذا حذف "[١] ، ويعتني البلاغيون بالذِّكر لأن يتصل بالقرينة التي تثبت المعنى الدلالي ، وعلى ذلك فالذِّكر يتطرق إلى الجملة : المسند والمسند إليه.

ويمكن اعتبار ظاهرة (الذِّكر) ممثلة في أحد جانبي ظاهرة التقديم ، ألا وهو التقديم الرتبي ، القائم على توفر الأصول والثوابت النحوية في التعبير، عندما يحتل المسند إليه مكانه كمبتدأ مثلاً – أو ما يقوم مقامه – في صدر الجملة ، وهنا يكون هذا الذِّكر ، أو التقديم قائماً على ملاحظة ما للفظة نفسها من روابط نفسية وسياقية تجعل ترتيبها الوجودي الذهني التصوري أسبق من غيرها[٢] ، حيث ترتبط الدلالة بميل النفس وتشوقها لذكر ما تسبق معرفته ، وفي ذلك أيضاً ما فيه من العناية والاهتمام بالمتقدم.

- **وظيفة ذكر المسند إليه :**

١- زيادة التقرير والإيضاح[٣] ، كما في قوله تعالى :{ ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي } (الإسراء : ٨٥) ، ففي إعادة ذكر المسند إليه (الروح) " زيادة تقرير وإيضاح ، إذ نجد في ارتباط (الروح) ما يثبت معنى الجملة في النفس ، ويجمع أطرافها في الفؤاد ، فيزداد المعنى إيضاحاً وتقريراً"[٤]، وفي هذا السياق يؤكد سعد الدين التفتازاني أن تقرير المسند إليه

---

[١] أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، ص١١٨.

[٢] انظر : مجيد عبد الحميد ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص ١١٣.

[٣] المختصر على التلخيص ،٢٠٤/١.

[٤] بسيوني فيود ، علم المعاني ، ٩٣/١. وعبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ، ص ١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون لتحقيق المدلول[١]، أي جعله مستقراً محققاً ثابتاً ، فالمسند إليه المعلوم المحذوف معلوم بالقرينة ، فإذا صرح به فكأنه ذكر مرة أخرى فتحصل بذلك زيادة التقرير والإيضاح ، والوظيفة الدلالية للتقرير والإيضاح تتحرك في الوظيفة الإفهامية ، والمتكلم نراه يسيطر على التشكيل الصياغي ، لأن بعض المعاني تكون أشد التصاقاً بالنفس ، وهنا ، يحرص المتكلم على إبرازها ، فأنت تجد أن إعادة كلمة (الروح) أفاد زيادة التقرير والوضوح .

٢- بسط الكلام حين يطرب السامع للمخاطب ، تقديراً له ، وإجلالاً لقدرته، وانتهازاً للفرصة ، وذلك إذا كان إصغاء السامع مطلوباً للمتكلم لعظمته وشرفه[٢]، مثل قصة موسى - عليه السلام – عندما أطال الكلام ومد الحديث ، كما في قوله تعالى : { وما تلك بيمينك ياموسى ، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى } (طه : ١٧-١٨) ، وأجمل تلك المآرب ازدياد الحديث طولاً ، رغبة في طول المقام ، ولهذا يطال الكلام مع الأحباء .

٣- التبرك بذكره والتنبيه إليه [٣]: وهي التأكيد على إعادة اللفظة مرة أخرى في نفس السياق ، ففي قوله تعالى : { قل هو الله أحد ، الله الصمد } (الإخلاص :١،٢) ، فقد ذكر لفظ الجلالة في الجملة الثانية ، " ليستقر في النفس مرتبطاً بخبره، وليفيد بتعريفه وتعريف الخبر أنه وحده السيد الذي يقصد إليه عند اشتداد الخطوب "[٤]، فالدلالة في إعادة لفظ الجلالة (الله) يعتمد على دلالة التركيب في دلالة البنية العميقة للوصل إلى الدلالة السطحية ، ودلالته تعتمد على وظيفة نفسية للوصل بين السطحية والبنية العميقة ، لإنتاج دلالة ذات وظيفة انفعالية .

---

[١] المختصر على التلخيص ،١/ ٢٤٩.

[٢] المطول شرح التلخيص ، ص٢١٣ . وعبده قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية ، ص١٩٧ . وعبد العزيز عتيق، البلاغة العربية ، ص١٤٥ .

[٣] المختصر على التلخيص ، ١/ ٢٠٥.

[٤] أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، ص١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- إفادة الثبوت إذا كان اسماً ، ومن ذلك قوله تعالى : { يخادعون الله وهو خادعهم }(النساء : ١٤٢) ، فأفاد اسم الفاعل في قوله (خادعهم) " الثبوت من غير دلالة على الزمان "[١] .

٥- مقام البسط : أي بسط الكلام في مقام يكون اصغاء السامع مطلوباً للمتكلم لعظمته وشرفه [٢]، حيث يرى فضل عباس في قوله تعالى : { وما تلك بيمينك ياموسى } (طه : ١٧) ، " فيدرك موسى عليه الصلاة والسلام أنَّ هذا مقام يطيب فيه الحديث ، ويحلو فيه التفصيل ، ولا يجمل فيه الإجمال ، فقال : { هي عصاي } (طه : ١٨) ، وكان يمكن أن يقول عصا ، ولكنه قال : { هي عصاي } ، ولم يكتف بذلك ، بل قال : { هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى }(طه : ١٨) "[٣]، وقد يذكر في مقام البسط، حيث تجمل إطالة القول.

- **وظيفة ذكر المسند:**

١- التعريض بغباوة السامع ، كما في قوله تعالى : {ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ، قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إنْ كانوا ينطقون }(الأنبياء: ٦٣) ، " فلو قال إبراهيم – عليه السلام - في جوابهم : بل كبيرهم هذا لكان المسند مفهوماً لدلالة السؤال عليه ، ولكنه –عليه السلام – عدل عن الحذف إلى الذِّكر تنبيهاً إلى غباوتهم وضعف عقولهم ؛ لأن الحذف تعويل على ذكاء المخاطب ، وتنويه بفهمه وإدراكه "[٤] ، فدلالة التعريض بغباوة السامع تقع بين الدِلالة السطحية والعميقة ، فالدِّلالة السطحية ذكر الذي حطم الأصنام ، والدِّلالة العميقة ، وهي الدِّلالة التعريضية عندما تتحدث عن غباوتهم

---

[١] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٧٥ .

[٢] المختصر على التلخيص ،١/ ٢٠٥.

[٣] البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ٢٥٢ .

[٤] بسيوني فيود ، علم المعاني ، ١٦٢/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضعف عقولهم ، فدِلالة التعريض بغباوة السامع تتحرك في التنبيه على غباوة السامع .

٢- قلة الثقة بالقرينة ، لضعفها أو ضعف فهم السامع ، نحو : سعدٌ نِعْمَ الزعيم. تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد ، أو ذُكر معه كلام في شأن غيره ، " فإنَّ الذِّكر يصبح هو وسيلة التغلب على هذا الضعف ، لأنَّ بقاءه – مع الحذف– يُدخل المتلقي في ضبابية لا تسمح له بإكمال الناقص أو استحضار الغائب "[١]، لضعف التعويل على القرينة .

ويتحدث بهاء الدين السبكي / ت ٧٧٣ هـ / عن ضعف القرينة ، يدفع إلى المتكلم فيحدث عنده نوع من قلة الثقة ، " لأن ضعف القرينة يكون راجعاً إلى عدم تنبه المتلقي ، لا إلى ضعف القرينة في ذاتها ، وهنا يكون المقتضى خارجاً عن السياق "[٢]، فإذا كانت القرائن المصاحبة غائبة ، فإن الذِّكر يصبح هو وسيلة التغلب على هذا الضعف ، وهذا الضعف يرتد إلى السامع لإ فيدخله في منطقة ضبابية ، لا تسمح له بإكمال الناقص .

٣- الإيضاح : ومن الأغراض الي يُذكر فيها المسند كذلك أن نتبين هل هو فعل فيفيد التجدد ، أو اسم فيفيد الثبوت [٣]، كما في قوله تعالى : { أتخادعون الله وهو خادعهم } (النساء : ١٤٢) ، فكلمة (تخادعون) تفيد التجدد زماناً بعد زمان ، وكلمة (خادعهم) يفيد الثبوت بدون حاجة إلى قرينة ، فالوظيفة الدلالية في إيضاح ذكر المسند في إفادة التجدد في الفعل ، أو إفادة الثبوت في الاسم .

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص٢٢٤. وعبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ،ص ١٤٩.

[٢] بهاء الدين أحمد بن علي السبكي ، عروس الأفراح ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠٠م ، ٢٨٢/١ . وسأشير إلى هذا المصدر بـ : عروس الأفراح .

[٣] المطول شرح التلخيص ، ص ٣٠٨ . وفضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحذف

ورد في لسان العرب أن الحذف لغة : حذف الشيء يحذفه حذفاً : قطعه من طرفه [١].

أما اصطلاحاً فقد جاء عند إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في باب الحذف ، قائلاً : " هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر ، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة [٢]، فالحذف يعتري الأساليب التركيبية ، ويستغنى عن العنصر المحذوف بالقرينة الدالة عليه ، وتتناوب القلة والكثرة في ظاهرة الحذف للتراكيب .

فالحذف مظهر من مظاهر البلاغة العربية ، وهو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، ومن بلاغته ، " أنه ينبه المتلقي للبحث عن المحذوف ؛ فيجعله يتجاوب مع ما يقرأ ، فترسخ المعلومة في نفسه ، ويقل نسيانه ، وهذا مطلب من مطالب الحذف في القرآن الكريم "[٣]، فهو يؤدي دور مهم في تنبيه السامع إلى المحذوف ، ليتصل في كثير من أبواب البلاغة العربية .

وتناول البلاغيون في مباحث علم المعاني " سياقات الكلام التي يرد فيها الإسناد كاملاً ، أو محذوفاً أحد الأطراف أحياناً أخرى ، وذلك من منطلق أن النظام اللغوي يقتضي في الأصل ذكر هذه الأطراف أحياناً ، ولكنّ التطبيق العملي من خلال الكلام قد يُسقط أحدها اعتماداً على دلالة القرائن المقالية والحالية "[٤]، ويتمثل الحذف في القرائن ، وهي القرائن المصاحبة للنص ، مثل ،

---

[١] لسان لعرب مادة (ح ذ ف) .

[٢] دلائل الإعجاز ، ص١٤٦ .

[٣] مصطفى عبد السلام أبو شادي ، الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مكتبة القرآن للطبع – القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص٨٥ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : مصطفى أبوشادي ، الحذف البلاغي .

[٤] محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ص٣١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلام المنطوق ، والمتلقي والمتفنن وما يجري من اتصال بينهما ، وتكوينهما بأبعاده النفسية والجسدية.

ويرى مجيد عبد الحميد أن الحذف (الإيجاز) ، هو " نوع من المحافظة على نشاط المتلقي في المتابعة ، لأن الحذف تخفيف من ثقل الحديث ، والنفس البشرية تفضل الخفة على الثقل ؛ وما دامت الخفة مطلبا ، وفيها تكمن البلاغة، فغنى النص يكون أكثر قابلية وقدرة على التأثير والإثارة ، فيسمو الكلام حتى يصل في قوة التأثير إلى قوة السحر فيكون التركيب أشد وقعاعلى النفس ، وأتم بيانا للغرض وأفصح من الذِّكر "[١] ، والحذف يؤدي بالسامع أو القارئ إلى ان يفكر في المحذوف، ويحرك مكامن لديه في تقديره ، ويحاول أن يتخيل المعنى، فإذا أدرك المعنى وحازه كان ذلك أمكن في النفس ، وأبعد عن النسيان فيما لو حصله دون كدٍّ أو جهد .

وعلاقة الحذف يتصل بتنظيم الجملة ، " لأن الحذف يشكل في السياقات التي يستحسن فيها رافداً آخر من روافد الإبلاع من خلال تنظيم الجملة ، فالجملة تشتمل على أجزاء من الفكرة ، وإذا كان المتكلم في اللغة الاعتيادية غالباً ما يستوفي أجزاء الجملة من أجل إيصال فكرة مفهومة إلى الآخرين "[٢]، وتظهر هذه الوظيفة الإبلاغية من خلال قصر العبارات ، واستخدام العبارات المناسبة للفكرة .

والأصل في المسند إليه الذِّكر ، ولكنِّه يحذف لقرينة تدل عليه ، وإلا كان الكلام مبهماً ، ومن هذه الدلالات :

١- الخوف من المسند إليه : حيث يُحذف الفاعل ويسند إلى نائبه ، حين " يخشى المتكلم أنْ يناله مكروه إذا ذكره ، فيُعرِض عن الذِّكر أو يخشى على الفاعل إذا سمَّاه أنْ يناله مكروه أو يلحق به إذى "[٣]، ويضرب عليها مثالاً

---

[١] مجيد عبد الحميد ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص١٢٧-١٢٨ .

[٢] سناء البياتي ، نحو منهج جديد في البلاغة والنقد ، ط١ ، جامعة قاريونس – بنغازي ، ١٩٩٨م ، ص٢٥ ، وسأشير إلى هذا المرجع بـ : سناء البياتي ، نحو منهج جديد في البلاغة .

[٣] طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ط١ ، الدار الجامعية – الإسكندرية ، ١٩٨٢م ، ص٩٩. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : طاهر حمودة ، ظاهرة الحذف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فضل عباس قول المستضعفين: (بيعت الديار) و(مُرغت الجبـــاه) ، وتقـــدير الكلام باع الحاكم الظالم الديار ، ومرغ الحاكم الظالم الجباه ، ثم حذفنا المـــسند (الفاعل) من كلتا الجملتين خوفا منه ، وهي وظيفة دلالية تتعلـــق بـــالمتكلم ، وتهدفُ إلى التعبير عن موقفه من الصياغة الإخبارية التي يرسلها ، فالوظيفـــة البارزة في الحذف تتجهُ للتواصل من المتكلم إلى المتلقي .

٢- التخفيف : وهو من أهم الأغراض التي من أجلها يقع الحذف فـــي الكلام؛ " فكثرة الاستعمال هي الدافع وراء الحذف غالباً"[١] ، لكثرة دوران اللفظة في الاستعمال اليومي ، فيحذف منها ما يفهم من السياق.

٣- الخوف عليه : ومن الأمثلة التي يضربه فضل عبـــاس ، " قولنـــا : (دُكتْ حصون العدو) ، والمقصود : دك الجنود حـــصون العـــدو ، فحـــذف الفاعل خوفا عليه من العدو[٢]"، فدلالة الحذف تدخل في معرفة المحذوف وخوفاً عليه من العقاب .

٤- الاحتراز من السأم والعبث ، ومن الأمثلة في هـــذا الـــسياق قولـــه تعالى: { صمٌ بكمٌ عمي فهم لا يرجعون } ، (البقـــرة : ١٨) ، " فقـــد حـــذف المبتدأ وهو (هم) لأنه في معرض الحديث عنهم ، فليس بحاجـــة إلـــى إعـــادة ذكرهم"[٣] ، والاحتراز من السأم ، حتى لا يتكرر المبتدأ في الـــنص الواحـــد ، وهي وظيفة طلبية انفعالية.

ومن الأمثلة التي يضربها فضل عباس قوله تعـــالى : {كـــلا لَيُنْبَـــذن فـــي الحطمة، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة } (الهمـــزة:٤-٦) ؛ فحـــذف المبتدأ (هي) في قوله : (نار الله الموقدة) لأنه في معرض الحديث عنهـــا ، كون المبتدأ واقعاً في جواب سؤال ، فإعادة ذكر المبتدأ يصير عبثا [٤] ، وأكثـــر ما يكون ذلك إذا وقع المبتدأ جواباً عن سؤال منصوص عليه في الكلام .

---

[١] مختار عطية ، علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم ، ص٧١.

[٢] المرجع ذاته ، ص٢٠٣ .

[٣] عبد الفتاح شاهين ، المعاني في ضوء أساليب القرآن ، ط٤ ، دار المعـــارف - القـــاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٢٠٨ ، وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : عبد الفتاح شاهين ، المعاني في ضوء أساليب القرآن .

[٤] فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- التحقير : ويعلل محمد أبو موسى الحذف في قوله تعالى : { أهـذا الذي بعث الله رسولا } ، (الفرقان : ٤١) ، الذي أصل الكلام فيه ، أهذا الذي بعثه الله رسولا ، " فهو إشارة إلى حال نفوس الكافرين في حقدهم على النبـي صلى الله عليه وسلم ، إذ جعل نفوسهم تتخاذل ، فلا تقول : بعثـه ، وكـأنهم يتحاشون النطق بذلك تحقيرا أو ذما لقدره عليه الصلاة والسلام "[١]، فالوظيفـة الظاهرة تعود إلى الوظيفة الانفعالية ، والحضور المكثف للمتكلم فيهـا، لأنهـا ترتبط بالتشكيل الصياغي.

٦- المدح : في قوله تعالى : { مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بمـا لا يسمع إلا دعاء ونداء } ،(البقرة: ١٧١) ، فأصل الكلام : مثـل الـذين كفروا كمثل الداعي الذي ينعق بما لا يسمع ، ويعلل أحمـد بـدوي حـذف المضاف (الداعي) رفعاً لشأنه في اللفظ عن أن يقرن بهذا الذي ينعق بمـا لا يسمع [٢] ، وتظهر الوظيفة الانفعالية ، وذلك من خلال التشكيل الصياغي للمفردات ، فتتجهة البؤرة إلى المتكلم .

٧- التأدب : الاحتراز عن سوء الأدب ، ومن صور التأدب مع المتلقي، ما يورده فضل عباس ، عما يرويه عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – قولها : ما رأيت منه أي من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا رأى مني[٣]، فقد حذف مفعول (رأيت) و (رأى) تأدباً مع الفطرة النفسية للإنـسان التي فطر عليها*، وهي وظيفة طلبية .

وتأتي أهمية الحذف بأنها ظاهرة طبيعية في اللغة ؛ لأن الألفاظ والتراكيـب تتداخل وتتواصل تكون لها وظائف دلالية ، والصناعة النحوية تأتي بمـا هـو مفهوم، فكان لا بدّ من استخدام الحذف الذي هـو أدق المواضـيع البلاغيـة ، وأعمقها دلالة .

---

[١] محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص٢٨٥ .

[٢] أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، ص١٢٢ .

[٣] فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ٢١٧.

* لم يذكر فضل عباس تقدير المحذوف تأدبا مع مقام النبوة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **المحذوفات** :

وللوقوف على الوظائف الدلالية التي يكمن وراءها الحذف ، لنتأمل ما وظائف الحذف وأسرار ، في محاولة للتعرف على أثر الحذف في الدلالة لكونه مصدراً من مصادر التعبير عما في النفس .

* حذف المسند إليه(المبتدأ) :

المسند إليه أحد ركني الجملة الأسمية ، بل هو الركن الأقوى ، لأنه الذات المتحدث عنها ، والمسند كالوصف له ، والذات أقوى في الثبوت من الوصف ، وإذا كانت الإفادة تفتقر إلى الركنين ، فإن حاجتها إلى الدال منهما على الذات الثابتة أشد في الحاجة عند قصر الإفادة من الدال على الوصف العرض[١]، وحذف المسند إليه يتوقف على أمرين ، أحدهما : وجود قرينة تدل عليه عند حذفه ، والآخر وجود الميل للحذف على الذِّكر ؛ فالأول مرده علم النحو ، والثاني مرده علم البلاغة .

أما وظائف حذف المسند إليه (المبتدأ) :

١ - الاحتراز من العبث بترك ما لا ضرورة لذكره [٢]، وذلك مما يكسب الكلام قوة وجمالاً [٣] ، إذا قامت القرينة فإن ذكر المسند إليه يكون من العبث ، ويكثر ذلك في حذف المبتدأ في جواب الاستفهام ، كما في قوله تعالى : { وما أدراك ماهيه ، نار حامية } (الهمزة : ٥،٦) ، أي هي نار حامية ، لدلالة القرينة عليه ، فحذف الضمير (هي) ، يصون الكلام ويبعده عن العبث .

وهذا الغرض ظهر عند حديث عبد القاهر الجرجاني عن حذف المبتدأ (القطع والاستئناف)[٤]، فعند حذف المسند إليه لا بدَّ من قرينة دالة عليه ، وقد

---

[١] عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص١٣٢.

[٢] المختصر على التلخيص ، ٢٠١/١

[٣] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٧٥.

[٤] دلائل الإعجاز ، ص ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر المسند إليه أولاً في عبارة ، ثم يتجدد الحديث عنه في عبارة أخـــرى دون ذكره .

٢- وظيفة الحصر : في قوله تعالى : {كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم عليم } ، (هود :١) ، يرى أحمد بدوي أن " حذف المبتـــدأ (هـــذا) العنصر الإشاري جاء ليعطي المتلقي صورة التوحيد بين الـــذات و(الـــصفة) الخبر، فكأنما بلغ من الشهرة مبلغاً عن ذكره ، لذلك قصرت الصفة (الخبر)[١]"، فوظيفة القصر تؤدي إلى التركيز ، والحصر يعتمد على بنيـــة الدلالـــة فـــي مستواها في البنية السطحية إلى مستواها في البنية العميقة .

٣- تعجيل المسرة بسرعة إيراد المسند والمبادرة بذكره ، كقولك لمخاطبـــك : انظر : (دينار) ، تريد : هذا دينار ، فحذفت المسند إليه تعجيلاً للمسرة بذكر الدينار[٢] ، فتتحرك دلالة التفاؤل في تعجيل المسرة ، وإدخـــال الـــسرور إلـــى السامع بذكرالدينار، وهي وظيفة دلالية داخلية طلبية .

٤- تيسير الإنكار عن الحاجة : ويمثل درويش الجندي الدعوة إلى الحاجة للإنكار، " بأن يذكر شخص ، فتقول : جاهل مغرور ، ثم تخشى مغبـــة هـــذا القول، فتنكره . فلو سبق أن قلت : زيد جاهل مغرور ، لقامت عليك البينة بهذا التصريح، ولم تستطع الإنكار "[٣] ، وترتبط وظيفة تيسير الانكار عـــن الحاجـــة بوظيفة دلالية خالصة ، فالسامع قد يكون غافلاً عن اسم الشخص المراد .

٥- الأهمية : يرى سعد الدين التفتازاني أن المسند إليه هو الركن الأعظـــم الشديد الحاجة إليه ، حتى أنه لم يذكر فكأنه أتى به ثم حذف [٤]، لذا يأتي المتكلم بكلام يسهل فيه الحذف ، وذلك لاعتبارات خاصة ، ويناسب ما يسهم في حذف الاسم المراد التكلم عليه .

---

[١] أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، ص١٢٠ .

[٢] بسيوني فيود ، علم المعاني ، ٩١/١.

[٣] المرجع ذاته ، ص٧٧.

[٤] المختصر على التلخيص ، ٢٠١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ - ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر وتوجع [١] ، فقد يكون المتكلم متألماً متوجعاً ، فلا قدرة له على الكلام ، نحو : السؤال عن الحالة الصحية ، فيجيب عليل ، أي : أنا عليل ، وتكثر هذه الدِّلالات في مقامات الحروب ، والكوارث ، والمواقف الحرجة خوفاً من فوات الفرصة.

* حذف المسند (الخبر) :

١- الاحتراز عن العبث ، إذ القرينة دالةعليه ، فذكره عبث ، وأما في الحقيقة فيجوز أن يتعلق به غرض أخر ، مثل التبرك [٢]، فالاحتراز من العبث بترك ما لا ضرورة لذكره ، وذلك مما يكسب الكلام قوة وجمالاً ، حيث يحذف الخبر المعلوم في سياقات كثيرة منها قوله تعالى: { أُكُلها دائم وظلها } (الرعد : ٣٥) ، أي ظلها دائم ، فالدِّلالة تعود على الصياغة من الاحتراز في الوقوع ما لا ضرورة لذكره.

٢- التركيز ، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : { والله ورسوله أحق أن يرضَوه } ،(التوبة : ٦٢) ، وتعليل الحذف " أنه نوع من التركيز على أهمية إرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، خشية أن تتصرف النفوس إلى إرضاء الله، وتتوانى في شيء من أمر رسول الله ، فنبه بهذا التقديم على عظمة أمر رسول الله كونه وحياً يوحى"[٣]، فقد حذف (أحق) خبر المبتدأ (الله) لدِلالة العطف على وجوده ، وتثبيت الدِّلالة بجزيئاته ، ووظيفة التركيز، هنا ، تعتمد على بِنية الدِّلالة في مستوى البِنية العميقة ، وهي التركيز .

٣- ضيق الكلام عن إطالة الكلام ، بسبب ضجر وسآمة [٤]، فلا يكون في ذكر المسند ضيق الكلام ، كقول الصياد : غزال ، فإن الكلام لا يسع أن يقال: هذا غزال.

---

[١] أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص١١٠ .

[٢] المطول شرح التلخيص ، ص٢١١.

[٣] انظر : محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ٢١٥ .

[٤] المطول شرح التلخيص ، ص٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* حذف الفاعل :

ويحذف الفاعل عندما تدل عليه قرينة واضحة ، ومن هذه الدلالات :

١- التركيز على الفعل : وظيفة حذف الفاعل التركيز على إثبات الفعل ، وجعله حقيقة ، والتركيز على نائب الفاعل (المفعول به معنًى). وتكثر هذه السمة في الآيات القرآنية التي جاءت لتذكِّر بأهوال يوم القيامة[١]، نحو قوله تعالى : { إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها}،(الزلزلة : ١-٢) ، فهي ترى أن البناء للمجهول جاءت للتركيز على الفعل، بغض النظر عن المُحدِث ، فهي وظيفة في البنية العميقة ، هدفها التركيز على الفعل.

٢- الإيجاز : ومن الدواعي اللفظية لحذف الفاعل القصد إلى الإيجاز في العبارة ، نحو قوله تعالى : { وإنْ عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به } (النحل : ١٢٦) ، أي : بمثل ما عاقبكم المعتدي به [٢]، ولما كان في الكلام قرينة تدل على الفاعل ، فقد اقتضت البلاغة حذفه مراعاة للايجاز وإقامة المفعول مقامه ، ووظيفة الإيجاز التوازن بين البِنية السطحية و البِنية العميقة .

٣- سرعة الإجابة : ففي قوله تعالى :{ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت ...} (هود : ٤٤) ، نجد أنَّ الأفعال بُنيت للمجهول لأنَّ الفاعل الحقيقي هو الله القادر ، بيْدَ أنَّ الوظيفة الدِّلالية لحذف الفاعل في الآية ، هي سرعة الإجابة والامتثال من الأرض والسماء لأمر الله .

* حذف المفعول به :

يتعلق الفعل بكل من الفاعل والمفعول ، وكل منهما معمول لهذا العامل (الفعل) ، وقد يكون غرض المتكلم بيان وقوع الحدث فحسب، دون النظر إلى الفاعل والمفعول ، وتأتي وظيفة حذف المفعول إلى الآتي :

---

[١] انظر: عائشة عبد الرحمن / ت ١٩٩٨م/ ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، ط٢ ، دار المعارف – القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص٢٤٢ ، وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني .

[٢] عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ، ص١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- وظيفة حذف المفعول به للتعميم مع الاختصار ،" ويتم حذف المفعول به لقرينة تدل على المبالغة " [١]، " وهذا التعميم وإن أمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم ، لكنه يفوت الاختصار حينئذٍ " [٢]، كقوله تعالى : { والله يدعو إلى دار السلام } (يونس :٢٥) ، أي يدعو العباد كلهم ، لأن الدعوة إلى الجنة تعم الناس كافة ، فنريد إثبات الأفعال في عمومها ، وهذا التعميم يراد به وظيفة الاحتراز من ظهور المفعول به عبثاً.

والتعميم مع الاختصار من أوسع دلالات الحذف للمفعول ، وذلك لتذهب بالنفس كل مذهب ، ويتجول الفكر في تمثل أنواع وصور لا تحيط به .

٢- عدم تعلق الغرض بذكره ، وحينئذٍ ينزل الفعل المتعدي منزلة اللازم ، إذ يكون المراد إفادة مجرد ثبوت الفعل للفاعل أو نفيه عنه [٣]. ومن ذلك قوله تعالى : { قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون } (الزمر : ٩) ، حيث حذف المفعول به لعدم تعلق الغرض بذكره ، إذ المعنى لا يستوي من له علم ، ومن لا علم له .

٣- تحقيق البيان بعد الإبهام ، ويبين سعد الدين التفتازاني ذلك بأنَّه لتقرير المعنى في النفس ، " ويكثر ذلك في فعل المشيئة أو الإرادة أو نحوهما إذا وقع شرطاً ، فإنَّ الجواب يدل عليه ويبينه"[٤]، فوظيفة حذف المفعول وظيفة دِلالية خارجية لتحقيق البيان بعد الإبهام ، ومن ذلك قوله تعالى : { فلو شاء لهداكم أجمعين } (الأنعام : ١٤٩) ، فحُذف المفعول به في (لو شاء الله هدايتكم لهداكم أجمعين)، وهذا أوقع في النفس ، المعنى إذا ألقي على سبيل الإبهام تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل الإيضاح ، وفيه أيضاً بعدٌ ترب ويُ في تمكين المعنى وتقريره في النفس .

---

[١] المطول شرح التلخيص ، ص٣٦٩ .

[٢] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص ٨١ . وعبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ، ص١٤٢.

[٣] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٨٠ .

[٤] المطول شرح التلخيص ، ص ٣٦٦. وانظر : درويش الجندي ، علم المعاني ، ص ٨١ . وانظر : عبد العزيزعتيق ، في البلاغة العربية ، ص ١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورصد عبد القاهر الجرجاني جانباً للحذف ، فقال : " أن ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لـم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِن " ، وسياق الحذف يدل على البعد النفـسي في السامع ، فيرى محمد بن علي الجرجاني أن " الحذف يؤدي بالضرورة إلى دخول المحذوف دائرة الإبهام ، وهو ما يؤدي إلى حصول إلم للـنفس لجهلهـا بها، فإذا التفتتَ إلى القرينة تفطنتْ له ، فيحصل لها اللذة بالعلم "[١] ، فالحـذف يدخل البنية دائرة التكثيف، بحيث لا يستوعبها إلا بعد معاناة ، فيـزداد الكـلام جمالاً .

* حذف المضاف :

وظيفة حذف المضاف الاتحاد بين المشبه والمشبه به ، هي لذة إعمال الفكر واكتشاف وإدراك معنى التشبيه ، وهذا الحذف يجعل المتلقي أكثر تفاعلا مـع النص[٢] ، ويكثر الاتحاد بين المشبه والمشبه به في التشبيه البليغ ، ومن الأمثلة التي ترد في هذا المقام قوله تعالى : { وأزواجه أمهاتهم }،(الأحـزاب : ٦) ؛ فقد حذف المضاف (مثل) ، وأقام المضاف إليه (أمهاتهم) ليـشعر المتلقـي باتحاد بين المشبه والمشبه به وعند تفاضلهما ، وسمو المـشبه إلـى مـستوى المشبه به .

* حذف المضاف إليه :

وتعليل حذف المضاف إليه ، " بأنَّ بِنية النص قد جاءت على هذه الـشاكلة، لأنَّ النص القرآني جاء لأثبات حقيقة واقعة وهي سرمدية سلطان الله وأبديته ، فكان من الضروري حذف المضاف إليه في موضعين من أجل تركيز المتلقي على هذه الحقيقة للفت ذهنه لها ، ولإعطائه أبعاداً أعمق فـي أغـوار نفـس

---

[١] الإشارات والتنبيهات ، ص٣٣ .

[٢] أحمد أبو حاقة ، البلاغة والتحليل الأدبـي ، ط١ ، دار الملايـين – بيـروت ، ١٩٨٨م ، ص١٤٢. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : أحمد أبو حاقة ، البلاغة والتحليل الدبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتلقي لهذه الحقيقة"[١]، فوظيفة حذف المضاف إليه في قوله تعالى : { لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ } ، (الروم : ٤) ، ففي هذه الآية حذف المضاف إليه في موضعين هما(من قبل)، و(من بعد) ، وتقدير الكلام من قبل الأمر ومن بعده.

* حذف الموصوف :

ومن صور الإيحاء بالصفة قوله تعالى : { وحملناه على ذات ألواح ودسر}، (القمر: ١٣) ؛ "فقد حذف الموصوف (السفينة) للإيحاء بصفة السفينة ، فهي كما يقول سيد قطب :" توصف ، ولا تذكر ، وهذا للإيحاء بالصفة تعظيماً لها"[٢]، وظيفة حذف الموصوف للإيحاء بالصفة تعظيماً للشيء الذي خصت بها سواء أكانت هذه الصفة للاختصاص بالذات أم كانت في غير الذات ، وهي وظيفة تتحرك في نطاق الوظيفة الانفعالية وتتحرك دلالة التعظيم في نطاق كلام المتكلم ، فيكون حضور الوظيفة على الصياغة .

* حذف جواب الشرط :

ولا يحذف جواب الشرط غالباً ، لأنه معروف أو لأجل اختصار الجملة ، وإنما الأغراض البلاغية المتعددة تقتضي ذلك ، لأن الحذف أمر يقتضبه المعنى المراد بيانه وإيصاله للمتلقي ، كقوله تعالى : { ولو يرى الذين ظلموا إذْ يرون العذاب أنَّ القوة لله جميعاً } (البقرة : ١٥٦) ، فيرى الزمخشري أن تقدير الحواب : " لكان منهم ما لايدخل تحت الوصف أو الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم "[٣]، وقد تتمثل القيمة البلاغية للحذف في ما يولده في نفس

---

[١] انظر : مجيد عبد الحميد ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة ، ص١٣٨ .

[٢] سيد قطب / ت ١٩٦٦م / ، في ظلال القرآن ، ط٧ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٩٧١م، ٦٥٠/٧، وسأشير إلى هذا المرجع بـ : سيد قطب ، في ظلال القرآن .

[٣] الكشاف ، ١٠٦/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتلقي من إثارة لفعل أو انفعال ، فحذف جواب الشرط مثلاً يجعل الـــسامعين يختلفون في تقديره ، كلٌ بحسب تصوره وتخيله، وهذا يعطيه زخمـــاً بلاغيـــاً يحتاجه مثل هذا الموقف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس
التعريف والتنكير

التعريف لغة : عرفه يعرفه معرفة وعرفاناً ، وعرفه : علمه [١].

التعريف والتنكير ظاهرتان متقابلتان من ظواهر دلالة البلاغة العربية عن وظائفها ، ويذكر أن المسند إليه ينكر إذا كان غرض الدلالة على فرد معين من الإفراد ، أو أنه يعرف بالإضمار إذا كان الموقف موقف تكلم أو خطاب غيبة أو باسم الإشارة لبيان حاله من القرب أو البعد أو التوسط " ، وقد تحدث القزويني عن الوظائف الدلالية للتعريف ، و نجد أن توظيفهم جاء ليبين المعانى والمقاصد البلاغية من خلال تلك المعارف .

فوظيفة التعريف تربط الأساليب البلاغية بعضها ببعض ، ويجعل السامع يتلقى التعريف الذي يوازن بين جنس وجنس، ولا يؤدي إلى الارتباك في فهم الدِّلالة ، وإليك هذه وظائف هذه التعريفات :

- **التعريف بالعلمية** :

١- إحضاره بعينه في ذهن السامع باسم يختص به ، بحيث يكون مميزاً عن جميع ما عداه ، واحترز به عن إحضاره باسم جنسه [٢] ، بحيث لا يطلق على غيره باعتبار وضعه لهذه الذات المعينه، إحضاراً ابتدائياً ، أي لأول مرة ، فإنه قد يستحضر بالضمير الذي يعود على مذكور قبله ، فيكون استحضاره على هذا النحو لثاني مرة [٣] ، نحو ، الرجل العالم جاءني ، فقد يعرف المسند إليه تسجيلاً للسامع ، أو تبركاً بذكره .

---

[١] القاموس المحيط : مادة (ع ر ف) .

[٢] انظر : المطول شرح التلخيص ، ص ٢١٥.

[٣] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- إخفاء اسم المذنب : في قوله تعالى : { ومن الناس من يُجـادل فـي الله بغير علمٍ ولا هدى ولا كتاب منير } (الحج : ٨) ، وفي ذلك من الرجاء فـي هدايته ما ليس في إفشاء اسمه وفضيحته .

٢- الإهانة والتحقير : يقرر سعد الدين التفتازاني أنَّ الإهانة والتحقير تأتي كما " في الألقاب الصالحة لمدح أو ذم ، كناية عن معنى يصلح له الاسم ، نحو، أبو لهب فعل كذا ؛ لأن انتسابه إلى اللهب يدل على ملابسته إياه"[١]، " ويتـأتى ذلك إذا تمت التسمية بكنى أو ألقاب محمودة أو مذمومة ، تقول أبـو المعـالي حضر ، وأنف الناقة ذهب"[٢]، فمن الألقاب الي وردت لفظ (فرعون) في قوله تعالى : { وكذلك زُين لفرعونَ سوء عمله} (غافر : ٣٧) ، فأنت تجـد أنَّ الدِّلالة من إظهار اللفظ (فرعون) لغرض التحقير والإهانـة ، فهـي وظيفـة انفعالية ترجع إلى التشكيل الصياغي للمفرات.

والقصد من استعمال اللفظ إفادة التحقير والإهانة ، وليس إكراماً له فدلالـة الإهانة ترتبط بالدلالة التحويلية ، لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتشكيل الصياغي للكلام ، فدلالة التحقير والتهكم دلالة تحويلية ، لأن مفردات هذا السياق تـرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمفردات الصياغية .

٣- التشريف والتعظيم : نقل عن الراغب أن الرسول (محمـد) صـلى الله عليه وسلم : " خُصَّ بلفظ (أحمد) فيما بشر به (عيسى) عليه الصلاة والسلام تنبيهاً على أنه أحمد منه ومن الذين من قبله " [٣]، فأنت ترى أن ذكر أحمد على غرض التعظيم ، والتشريف ، والتكريم والتخصيص .

فتوظيف الدلالة في الاسم العلم يفيد أغراضاً دلالية وجمالية يضفيها السياق ، واستخدام الوظيفة الدِّلالية للاسم ، يعني قيامه بالوظيفة التواصـلية ، وإن لـم يصرح بتلك الوظيفة ، بل هو موجود بالقوة ، وإن لم يوجد بالفعل .

---

[١] المطول شرح التلخيص ، ص٢١٦ .

[٢] عبده قلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية ، ص٢٢٠ .

[٣] جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن أبن أبي بكر الخضيري السيوطي / ت ٩١١هـ/ ، الاتقان فـي علوم القرآن ، ط١ ، دار الجيل – بيروت ، ١٩٩٨م ، ٣/ ٦٧ .وسأشير إلى هذا المصدر بـ : الاتقـان في علوم القرآن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **التعريف باسم الإشارة :**

ومن الوظائف الدِّلالية التي يؤديها اسم الإشارة ، الآتية :

١- أن يقصد تمييز المشار إليه أكمل تمييز : لإحضاره في ذهن السامع حساً ، فالإشارة أكمل ما يكون من التمييز لتنزله في المحسوس ، كأن " لا يكون لك أو لسامعك طريق إليه سواه ، أو تقصد بذلك أكمل تعيين له ، فالإشارة أكمل ما يكون من التمييز"[١]، وذلك لإحضاره في ذهن السامع ، فيكون أكثر تصوراً ، بحيث لا يغيب عنه شيء من أوصافه ، فاسم الإشارة يكون مميِّزاً عند إنزاله منزله المحسوس الذي أصله أنْ يستعمل حقيقة ، والوظيفة الدِّلالية التي تؤديها ، هي التنبيه على السامع في المسند إليه .

٢- الإشارة إلى كل أفراد الحقيقة واستغراقها استغراقاً حقيقياً ، " بحيث يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب اللغة ، وهذا الاستغراق لكل أفراد الحقيقة بمعونة قرينة حالية أو قرينة لفظية "[٢]، فالحالية كما في نحو: الغيب يعلمه الله ، فالمراد كل لون من ألوان الغيب ، واللفظية كما في نحو قوله تعالى: { إنَّ الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات } (العصر:٣) ، فقوله : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، قرينة لفظية.

٣- الإشارة للقريب : فاسم الإشارة في قوله تعالى : { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم } (الإسراء : ٩) ، يُعبر عما تكنّه النفوس لهذا الكتاب العزيز وعن قربه للنفوس ، وتدبّر آياته ، والعمل بوحيه وتوصياته[٣]، فالهداية للأمة تأتي من قرب هذا الكتاب للنفوس ، واسم الإشارة للقريب يدل على التعظيم.

---

[١] انظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، ١٢٨/١. وانظر : مفتاح العلوم ، ص ٣٧٥ .

[٢] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص١٠٦ .

[٣] فضل عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ٢٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما جعل القرب ذريعة إلى التحقير [١]، كما في قوله تعالى : { وما هـذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعب } (العنكبوت : ٦٤) ، وكأن السياق أفاد اسـتخدام اسم الإشارة للقريب ، إشارة إلى دلالة التحقير .

٤- وظيفة الإيجاز والتنبيه : وهذا الغرض من أشهر الأغراض التـي ذكرها البلاغيون ، لإنه يتضمن ذكر أوصاف لشيء[٢] ، ثم تذكر تلك الأوصاف بعد ذلك باسم الإشارة ويذهب سعد الدين التفتازاني إلى أنَّ تعريف المسند إليـه بالإشارة للتنبيه، " وهو ذكر المشار إليه بأوصاف قبله على أنه جدير بما يـرد بعده من أجلها"[٣]، فالمتكلم يذكر أوصافاً عديدة لشيء ما ، ثـمّ يـسندها باسـم الإشارة إلى تلك الأوصاف، وعند الكلام عن وظيفة الأيجاز نرى أنه يركز على الجانب الاقتصادي في الأبنية ، ذات الدلالة المتشعبة ، ويعتمـد علـى البنيـة العميقة في رسم حدود الدلالة، فالوظيفة الدلالية للإيجـاز يمتـد إلـى البنـاء الخارجي والخارجي للغة على المستويين السطحي والعميق ، عن طريق ثنائية الزيادة والنقصان ، الذي يتجاوز الوظيفة التقريرية إلى نواتج دلالية جديدة .

ويتضمن الإيجاز دلالة ذكر أشياء عديدة ، ثمَّ تذكر اسم الإشارة علـى مـا يترتب من أوصاف المسند الى هذا الاسم "[٤]، أي ان ذكر المشار إليه باوصاف من قبل ، ثم يأتي باسم الاشارة متضمنا الدِّلالة على المقصود من اختـصاص اللاحق ، ومن ذلك ، يقول الزمخشري في قوله تعالى : { أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون } (البقرة : ٥) ، " وفي اسم الإشارة الـذي هـو (أولئك) إيذان بأن ما يرد عقيبه ، فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه مـن أجـل الخصال التي عددت لهم " [٥]، فقد أوجز في استخدام اسم الإشارة (أولئك) الذي أدى وظيفة دلالية على موصوف بصفات عديدة ، فبنـى الحكـم علـى هـذه الصفات.

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة ، ص٤١ .

[٢] الإتقان في علوم القرآن ، ٢/ ٢٩٤ .

[٣] المطول شرح التلخيص ، ص٢٢٤.

[٤] انظر : الإتقان في علوم القرآن ، ٤٩٢/٢

[٥] المصدر ذاته ، ١٤١/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاستعمال اسم الإشارة يقوي الدِّلالة في أثر المعنى ، ويكسبه بعداً جديداً ، وتعتمد الوظيفة الدلالية لاسم الإشارة على السياق ، لتحديد الغرض ؛ لأنَّ الدِّلالات تتزاحم في اسم الإشارة ، كالتتعظيم ، والتمييز ، والقرب ، والإيجاز.

- **التعريف بالاسم الموصول** :

تناول البلاغيون اسم الموصول كونه من المعارف التي هي تركيب دلالي مخصوص في بيان الاسم الموصول ، ومن الوظائف التي يقع الاسم الموصول ليفيد وظائف دلالية جديدة ، الآتي:

١- التفخيم والتهويل [١]: ففي قوله تعالى : { فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم } (طه:٧٨) ، يبين يحيى بن حمزة العلوي وظيفة التفخيم والتهويل في الآية أنه " يريد مبلغاً تقاصرت العبارة عن كنهه فحذف ذاك وأقام الإبهام مقامه ، لأنه أدل على البلاغة"[٢]، فصلة الموصول (ما غشيهم) لا يمكن وصفه وتحيده ، لأنه بالغ الهول والشدة ، ويترك الخيال للوصول إلى تلك الصورة الدلالية، فالوظيفة الدلالية الانفعالية مهيمنة على التشكيل الصياغي للغة ؛ فتتجه الدلالة في بؤرتها إلى المتلقي .

٢- الذم والتعريض : ومن الوظائف الدلالية للبلاغة ما يفيد دلالة الذم والتعريض ، نحو قوله تعالى : { ويقول الذين كفروا لولا أُنزل عليه آية من ربه } (الرعد : ٢٧) ، أي : أهل مكة ، فقد وضع الموصول موضع الذم وتسجيلا عليه الكفر[٣] ، فوظيفة اسم الموصول يؤثر على الإضمار لإظهار الذم والتعريض .

وأكثر المعارف استخداماً للتعريف الاسم الموصول ، لأنه مفرد تضمن جملة ، ووظيفة الاسم الموصول تقع على كلام غير تام بالمقصود من الغرض،

---

[١] المختصر على التلخيص ،١/ ٢١٨.

[٢] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ، ١/٨٠ .

[٣] طالب محمد الزوبعي ، علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بنغازي ، ١٩٩٧م، ص٢٠١ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : طالب الزوبعي ، علم المعاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالنفس تتشوق إلى كمال وظيفته الدلالية التي يوحيها المعنى ، وذلك حسب ما يقتضيه السياق والحال .

- **التعريف بالإضافة** :

حاول البلاغيون لاكتشاف دلالات التركيب الإضافي ، وتأثيره في النفس ، ومن هذه الدلالات :

١- ألا يكون لإحضاره في الذهن طريق أخصر من الإضافة ، وكان المقام يتطلب الاختصار [١]، الأصل في الاختصار الدلالة على المقام الذي يتطلب الاختصار، فالتعريف بالإضافة يُقدِم على مستوى السطح عمقاً صياغياً ودلالياً.

٢- التعظيم : وتأتي الإضافة لتعظيم المضاف ، مثل قوله تعالى :{ تلك آيات القرآن وكتاب مبين } (النمل :١) ، قال الزمخشري : " وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين ، على سبيل التفخيم لها والتعظيم ، لأنَّ المضاف إلى العظيم يعظم بالإضافة إليه "[٢]، فتركيب الإضافة يزيد التشريف والتعظيم بين المضاف والمضاف إليه ، هما القرآن والآيات ، وتظهر وظيفة التعظيم في نطاق الوظيفة الانفعالية ، لترتد إلى المتلقي ، فتظهر في الصياغة التشكيلية للكلام .

٣- وظيفة الاستهزاء : وقد تفيد الإضافة تحقير المضاف أو توبيخه ، ومن ذلك قوله تعالى :{ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون}(القصص:٦٢)، فأنت ترى أن قوله تعالى : (شركائي) " مبني على زعمكم، وفيه تهكم وتوبيخ "[٣]، يكشف تركيب الإضافة عن بعض الدلالات البلاغية والجمالية المؤثرة في السامع.

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة ، ١/ ١٣٥ . ودرويش الجندي ، علم المعاني ، ص١٠٧ .

[٢] الكشاف ، ١٣٥/٣ .

[٣] المصدر ذاته ، ١٠/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتركيب الإضافة يعطي دلالات جمالية مؤثرة ، لا يمكن للعبارة إعطاؤه دون هذا التركيب ، والذي يثير اهتمامي أن تركيب الإضافة، بُحث من قبل البلاغيين لاكتشاف قيمه البلاغية ، مما أدى إلى ظهور تفاوت في الدلالات ، في حين لا نجد مثل هذه الدلالات عن النحويين .

التنكير

التنكير لغة : النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب [١].

ومن المعاني للتنكير أن يكون الشيء مجهولاً ومنكوراً ، وهو معنى شامل وعميق وصالح ؛ لأنه يتولد منه معانٍ كثيرة ، وذلك إذا أجراه في التعبير بصير بأحوال الكلمات ، خبير بسياسة التراكيب ، وإليك بعض الوظائف الدلالية من خروج التنكير عن معناه الأصلي إلى معنى مجازيٍ ، وذلك حسب السياق :

١- تعظيم المسند إليه: ورد عند القزويني في قوله تعالى : { ولكم في القصاص حياة } (البقرة : ١٧٩) ، جاء عند عبد القاهر الجرجاني أن هذا التعظيم للقصاص ليس للحياة نفسها ، ولكن على أنه لما كان الإنسلن إذا علم أنه إذا قتل قُتل ، ارتدع بذلك عن القتل ، فسلم صاحبه [٢]، لما كان عليه من قتل جماعة بواحد متى اقتدروا ، أو نوع من الحياة الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداع عن القتل للعلم بالاقتصاص ، فإن الإنسان إذا همَّ بالقتل تذكر القصاص فارتدع فسَلِم صاحبه من القتل [٣]، وهذه الحياة لا يحدها تعريف أو وصف لسلامتها من القلق والاضطراب واتسامها بسمات الأمن والحب

---

[١] معجم مقاييس اللغة : مادة (ن ك ر) .

[٢] دلائل الإعجاز ، ص ٢٩١ .

[٣] الإيضاح في علم البلاغة ، ص٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإخاء[١] ، وتتحرك دلالة التعظيم في نطاق الوظيفة الانفعالية ، لترتد إلى المتفنن فيكون حضورها على الصياغة .

٢- تفخيم المسند : وذلك لِما يفيده التنكير عندئذٍ من أنَّ المسند بلغ من خطورة الشأن وسمو المرتبة حداً لا يدرك كنهه ، ففي قوله تعالى : { ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين } (الابقرة : ٢) ، " فدلالة (هدى) المنكرة على فخامة هداية الكتاب وكمالها ، هذا على اعتبار أن هدى خبر لمبتدأ محذوف ، أي: هو هدى ، أو خبر المبتدأ ذلك الكتاب "[٢] ، فالوظيفة الدلالية مهيمنة على التشكيل اللغوي؛ فتتجه الدلالة في بؤرتها إلى المتلقي ، لتقوي ماهية التنكير ، وتمكينها في النفوس.

٣- إرادة عدم حصر المسند في المسند إليه ، وعُدَّ التعيين في المسند لا في المسند إليه ، وذلك لأن المقام يقتضي ذلك ، نحو : زيد كاتب وعمرو شاعر ، حيث يراد مجرد الإخبار بالكتابة والشعر [٣]، وتظهر الوظيفة الدلالية للتنبيه على في حصر المسند في المسند إليه ، كهدف صياغي تتجه بنيته إلى البنية العميقة.

٤- للدلالة على فرد غير معين من الأفراد التي يصدق عليها مفهوم اللفظ ، فتنكير المسند إليه إمَّا لعدم تعلق الغرض بتعيينه ، وإنْ كان معروفاً ، نحو قوله تعالى : { وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى } (ياسين : ٢٠) ، أي رجل واحد، أو بعبارة أخرى فرد واحد من الأفراد المندرجة تحت مفهوم كلمة (رجل)[٤]، ولم يعين ، لأنَّ الوظيفة الدلالية تتعلق بغرض لم يتعلق بتعيينه ، وإن كان معروفاً ، إذ المقصود قص القصة المتعلقة به للموعظة والذكرى ، فالوظيفة وظيفة انفعالية ، لأنها تتعلق بالمتكلم .

---

[١] حسن طبل ، علم المعاني ، ص١٤٨ .

[٢] درويش الجندي ، علم المعاني ، ص٩٣ .

[٣] المرجع ذاته ، ص٩٣.

[٤] المرجع ذاته ، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- التحقير : كما في قوله تعالى :{ ولئن مستهم نفحةٌ من عذاب ربــك } (الأنبياء : ٤٦) ، فالدلالة في (نفحة) التقليل أو التحقير ، أي : نفحة قليلة ، وقد أنكر هذا الخطيب القزويني ، حيث قال : " إن معنى التقليل مستفاد من بناء الفعل للمرة ، أعني قوله نفحة ، ولأنها تدل بمادتها على القلة ، ولأنها من قولهم نفحته الريح إذا هبت عليه هبة " [١].

وتأتي أهمية التعريف والتنكير لتضيف أبعاداً دلالية تكون نابعة من ظروف المقام وحال السامع ، و يُعدُّ مبحث التعريف والتنكير في الاستخدام الجُملــي ، من أهم مباحث علم المعاني ؛ لما يحملان من دلالات وظيفية وأغراض بلاغية، تدفع بالمتكلم إلى الاستعانة بأحدهما دون الآخر في موضــع ليــؤدي غايتــه ، ويحقق مراده.

[١] الإيضاح في علم البلاغة ، ص ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث السادس

القَصْر

القصر لغة : القَصْر : الحبس ، يقال قصرته إذا حبسته ، وهو مقصور أي محبوس [١].

وعرَّف أبو يعقوب السكاكي القصر أنه " تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثانٍ "[٢] ، فهو حبس صفة على موصوف ، فلا يتصف بها غيره ، فإذا قلت : (حرّر المجاهدُ المقدسات) ، كان الكلام مرسلاً ، أفاد أنه حرر المقدسات ، أما عند قولك: (إنما حررَ المجاهدُ المقدساتِ) أفاد شيئاً زاد على الإثبات ، فقصر التحرير على المقدسات .

ويأتي القصر للخبر الذي لا يجهله السامع ولا ينكر صحته ، وينقل عبد القاهر الجرجاني ما ذكره سيبويه ، فيقول :" فلمَ يقع إذن بعد إنما إلا شيء كان معلوم للسامع من قبل أن ينتهي إليه "[٣]، فإنِّما حيثُ وردتْ لا يقع بعدها إلا شيء كان معلوما للسامع ، فالقصر من ضروب الإيجاز الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة ، إذ إن جملة القصر في مقام جملتين . فقولك : ما كامل إلا الله، تُعادل قولك : الكمال لله، وليس كاملاً غيره .

وتنتج الوظائف الدلالية للقصر من خلال الصياغات التشكلية لتحقيق أغراض معينة ، ومن هذه الدلالات :

١- دلالة التعريض :

الأصل في وضع (إنِّما) أنْ تكون لِما يجهله المخاطب أو ينزل منزلته ، نحو: { إنما أنت نذير } ، (هود : ١٢) ، أما عند الحصر بـ(إنِّما) فيرى عبد القاهر الجرجاني أنَّ القصر بـ (إنِّما) أقوى وأبلغ من التعبير بالنفي ، حيث قال :" اعلم إنَّها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره ، فإذا

---

[١] معجم مقاييس اللغة : مادة (ق ص ر) .

[٢] مفتاح العلوم ، ص١٢٥.

[٣] دلائل الإعجاز ، ص ٣٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت : إنَّما جاءني زيد ، عقل منه إنَّك تريد أنْ تنفيَ أنْ يكون الجائي غيره "[١] ، فالدلالة التعريضية تقع بين الدلالة السطحية ، وهي العلم بمضمون المجيء ، عندما تتحدث عن أنَّ الجائي هو زيد ، والدلالة العميقة هي الدلالة التعريضية بالمجيء في الرد على من قال إنَّ الجائي غير زيد ، أو حصل في علمه أنَّه لم يأتِ إلا زيد، فدلالة التعريض تتحرك في حصر صفة المجيء فقط دون غيره .

٢- الدلالة التنبيهية :

وجه دلالة النفي والاستثناء على القصر أصله " أنْ يكون ما استعمل له ممَّا يجهله المخاطب وينكره ...، وأصل القصر بـ(إنَّما) أنْ يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب وينكره ، على عكس النفي والاستثناء "[٢]، وتتحرك الوظيفة الدلالية في الاستثناء بين البنية السطحية في الجهل بالمجيء ، في مثال، ما جاء الطلاب إلا عاصم ، والبنية العميقة في العلم بمجيء (عاصم) خارج الحكم الذي تضمنه الفعل قبل إلا (مجيء الطلاب) ، فكان ذلك للفت الانتباه إلى حالة الانفصام بين البنيتين .

على حين أنَّ بعض البلاغيين يتحدثون عن دلالة النفي والاستثناء ، فيقولون : " إنَّ وجه دلالة (النفي والاستثناء) على القصر هو أنَّ النفي في الاستثناء المفرغ وهو الذي ترك فيه المستثنى منه ، ففرغ الفعل الذي قبل (إلا)، وشغل عنه بالمستثنى المذكور بعدها ، نحو ، ما ضرب إلا زيد ، وما فعل زيد إلا هذا ، وما كسوته إلا جبة ، يقولون النفي في هذا الاستثناء متوجه إلى مقدر عام ، وهو المستثنى منه "[٣]، لأن المخاطب يكون معتقداً بثبوت الفعل لما أثبته المتكلم ، واستثنى منه شيئاً معيناً ، وقد نبه البلاغيون إلى أن حال المخاطب تحدد دلالة في موقف معين ، فالجملة تأخذ دلالتها البلاغية من الحالة النفسية ، فإذا كان النفي في الاستثناء يفيد العموم ، فالمخاطب وحده الذي يستطيع إطلاق هذه الدلالة ، ويخصص العموم .

---

[١] دلائل الإعجاز ، ص٣٣٥ .

[٢] الإيضاح في علوم البلاغة ، ص ٢٢٨.

[٣] بسيوني فيود ، علم المعاني ، ٣٢/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- تمكين الكلام وتقريره :

الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في الذهن[١]، كما في قوله تعالى: { قل هو الله أحد ، الله الصمد }(الإخلاص :١-٢) ، فقد استفيد التمكين أولاً من الإضمار في موضع الإظهار في قوله تعالى : (قل هو الله أحد) ، ثم جاء الإظهار في موضع الإضمار ، إذ قيل (الله الصمد) ، بدل هو الصمد ، لزيادة التمكين ودلالة التقرير لا تتحرك إلا في نطاق الوظيفة الإفهامية ، لأنَّ المتكلم له الحضور المسيطر على مفردات التشكيل الصياغي ، وبؤرة الدلالة موجهة إليه في الأساس.

وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني ذلك بوضوح عندما تكلم عن حصر (ما) بـ(إلا) ، فقال : " اعلم أنك إذا قلت : ما جاءني إلا زيد ، احتمل أمرين أحدهما أن تريد اختصاص زيد بالمجيء ، وأن تنفيَه عمن عداه ، وأن يكون كلاماً تقوله ، لا لأنَّ بالمخاطب حاجة إلى أن يعلم أن زيداً قد جاءك ، ولكن لا إلى أن يعلم أنَّه لم يجئ إليك غيره "[٢]، فالمخاطب عنده علم بمجيء زيد ، وأنَّك إنما قلته لتعلمه أنَّه لم يأتِ معه أحد آخر.

٤- والقصر يحدد المعاني تحديداً كاملاً :

ويتميز أسلوب الحصر بـ(إنِّما) بإفادة تحديد المعاني ، ويرى عبد القاهر الجرجاني أن تحديد المعاني أقوى ما يكون عند استخدام (إنما) وأعلق ما يرى القلب ، يقول عبد القاهر الجرجاني :" ثمَّ اعلم أنك إذا استقويت – إنَّما – وجدتها أقوى ما تكون ، وأعلق ما تري بالقلب ، إذا كان بالكلام بعدها نفس معناها ، نحو قوله : (إنما يعذر العشاق من عشقا) ، فيقول : إنه ليس ينبغي للعاشق ، أن يلوم من يلومه في عشقه ، وإنه لا ينبغي أن لا ينكر ذلك منه ، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ،ولو كان ابتلي به لعرف ما هو فيه فعذره"[٣]، فجاء تحديد معنى غير المعنى المباشر الذي دخل عليه ، والدلالة نراها

---

[١] انظر : الايضاح في علوم البلاغة ، ١/ ٢٣٥. ودرويش الجندي ، علم المعاني ، ص١٥٧ .

[٢] دلائل الإعجاز ، ص٣٣٩.

[٣] المصدر ذاته ، ص٣٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعيدة قليلة ، فتغيب عن الرؤية، فيأتي السياق بتوليد الدلالة الجديدة من المعنـــى وتفاعله معه .

والوظيفة التي يؤديها القصر هي دلالة على التركيـــز ، وتثبيـــت الدلالـــة بجزيئاته، فالوظيفة الظاهرة هي وظيفة طلبية بشكل عام ، ووظيفة القصر تعتمد على البنية في مستوى البنية العميقة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

مقاربات المُحْدَثين للوظائف البلاغية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى بعض المحدثين قصوراً في دراسة البلاغيين القدامى للوظائف البلاغية، ويتمثل ذلك في أنهم قصروا دراستهم على الشكل دون المعنى ، فأهملوا الوظائف التواصلية المتعلقة باللغة .

وهذا الفصل يتناول مقاربات المحدثين العرب للبلاغة المعاصرة ، مقتصراً على الوظائف الدلالية للبلاغية ، من حيث الأصول التي بنيت عليها ، ومنهجيتها، وأهم الآراء في الإصلاح البلاغي ، ومن ثَمَّ محاورتها للوقوف على مدى واقعية الانتقادات التي وُجهت للبلاغة العربية ، ومعرفة مقدار إسهامها في مسيرة الدراسات البلاغية .

لذلك فدراستنا للوظائف المختلفة في البلاغة المعاصرة دراسة دلالية ، نتعقب فيها الوظائف الأربع الآتية : النفسية والدينية والاجتماعية والأدبية ، وتهتم في تبويبها انطلاقاً من أدنى الوحدات الدلالية وصولاً إلى النص عامة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمكن تقسيم هذه المسيرة إلى ثلاث مراحل :

المبحث الأول

المرحلة الأولى

محاولة أمين الخولي(الوظيفة النفسية)

تؤثِّر دِلالة الوظيفة النفسية في النفس الإنسانية ، وتثير فيها العواطف الكامنة، وتهزُّ أعماق الإنسان لتوقظه على الحقائق من حوله ، وتوازن بين الجانب الحسي والمعنوي ، كالحب والكره ، والخوف والرجاء .

والمتمعن في الجهد النقدي البلاغي العربي الحديث عموما ، لن يصعب عليه أن يجد مواضع ظهر فيها بجلاء إدراك النقاد والبلاغيين أهمية الجوانب النفسية في إنشاء الأدب ونقده ، وتبيُّن بلاغته ، لكن لم يكن لهم – كما يرى مجيد عبد الحميد – جهد مستقل[١] ، ومع ذلك فإن الدراسات الحديثة توصلت إلى تأثير دلالات الألفاظ والمعاني الكامنة في المتكلم والمؤثرة في السامع .

ويُعتبر أمين الخولي رائد المدرسة البلاغية في العصر الحديث ، وقد أوضح ذلك في كتابه (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) ، وبدأ أمين الخولي محاولته في تجديد البلاغة العربية عام ١٩٢٨ م ، "حين أخذ يدِّرس البلاغة والأدب في كلية الآداب في الجامعة المصرية ، ثمَّ في آواخر الأربعينيات عهد إليه إلقاء محاضرات في البلاغة على طلاب معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية ، فأودع في محاضراته آراءه في التجديد البلاغي والأدب والفن عامة ، وهي ما ضمه كتاب (فن القول) الذي صدر سنة ١٩٤٧م "[٢]، فقد حاول أمين الخولي الربط بين التأصيل والتجديد في المعاني النفسية من خلال دلالة الألفاظ والتراكيب والسياق مستفيداً من القرائن والإشارات الإيحائية لالتقاط الدلالات المقصودة .

---

[١] مجيد عبد الحميد ناجي ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص٥.

[٢] عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، ١٩٨٠م ، ص١٨٥، وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظر أمين الخولي إلى التحليل البلاغي من وجهة نظر الوظيفة النفسية ، فدفعه إلى تقسيم منهجه إلى قسمين:

١- المنهج الخارجي : وهو الجمع المستقصي للنصوص والتحقيق المتثبت لها .

٢- المنهج الأدبي : وهو الفهم الدقيق المستشف ، وهذا هو لباب المنهج الأدبي وروحه، فصنيع الأقدمين – كما يقول الخولي – في فهم النصوص فهماً لغوياً ونحوياً وبلاغياً كان غير كافٍ ، ولا بدَّ من إكماله وإتمامه[١] .

ويرى الخولي أنَّ البلاغة اتصلت بعلم النفس اتصالاً وثيقاً ، ولو لم يلمح القدماء هذه الصلة ، أو يقتفُوا أثرها .

ويرى الخولي أنَّ أقصى ما وصلت إليه كلمة البلاغة والبيان ، هي " الدراسة التي تمكِّن من التفريق بين الجيد والرديء من القول "[٢]، ولتحقيق الوظيفة النفسية في البلاغة العربية ، يؤكد الخولي على دراسة المنهج النفسي الذي يسعى إلى دراسة البلاغة ، ويؤكد ذلك من طريق أنَّ " البحث النفسي يهدي إلى أنَّ القرآن قد راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ، ومسارب الانفعال، ونواحي التأثير ، وجوانب الاطمئنان ، وأثار من هذا ما أيَّد به حجته، وأظهر دعوته"[٣]، لذا فالوظيفة النفسية من أفضل السبل لتحقيق الهدف البلاغي، وهنا لا بدَّ من تعريف الوظيفة النفسية – كما يراها أمين الخولي - فهي الدلالة النفسية للمتكلم في نفس المخاطب من خلال دلالة الألفاظ والمعاني النفسية .

ولا يجد الخولي ضيراً في أنَّ الوظيفة النفسية جزء لا يتجزأ من الوظائف البلاغية ، والتي تتصل بمصدر الحياة في الإنسان ، فالوظيفة النفسية تدرك

---

[١] أمين أنور الخولي / ت١٩٦٦م / ، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، د.ط ، دار المعرفة - القاهرة ، ١٩٦١م ص٣٣٣، وسأشير إلى هذا المرجع بـ : أمين الخولي ، مناهج تجديد .

[٢] المرجع ذاته ، ص٩٣.

[٣] المرجع ذاته ، ص ٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالذوق الأدبي والأحساس الفني ، " وتوثق الصلة بين الفن القولي ، والخبرة النفسية ، وتُقدم بين يدي الدرس البلاغي مقدمة نفسية ... ، تدرس في هذه المقدمة القوى الإنسانية بعامة ، وما له منها أثر فني بخاصة ؛ فنعرف غير قليل عن الوجدان ، وعلاقته بمظاهر الشعور الأخرى من الناحية عمله الفني ، ونعرف مثل ذلك عن الخيال ، والذاكرة والإحساس ، وعن الذوق الذي طال ويطول التحدث عنه في البلاغة "[١]؛ لذلك فإنَّ الخبرة بأعمال النفس الإنسانية في إدراك الحسن ، ومحاولة التعبير عنه ضرورة فهم كيفية تعبير القول الفني عن الإحساس بالجمال، ثم إدراك هذا التعبير النفسي ، ثم الحصول على الوظيفة التعبيرية عن النفس.

ويرى أمين الخولي في هذه المقاربة أنَّ علم النفس يساعد في دراسة البلاغة، وهي تقدم بين يدي الدارس البلاغي مقدمة نفسية بلاغية ، يعرِّف الدارس فيها شيئاً عن الوجدان ، وعلاقته بمظاهر الشعور الأخرى من ناحية عمله الفني .

والوظيفة النفسية لها أبعادها في وظائف أخرى ، منها : الوظيفة الإعجازية في فهم أسرار القرآن البلاغية ، وذلك حين يقول أمين الخولي:" وأبعد من ذلك وأعمق تقديرنا صلة البلاغة بعلم النفس سيهدينا في بحث مسألة قديمة ، جليلة الخطر ، كانت منذ أول الدهر خالقة البحث البلاغي ، ومحددة غايته ، وموجهة دراسته ، تلك هي مسألة إعجاز القرآن ، التي نعرف جميعاً أنها أفعل ما أثر في البحث البلاغي ، وحياة البلاغة العربية ، ونقدر ما كان لها من خطر أدبي ، وخطر ديني "[٢]، فالوظيفة النفسية حين تعلل نسج الآية وصياغتها ، وتعرّف بجو الآية ، ترفع المعنى الذي يفهم منها إلى أفق باهر السناء ، ودون هذه الوظيفة النفسية ، يرتد المعنى ضئيلاً ساذجاً ، لا تكاد النفس تطمئن إليه ، ولا هو خليق بأن يكون من الوظائف النفسية لتفسير القرآن .

---

[١] أمين الخولي ، مناهج تجديد ، ص١٩٣ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ١٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوظيفة النفسية التي تظهر بصورة واضحة صلة الأدب بالبلاغة ، وصلة البلاغة بعلم النفس ، ممَّا يعني اختصار الصلة بين الأدب وعلم النفس اختصاراً مباشراً ، ويوضح ذلك الخولي بقوله:" إنَّ الأدب من الفنون الجميلة ، ومن أدواته الكلمة ، وإن الأدب هو القول الفني ، والبلاغة هي البحث عن فنية القول...، وإذا كان الفن هو : التعبير عن الإحساس بالجمال ، فالأدب هو : القول المعبِّر عن الإحساس بالجمال ، والبلاغة هي : البحث في كيف يعبِّر القول عن هذا الإحساس؟" [١]، ويستفيد البلاغي في دراسة الوظيفة النفسية من أدوات البلاغة ، فمن أدواتها بيان المعنى ، وتحديد الدلالة ، ثم النظرة الوصفية التي تُعنى بتطبيق اصطلاح بلاغي بعينه .

وليس الناس سواء في تجاربهم الحسية والنفسية في الحياة ،" فبعضهم ولا شك أغنى من بعض في رصيد هذه التجارب ، وأسباب الغنى والفقر في هذا الرصيد كثيرة ومتنوعة ، فقد ترجع إلى سعة الطبيعة النفسية أو وظيفتها وقوتها أو ضعفها وتعمقها أو سطحيتها ، وقد ترجع إلى اللون الذي تصطبغ به هذه الطبيعة[٢] "، فالنفوس في رصيد الصور الخيالية ، يقوى ويضعف حسب التعبير اللفظي والاستعداد النفسي ، يتسع ويضيق إدراكه للحالة التي تموج فيها الحياة .

وعلاقة القرآن الكريم بالوظيفة النفسية ، هي علاقة ترابط وتلازم ؛ لأنَّ كلاً منهما يتأثر بالآخر ويؤثر به ،" وأكبر السبب في ذلك أنَّ هذا القرآن الكريم ليس عن طبع إنساني ، وبأحوال نفسية لا يجاوزها ، فهو يداور المعاني ، ويرفع الأساليب، ويخاطب الروح بمنطقها من ألوان الكلام " [٣]، فالعلاقة بين القرآن والنفس لا تحتاج إلى إثبات ، فليس هناك من ينكرها ، فليس غاية البلاغة أن تعتبر الكلام وقفاً على تغذية الفكر وحده ، بل هناك قوى نفسية

---

[١] أمين الخولي ، مناهج تجديد ، ص٣٣٢.

[٢] سيد قطب ، دلالة الألفاظ على المعاني ، مجلة الثقافة – مصر ، العدد ٧٨ ، ١٩٤٠م ، ص٣٢. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : سيد قطب ، دلالة الألفاظ .

[٣] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ط٥ ، دار الشروق – بيروت ، ١٩٧٩م، ص٣٤ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرى تعتني بالبلاغة ، لتغذيتها وتهذيبها، ومن ذلك قوة الانفعال وقــوة الإرادة القرآنية التي تصنع البلاغة.

والوظيفة النفسية حين تخاطب فطرة الإنسان أو الطبيعة المزدوجة فيه ، لا يعني هذا أنها تخاطب النزعة الفردية ، على حساب النزعة الجماعيــة " فــلا يصح أن تعلل عبارة من عباراته ، أو يحتج للفظ في آية من آياته ، أو يستشهد لأسلوب من أساليبه ، إلا بموقعه من النفس ، وبما كشف العلم عن هذا الموقع ، وما سبر من أغواره ؛ فبالأمور النفسية لا غير يُعلَّل إيجازه وإطنابه ، وتوكيده وإشارته ، وإجماله وتفصيله ، وتكراره وإطالته ، وتقسيمه وتفصيله ، وترتيبــه ومناسباته ، ما يقوم من تعليل هذه الأياء وغيرها "[١]، وكما يتضح لأول وهلــة من حديثنا السابق عن الجانب الحسي والمعنوي ، والحب والكــره ، والخــوف والرجاء ، والمحسوس وغير المحسوس ، فالعلاقــات الوثيقــة بــين المــتكلم والسامع، اتجاهان بارزان في الوظيفة النفسية أيضاً.

وفي اعتقادي أنَّه لن يتسنى التحرر من البلاغة الشكلية ، والعودة بالبلاغــة إلى جوهرها ، " إلاَّ عند فهمنا للنصوص البلاغية ، والخضوع للنواحي المؤثرة فيه ، وإدراك لما بين البلاغة والحياة من صلات ، يقوم ذلك كله على أساس من فلسفة ذوقية نفسية شاملة تنير السبل أمام البلاغيين"[٢]، فالبلاغة فن من الفنــون التعبيرية الجميلة ، أو هو نوع من انواع إنتاج الإنساني الراقي ، ولا يرقــى إلا بالاستضاءة بعلم النفس ، والاهتداء بأصوله وقواعده .

والأخْذ بعلم النفس في دراسة البلاغة من أفضل الــسبل لتحقيــق الوظيفــة الدينية، يقول أمين الخولي :" وأبعد من ذلك وأعمق أن تقديرنا صــلة البلاغــة العربية بعلم النفس ، سيهدينا في بحث مسألة إعجاز القرآن ، التي نعرف أنَّهــا أفضل ما أثَّر في البحث البلاغي ، وحياة البلاغة ، ونقدِّر ما كان وما زال مــن

---

[١] أمين الخولي ، مناهج تجديد ، ص ٢٠٣ .

[٢] انظر : محمد خلف الله ، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، د.ط ، لجنة التأليف والترجمــة – القاهرة ، ١٩٤٧م ، المقدمة . وسأشير إلى هذا المرجع بـــ : محمد خلف الله ، من الوجهة النفسية فــي دراسة الأدب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خطر أدبي وديني"[١]، وينبغي أن نذكر أنَّ الكشف عن الوظيفة النفسية تشمل كل ما يحيط المتفنن والمتلقي , فقد تكشف العبارة نفسية قائلها ، فترتبط الألفاظ فيما بينها لتشكل معنى معيناً يتبع المعنى النفسي الذي يريد أن يوصله المتفنن في الإعجاز القرآني .

وأشار محمد العمري إلى فكرة المقام في البلاغة واتصالها مع المجتمع ، بوصفها " عنواناً للعلاقة بين الخطيب والمستمع ، فالبلاغيون العرب - وإنْ لم يهتموا كثيراً بالدراسة النفسية والأخلاقية للمرسل والمتلقي - حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقال والحال " [٢]، وثمَّة أمور يجب أنَّ نؤكد عليها في التعامل مع البلاغة من خلال أدوات الاتصال ، وهي الاهتمام بالوظيفة النفية في مدى تأثيرها في عواطف القراء ، فالواجب على البلاغة الحديثة أن تشغل المساحة بين الموضوع والقارئ .

ويرى عز الدين اسماعيل أنَّ علاقة الأدب بالوظيفة النفسية هي علاقة ترابط وتلازم لأن كلاً منهما يتأثر بالآخر ، ويؤثر به ،" فالعلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات ، لأنه ليس هناك من ينكرها ، إن النفس تصنع الأدب ، وكذلك يصنع الأدب النفس ، النفس تجمع أطراف الحياة لكي يصنع فيها الأدب ، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس ، والنفس التي تتلقى الحياة لتصنع الأدب هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة "[٣]، فليس غاية البلاغة أنَّ تعتبر الكلام وقفاً على تغذية الفكر وحده ، بل هناك قوى نفسية أخرى تعتني بالبلاغة ، لتغذيتها وتهذيبها ، ومن ذلك قوة الانفعال وقوة الإرادة التي تصنع الأدب.

ويؤكد ذلك أمين الخولي في أن " الصلة الوثيقة بين الأدب والخبرة النفسية ، أو بين البلاغة وتلك الخبرة ، يمتد حميد أثرها إلى تلك القضية الكبرى في

---

[١] مناهج تجديد ، ص١٦٩.

[٢] في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ط١ ، دار الثقافة – الدار البيضاء ، ١٩٨٦م ، ص١٨ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد العمري ، في بلاغة الخطاب .

[٣] عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، ط٤ ، دار غريب – القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ١٤-١٥. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للأدب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإعجاز ، وهذا العمل الخطر في تفسير القرآن ، بعد ما بدت قوة أثرها في التربية الفنية ، والحياة الأدبية "[١] ، يظهر لنا مما سبق كيف يرتبط جمال البلاغة النفسية مع الممارسة الأدبية في الرجوع بالبلاغة إلى الإعجاز البلاغي ، وأسباب جمال العبارة , وأن وظفا توظيفا مناسبا بحيث يؤديان دورهما في توضيح المعنى , والكشف عن الوظيفة الدلالية النفسية .

وبذلك المنهج في فهم حال الوظيفة النفسية ، واتصاله بحال المتكلم ، نكشف عن الخبرة النفسية في فهم الآيات للتفسير النفسي ، الذي " يرفع الملاحظة النفسية إلى أفق باهر السناء ، خليق بذلك الإعجاز الذي تحدت به السماء ، على حين يضؤل المعنى بدون هذه الملاحظة ، ويمسي ساذجاً قريباً لا تكاد النفس تطمئن إليه "[٢]، وإذا كانت الوظيفة النفسية تتناول وظيفة دلالية قريبة كالمعاني الذهنية ، والتي تأتي من ورائها الوظيفة الدلالية البعيدة ، فهذا يستدعي استجابة في نفوس الآخرين ، هذه الاستجابة التي هي مزيج من إيحاء العمل الفني ، وطبيعة المستجيب له ، فالوظائف البعيدة للدلالة ، تتراءى لنا من وراء الوظيفة الدلالية القريبة ، وإنْ كانت هذه الوظيفة ممتزجة ومتداخلة .

كان دعاة التجديد – وعلى رأسهم سيد قطب – يميلون إلى تعريف البلاغة من الناحية الاتصالية ، وهو من الأهمية بمكان في تحديد نجاعة الكلام في عملية التبليغ وعملية التواصل الأدبي ، فيرى سيد قطب أن " الوظيفة النفسية تستدعي استجابة معينة في نفوس الآخرين ، هذه الاستجابة التي هي مزيج من إيحاء العمل الفني ، وطبيعة المستجيب له من الناحية الأخرى "[٣]، ففي هذا المجال نجد كثير من الألفاظ غير المحددة دلاليا ، تشحن ما يسمى بالدلالة الهامشية أو المضمون النفسي ، وهي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وأمزجتهم .

---

[١] مناهج تجديد ، ص ٢١٣.

[٢] أمين الخولي ، مناهج تجديد ، ص ٢١٣.

[٣] التصوير الفني في القرآن ، ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولغة الأدب لغة نفسية ، لأن الأديب يبرزها من خلال العاطفة والإحساس والتجربة للآخرين ؛ فهي تختلف عن لغة التخاطب اليومي ، " ولا شك أن ألوان البلاغة من تشبيه أو استعارة أو كتابة أو جناس تعين الأديب في توصيل تجربته للآحرين ، إلا أن هذه الألوان البلاغية لا تأتي متكلفة ، بل عفو الخاطر"[١]، فالوظيفة النفسية تستدعي هذه الأنماط لإيصال الانفعالات النفسية للمتلقي ، على حين أن الشعر يقوم على الانفعال التأثري من خلال التركيبة النفسية للشاعر التي يصعب إدراكها بسبب الغموض واللبس.

وكان يجب ألا يغيب عن بالهم أنَّ البلاغة مرآة النفس ، ودلالته هي مفاتيح مكنوناتها ، " فليس هناك شك في أن الأسرار اللغوية نفسية ، وأن ما في الثانية من إيماض ، وتفلت ، أو سنوح ، أو نعومة ، وكل ما تجده من أحوال الحسن كائن في الأولى ، وهو ما نعبر عنه مجازاً بالإشعاع ، والإيماء ، والإشارة ، وما شابه ذلك بما نحاول به من تلفط اختلاجة الحسن من العبارة ، ونسميه أسراراً بلاغية "[٢]، فالمحذوف إذا ذكر كان ثقيلاً في موضعه , لأنَّه تعريف لما عُرِف , فإذا لم يذكر في موضع كان يتوقع وجوده مما يغمر القلب بالسرور.

وحينما نقدم التفسير النفسي , فإننا نعرف ما حققته المحاولة المتقدمة في كشف للمعنى النفسي , ونرى مدى الانسجام والتلاحم فيما بينهما , عندئذ نستطيع أن نحكم بجمال البلاغة النفسية ، وأما إن جيء بهما في غير موضعهما فأنهما يكونان مدعاة للقبح والنفور , ولا يفيدان شيئا , بل إنهما يغيران المعنى النفسي , ويحولانه إلى مدلول آخر يخالف ما يراد غالباً فتخرج العبارة نتيجة ذلك واهنة النظم , مغايرة في مدلولها ما يراد .

وعند ارتباط الوظيفة الدينية بالحالة النفسية يلزمنا إلى البحث عن ماهية تلك العلاقة ؛ فأمين الخولي يرى أن الوظيفة الدينية تدرس من خلال علم النفس ، حيث قال :" وما دام الأمر فناً ونقداً وتقديراً أدبياً وقد بينا في جلاء ووضوح

---

[١] محمد أحمد ربيع ، علوم البلاغة العربية ، ط ١، دار الفكر – عمان ، ١٩٩١م ، ص٣٥. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد ربيع ، علوم البلاغة .

[٢] محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صلة ذلك كله بعلم النفس فقد اتصل الإعجاز الفني وفهمه بهذا العالم النفسي "[١]، والأخذ بالمنهج النفسي – كما يرى أمين الخولي – في دراسة البلاغة من أفضل السبل لتحقيق الوظيفة الدينية ، وهو تذوق القرآن الكريم الذي يعتمد على الوجهة الأساسية الوظيفة الدينية .

وأنجع السبل لمعرفة الوظيفة النفسية في أدق أحوالها بين المخاطبين ، عندما يأتي الكلام مطابقاً لمقتضى الحال ، ويعتمد ذلك على الوظيفة النفسية في دراسة البلاغة ، وذلك بمعرفة أحوال المتكلمين وفقاً لمقتضى أحوالهم ، " فإدراك الفروق الدقيقة بين الحالات المختلفة للمخاطب ، وصياغة الكلام على قوالب المقتضيات المناسبة للخطاب ، وتصوير الأخلاق على نحو يغري بالخير، أو يحذر من الشر، والقدرة على خلق الجمال في الأسلوب ، أو التعبير عما يخلعه الجمال فينا من العواطف ، كل أولئك يستلزم دراسة خاصة لعلم النفس ، وعلم الأخلاق ، وعلم الجمال "[٢]، فإثارة المشاعر تؤثر في النفس البشرية ، وتتركها تعمل في السوك الاجتماعي ، وتحمل الوظيفة النفسية المنهج للتوازن بين نفس الفرد ، ومسؤولية أمام غيره.

---

[١] مناهج تجديد ، ص٣٣٠.

[٢] أحمد حسن الزيات ، دفاع عن البلاغة ، ط٢ ، عالم الكتب – القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ٣٩ -٤٠ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : أحمد الزيات ، دفاع عن البلاغة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

محاولة عائشة عبد الرحمن (الوظيفة الدينية)

تُعد دراسة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ : (التفسير البياني للقرآن الكريم) ، (والإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق) ، من أبرز الدراسات البلاغية للقرآن الكريم في العصر الحديث ، فقد جاءت هذه الدراسة خير تطبيق على المنهج البلاغي الذي أرسى قواعده أمين الخولي في كتابه (مناهج تجديد) .

ولعل أبرز الجوانب البلاغية في هذه المقاربة ، ووضعه في الذروة من هذه الدراسة ، توظيف الدلالة الدينية للقرآن العظيم ، ليس لأنه كتاب العربية فحسب، بل " لأنَّ الذين يعنون بدراسة نواحٍ أخرى فيه والتماس مقاصد يبينها منه ، لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئاً دون أن يفقهوا أسلوبه الفذ، ويهتدوا إلى أسراره البيانية ، كيلا يختلط عليهم الأمر أو يغيب عنهم شيء من مدلول اللفظ القرآني وإيحاء التعبير"[١] ، ونحن مطالبون بدراسة الوظيفة الدلالية بعيداً عن إطاره التقليدي ، لأن القدماء بذلوا جهدهم ضمن إمكانات عصرهم وطاقاتهم .

فقد قامت عائشة عبد الرحمن بتفسير قصار السور تفسيراً بلاغياً ، وفي مقدمة كتابها أوضحت الأسباب التي دفعتها لتفسير القرآن ،" فملاحظتها انشغال كلية الآداب في مختلف الجامعات المصرية بتحليل النصوص الشعرية ، كالمعلقات والحماسيات والمفضليات والدواوين الشعرية وبيان مواطن الجمال فيها ، بينما ظل التفسير الأدبي للقرآن الكريم محصوراً في نطاق التفسير ، دون أن ينتقل إلى مادة الأدب العربي ، التي من الواجب عليها جعل النصوص القرآنية هي المحور الأساسي الذي تقوم عليه"[٢]، فالقرآن هو النص الرفيع والنبع الصافي للبلاغة العربية ، ومن الأهمية القصوى استحقاقه بالدراسة

---

[١] عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني للقرآن الكريم ، ط٣ ، دار المعارف – القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ٧/١ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني .

[٢] المرجع ذاته ، ٥/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتحليل ، فآن الأوان للاهتمام بتفسير القرآن من الوجهة البلاغية في كليات الآداب في الجامعات المصرية .

وحدثتنا عن تجربتها الشخصية في هذا المجال ، " حيث تابعت أسئلة الامتحان في مادة الأدب العربي في أقسام اللغة العربية بمختلف الكليات ، فلم تجد من بينها سؤالاً في النص القرآني ، بينما وجدت أسئلة في هذا المجال في مادة التفسير"[١]، وهدفها من ذلك إظهار التقصير في تحليل القرآن الكريم ودراسته بلاغياً ، وبالمقابل - كما ترى عائشة عبد الرحمن – تجد اهتماماً كبيراً بتحليل النصوص الشعرية والنثرية .

لذا حرصت بنت الشاطئ على أن تخلُص لفهم القرآن الكريم " فهماً مستشفاً لروح العربية ومزاجها ، مستأنساً في كل لفظ ، بل في كل حركة ونبرة وبأسلوب القرآن نفسه محتكمة إليه وحده عندما يشتجر الخلاف على هدي التتبع الدقيق لمعجم ألفاظه والتدبر الواعي لدلالة سياقه والإصغاء المتأمل إلى إيحاء التعبير في البيان المعجز "[٢]، وانطلاقاً من الحديث عن الوظيفة الدينية فأرى أنها المحور الثابت الذي تدور من حوله الوظائف الأخرى ، بنوعيها القريبة والبعيدة، وتخاطب الإنسان بحقائق الدين ، وتسعى إلى إقناعه والتأثير عليه.

فالقرآن الكريم يعتمد على تنوع أساليبه ، فيختار لكل موضوع فكرة ونوعاً خطابياً ، وهكذا " يتطور الخطاب من مجرد خطاب يعتمد لغة محددة في قوالب ثابتة إلى تفاعل يرتقي بالصورة المفردة من خلال علاقاتها مع الصور الأخرى إلى تركيب متكامل ، يعطي الخطاب البلاغي مفهوماً أعمق "[٣]، وتستخدم الوظيفة الدينية الأسلوب المقنع الذي يعتمد على تكثيف المعاني ، وإبرازها بشكل صحيح وواضح .

---

[١] عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني ، ١ /٦.

[٢] المرجع ذاته ، ١/ ١٠ .

[٣] خليل عودة ، مستويات الخطاب البلاغي في النص الشعري ، مجلة جامعة النجاح ، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني ، ١٩٩٩م ، ص٤٢٨ ، وسأشير إلى هذا المرجع بـ : خليل عودة ، مستويات الخطاب البلاغي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فألفاظ القرآن الكريم تترابط فيما بينها ، وتشعر بأنك تواكب الحدث الذي يتحدث عنه ، ويظهر ذلك في وحدته الموسيقية ، فالذي يسمع القرأن " إنما يسمع ضرباً خاصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه ، واتزانه على أجزاء النفس مقطعاً مقطعاً ونبرة نبرة "[١]، وهناك حقيقة في القرآن لا يمكن ان نغفلها ، وهي تكامل أسايب القرآن في أداء الوظائف الدلالية ، " فالخصوصية في اللفظ أصل الدقة في التعبير ، والوضوح في المعنى ، والصدق في الدلالة " [٢]، فالوظيفة الدينية تستخدم الألفاظ في اماكنها المناسبة ، بحيث تؤدي الغرض الذي وجدت من أجله ، وتدل دلالة تامة على معانيها بدقة ووضوح وصدق.

وما أعجب أن تتحقق آيات الإنسان الناطق بحروف صماء ، قد تتألف منها أصوات عجماء لا تبين ولا تنطق ، ومنها تصاغ الكلمات فيحقق بها الإنسان آية نطقه وبيانه ويحقق آية القراءة والعلم ، مميزاً عن الحيوان الأعجم ومرتقياً بإنسانيته إلى درجاتها العليا في الكائنات ، ومحتملاً بها امانة التكليف ومسؤولية الخلافة في الأرض[٣]، ومظهر الانفعال الديني ، أن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع ما يصاغ من كلمات وحروف ، وبما يهيء له الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تتناسب ما في النص من إعجاز .

ومن ثمار هذا المنهج أنه استطاع تصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها الأقدمون ، ومن الأمثلة على ذلك تفسيرها للمقصود بالضلال الوارد في قوله تعالى : { ووجدك ضالاً فهدى }(الضحى :٧) ، فعائشة عبد الرحمن " ترفض ما قاله المفسرون في هذا المجال ، لتنافيه مع ما ورد في القرآن الكريم نفسه من استعمال هذه اللفظة (الضلال) ، واتضح لها بعد الاستقراء أن الاستعمال القرآني لا يلتزم دائماً بالمعنى الاصطلاحي لكلمة (الضلال) وهو الكفر ،

---

[١] مصطفى صادق الرافعي / ت ١٩٣٧ م / ، تاريخ الآداب العرب ، د.ط ، دار الكتاب العربي – بيروت، د.ت ، ٢٢٢/٢. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : مصطفى الرافعي ، تاريخ آداب العرب .

[٢] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص٢٤٠ .

[٣] انظر : عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني للقرآن ، ص١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنما لوحظ فيه الأصل اللغوي من ضلال الطريق أو عدم الاهتداء إلى الصواب، وأدلتها على ذلك ورود هذه الكلمة في آيات قرآنية عديدة "[١]، وتتميز الدلالة الدينية ، بوظائفها المكثفة للأفكار الدينية ، وتبدو الدلالة بتشكيله الوظيفي بنية واحدة ، قائمة على نظام بلاغي ، لتعبر عن الأغراض الدينية المتعددة ، لأن الله سبحانه وتعالى أراد من خلال البناء لوظيفي للقرآن ، أن يحقق غرضاً دينياً، وهو إعجاز البشر .

ولا يعني تفرد الكلمة القرآنية بدلالة خاصة - في رأي بنت الشاطئ - تخطئة سائر الدلالات المعجمية ، كما أن إيثار القرآن لصيغة بعينها لا يعني تخطئة سواها من الصيغ العربية ، بل يعني ذلك تفرد القرآن بمعجمه الخاص ، وبإنه المعجز ، ويكفي أن يقال إن هذه الصيغة أو هذه الدلالة القرآنية ، ثم لا يعترض بعد ذلك بأن العربية تعرف صيغاً ودلالات أخرى للكلمة [٢]، فمن القضايا التي تميزت بها عائشة عبد الرحمن تفرد كل كلمة بدلالة ، حيث توصلت بالأدلة من القرآن الكريم إلى تميز كل لفظة قرآنية واستقلالها بدلالتها ، ولايمكن وضع إحدى مرادفاتها مكانها ، ولقد حرصت بنت الشاطئ في هذه المحاولة التفسيرية للنصوص القرآنية التي وقع عليها اختيارها أن تفيد من جهودها في عرض الدلالة المعجمية والاستعمالية للفظة ، فهي كثيراً ما تلتفت إلى توظيف السياق للدلالة على استعمال اللفظ ، ثم تأخذ في التعليل والاختيار وبيان ميزته التي جعلته أنسب الألفاظ لوضعه في سياق الجملة .

واشتمال القرآن الكريم على وظائف يحقق أغراضاً سامية ، ويحتاج هذه الأغراض إلى التعبير عن هذه المعاني لتأدية الغرض المناسب ، ذلك " ان طريقة الأداء حاسمة في تصوير المعنى ، وأنه حيثما اختلفت طريقتان للتعبير عن المعنى الواحد ، اختلفت صورتا هذا المعنى في النفس والذهن "[٣]،فبهذه الأغراض فإن تحقيق الوظيفة الدينية يتم من خلال مخاطبة النفس من منافذ

---

[١] عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني ، ١/ ٣٥ .

[٢] انظر : عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني ، ٢/ ٨٠.

[٣] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متعددة ، ومن هنا ، كان جمال المعنى هو نتاج هذه الطريقة المنبعثة من صورتين فأكثر .

وتتناول عائشة بنت الشاطئ في بحث (الأساليب وسر التعبير) بعض الظواهر البلاغية في البيان القرآني ، كالاستغناء عن الفاعل ، والبدء بواو القسم ورعاية الفواصل مطبقة منهجها في ذلك .

أما البدء بواو القسم فتشير بنت الشاطئ بعد عرضها لمواقع ورود واو القَسَم، إلى أن هذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم إلى معنى بلاغي هو اللفت ، بأثارة بالغة إلى الحسيات مدرَكة، لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومجاراة ، توطئة إيضاحية لبيان معنويات يُمارى فيها ، أو تقرير غيبيات لا تقع في نطاق الحسيات والمدركات[١]، والوظيفة الدينية من أهم الوظائف، لأنَّ لها علاقة ذاتية في أثر تلك الوظيفة على حياة المتلقي في الدنيا والآخرة ، وهي من أسمى الأهداف التي قدمتها البلاغة خدمة للقرآن ، لكي يبرهنوا على إعجازه ، ويفهموا آياته .

وتخرج الوظيفة الدلالية من معناها اللغوي إلى البلاغي في سورة العصر في التنبيه إلى ابتلاء الإنسان بالزمن يعصره ، " وقوة اللفت في مثل هذا الأسلوب ، تأتي من العدول بالواو عن موضعها المألوف في درج الكلام ، فتثير أقصى درجات التنبه "[٢]، وتتجلى حقيقة الدلالة في البلاغة المعاصرة من خلال وظائفها التي تتواشج فيما بينها ، لإعطاء معاني عميقة التي تختفي وراء المعاني الواضحة.

فترى بنت الشاطئ في قوله تعالى : { التي تطلع على الأفئدة }(الهمزة: ٧) " أن الفؤاد لا يطلق إلا بدلالة خاصة على المعنوي دون العضوي ، فجاء لفظ الفؤاد لا يحمل على معنى الجارحة ، مع الملحظ البلاغي من النسق اللفظي والجرس الصوتي ، في تخليص الأفئدة من حس العضوية التي يحتملها لفظ القلوب فيما ألف العرب من لغتهم ، ولا نزال نستعمل القلوب في التشريح

---

[١] انظر : الإعجاز البياني ، ص٢٣٢.

[٢] المرجع ذاته ، ص ٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطب وأصناف اللحوم ، ولا نستعمل الفؤاد بهذه الدلالة على الإطلاق"[١]، ففي المقام الأول من انسجام النغم الموسيقي وتوافق وقع الألفاظ في القرآن الكريم ، تظهر الدلالة المعنوية للقلب لتدل على الاطمئنان والسكينة والرحمة والخشوع ، فلا يقال باحتمال العدول عن القلب إلى الأفئدة ، بل تتجاوزها لتؤدي وظيفة دينية فتضفي عليها روعة وجاذبية ، وهي بتخليص الافئدة من الدلالة العضوية.

فهناك وظيفة من إئتلاف الألفاظ من غير تنافر ، " والمقصود أن تكون أجزاء الصورة المؤتلفة مع بعضها البعض من غير تنافر "[٢]، فارتباط الصورة ، إنما يأتي من ارتباط الكلمة بالكلمة ، والجملة بالجملة لتعطي الصورة المحسوسة المتخيلة .

هذه الوظيفة هي المدة الزمنية للمشهد ، والهدف منها التأثير على المتلقي أكبر وقت ممكن ، وهذا كله يتعلق بالوظيفة الدينية في عرض المشهد ، يقول سيد قطب إنَّ وظيفة الصورة هي " المدة المقررة لبقاء المشهد معروضاً في الخيال "[٣]، وقديماً كان اللفظ وحده وسيلة التعبير عند العرب ، فضلاً عن أن اللفظ في فن الأدب لا يقصد منه مجرد نقل التقرير ونقل المعاني، بل يقصد منه التصوير البياني الذي يعطي المعنى جدته ، وكأنه هو المعنى نفسه فبعضها يمر متباطئاً حتى ليتصور المرء أنه لا يزول ، وللسرعة والبطء أغراض تناسب جو المشهد .

ورعاية الفاصلة في القرآن الكريم لا تكون مجرد رعاية شكلية للرونق اللفظي وإنما لمقتضيات معنوية ، " ولو كان الأمر كما يقول بعضهم – كما ترى بنت الشاطئ - لما عدل القرآن الكريم عن لفظ (فخبَّر) إلى (فحدَّث) في قوله تعالى : { وأما بنعمة ربك فحدَّث } (الضحى : ٩) ، ففواصل هذه

---

[١] عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني ، ص ٥٦.

[٢] مهدي صالح السامرائي ، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية ، د.ط ، المكتب الإسلامي – بغداد ، ١٩٧٧م ، ص٢٧٧ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : مهدي السامرائي ، تأثير الفكر الديني .

[٣] التصوير الفني في القرآن ، ص١٠٧ - ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السورة تقوم على حرف الراء ، ولا يوجد فيها حرف الثاء "[١]، ونجد الوظيفة الدينية في رعاية الفاصلة في البيان القرآني بحيث لا تكون مجرد رعاية شكلية للرونق اللفظي، وإنما لمقتضيات معنوية مع نسق الإيقاع بهذه الفواصل وائتلاف الجرس لألفاظها التي اقتضتها المعاني .

وبالمقابل فسرتْ عائشة عبد الرحمن لنا السر البلاغي الكامن وراء حذف الكاف من قوله تعالى : { ما ودعك ربك وما قلى } (الضحى : ٣) ، " لأنه سبحانه وتعالى تحاشى خطابه - عليه السلام - في موقف الأيناس ، بصريح القول { وما قلاك } ، لما في القلى من حس الطرد والإبعاد ، وحذفت الكاف في فواصل الآيات التي تلتها؛ لأن السياق أغنى عن ذكرها ، ولو ذُكرت لكان ذلك حشواً وفضولاً ، والقرآن الكريم منزه عن ذلك"[٢].

والتناسب مع الجرس الموسيقي يؤدي وظيفة في الوظيفة الدينية ، "وتبرز -هذه الوظيفة كما يرى سيد قطب – بروزاً واضحاً في السور القصار والفواصل السريعة ، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة ، ويتوارى قليلاً في السور الطوال ، ولكنه – على كل حال - ملحوظ دائماً في بناء النظم القرآني " [٣]، وهذا التناسب بين الجرس الموسيقي والوظيفة الدينية تتناسق بما يساعد على إكمال الصورة الحسية والمعنوية ، ويكون ذلك تارة بالجرس بما يلقيه من دلالة في الأذن، وتارة بالوظيفة الدينية الذي يلقيه في الخيال ، وتارة بالجرس والوظيفة معاً.

وكان للفواصل القرآنية دور بارز في التقديم والتأخير في إظهار الناحية الموسيقية , تلك النهايات التي تذيل بها الآيات القرآنية , فهي عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام , وهي طريقة بايَنَ بها القرآن الكريم سائر الكلام, فهي تشبه موقع القافية في البيت الشعري, لذا جاءت مشحونة بالنغمة الموسيقية

---

[١] عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني ، ص١/ ٢٥ .

[٢] عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني ، ص ٢٧٨ .

[٣] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إضافة إلى شحنة المعنى المتمم للآية[١]، ويراعي سيد قطب أن التناسق الموسيقي لا يأتي دائما بقصد الموسيقى ، وإنما يكون هناك تقديم وتأخير وتعديل ، وعند توظيف هذا الملمح الجمالي الدلالي , فإنه يحقق مقاصده وأغراضه التي ينتهي إلى معنى جمالي أعمق يتساوق ويأتلف مع الوظيفة الكبرى وهي الدينية.

ويمثل كتاب التفسير البياني الطريقة التطبيقية لمنهجها الذي انتهجت فيه أسلوب شيخها أمين الخولي ، وذلك من خلال تفسير سور بعينها من القرآن ، مثل (الضحى والشرح والزلزلة والنازعات والعاديات والبلد والتكاثر) في الجزء الأول منه ، و(العلق والقلم والعصر والليل والفجر والهُمزة والماعون) في الجزء الثاني .

وتنتهج بنت الشاطئ منهجاً تفسيرياً يقوم على الأخذ بوجوه التفسير المناسبة للمعنى السياقي ، وهذا الأخذ يقوم على الثبات لا الترجيح والظن ، " فهي لا تتردد في تفسيرها لكلمة (الكنود) في الآية :{ إن الإنسان لربه لكنود } (العاديات : ٦) إذ تشير إلى أنه الكفران بنعمة الله"[٢]، فالدلالة الدينية تكشف الصورة التي تحقق الاتصال الحسي والعقلي ، على نحو فعال في هذه الحياة والعالم والوجود.

والوظيفة الدينية في البلاغة تكون لمخاطبة المقام الذي فيه المتلقي ، " فكثرة ألوان البلاغة في سورة دون أخرى ، أو كثرة فنون البلاغة في جزء من القرآن دون آخر ، لايعني ذلك أن هناك أفضلية في الأسلوب أو التركيب ،أو الصورة الفنية ، إنما يعني أن مستويات المخاطبين يستلزم هذه المعاني وتلك التراكيب في ذلك النسق والسياق دون غيره " [٣]، فهناك أغراض بلاغية ، مثل التقديم والتأخير، والحذف والذكر ، لا تستخدم في هذا المقام ، لأن التركيب يكون لمناسبة لمخاطب وليس لاستعمال التركيب

---

[١] سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص٢٠٣ .

[٢] عائشة عبد الرحمن ، التفسير البياني ، ١/ ١٣٧ .

[٣] محمد بركات أبو علي / ت ٢٠٠٥/ ، في الأدب والبيان ، ط١ ، دار الفكر – عمان ، ١٩٨٤ م ، ص٧٥. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد أبو علي ، في الأدب والبيان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي باب حذف الفاعل ترى بنت الشاطئ أن هذه الظاهرة تطرد في مواقف القيامة والبعث ، "وهو ما ينبه إلى أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة البلاغية وإجراءات الإعراب الشكلية ، فبناء الفاعل للمجهول فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه ، والمطاوعة فيها بيان للطواعية التي يتم بها الحدث تلقائياً أو على وجه التسخير وكأنه ليس في حاجة إلى فاعل "[١] ، وتشير بنت الشاطئ في تفسيرها لسورة الزلزلة إلى الوظيفة الدلالية لحذف الفاعل ، وهي تركيز الاهتمام بالحدث ذاته ، وحصر الوعي فيه ، فلا يتوزع في غيره من الأحداث.

استطاعت بنت الشاطئ في التوظيف الدلالي للقرآن الكريم أن تحقق الغاية التي قصدت من خلالها ، ونجحت في ذلك نجاحاً ملحوظاً ، مما هيأ لأن تكون من خير ما كتب في الوظيفة الدينية للنص القرآني في العصر الحديث .

ويرى عبد العظيم المطعني أن كتاب عائشة (الإعجاز البياني) " من أثمن ما وقف عليه حديثاً من الكتب الموضوعة في هذا المجال ؛ إذ لم تنحُ فيه المؤلفة منحى الوصف غير المحلل ، ولم يكن وصفها للإعجاز ، أكثر من توجيهها وتعليلها لخصائصه ، بل إن قارئ هذا الكتاب يرى المؤلفة تذكر كثيراً من نصوص القرآن ، ثم تقارن وتدرس وتنتهي إلى نتائج سليمة في كثير الأحيان ، فهي لا تعتسف القول اعتسافاً ، بل تستخرج ملاحظاتها من النص ، وهذه طريقة مجدية وعملية في دراسة البيان القرآني"[٢]، ويظهر على بنت الشاطئ تبنيها دائماً وجهاً واحداً من الدلالة في تفسير اللفظ أو الجملة أو الآية المقصودة ، وهي طريقة تخالف ما جرى عليه العرف عند المفسرين قديماً وحديثاً ؛ إذ لم يكن المفسر يجرؤ على الجزم بتأويل واحد للنص القرآني ، ولا شك في أننا نظلم النص ظلماً لا حدّ له إذا نحن اقتصرنا في فهمه على معنى

---

[١] عائشة عبد الرحمن ، الإعجاز البياني ، ص٢٢٤ -٢٢٥.

[٢] خصائص التعبير وسماته البلاغية ، د.ط ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ١٩٩٢م ، ١٧٢/١. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد العظيم المطعني ، خصائص التعبير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واحد ، خاصة وأننا لم نعلم حقيقة هذا النص وإمكانات الثراء الأدبـــي الكامنـــة فيه، وهي إمكانات لا حدود لها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

المرحلة الثانية

محاولة تمَّام حسان (الوظيفة الاجتماعية)

وخير من يمثل هذه المرحلة تمَّام حسَّان ، ففي عام ١٩٧٣م ظهر كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) الذي صدر عن رؤية لغوية وصفية وظيفية ، بحيث ظهرت التوجيهات الوظيفية ، من خلال هذه المقاربة ، أكثر وضوحاً وتقدماً ، بما يدل على التمثل الوظيفي لدى المحدثين العرب .

والرابط بين البلاغة والاتصال كما يرى تمَّام حسان " أنّ المعنى اللغوي للفظ (البلاغة) فرع على معنى الإبلاغ أو التوصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتصال"[١]، فقد بنى تمَّام حسان كتابه على دراسة المعنى ، " ويعطي جُل اهتمامه للسياق ، وهو ما سماه معنى المقام ، أهمية كبرى في فهم المعنى الدلالي للكلام ، إلى جانب المعنى المقالي (المعنى على المستوى اللغوي الخالص) "[٢] ، فالمعنى الوظيفي وظيفته تحليل النظام السياقي والمقالي اللذان يرتبطان بوظيفة أشمل هي الوظيفة الاجتماعية ، ويوظف المتكلم الوظيفة الاجتماعية لأداء المعاني، وَفْق مقاصدهم وغاياتهم في ظل الظروف المحيطة بهم ، الأمر الذي يقتضي مراعاة الأبعاد التداولية والدلالية للغة عند تحليلها .

ومن أجل ذلك قسم تمام حسان المعنى إلى ثلاثة معانٍ فرعية:

أحدها المعنى الوظيفي -وهو ما يتعلق بالمستوى الصوتي والصرفي والنحوي- : وهو وظيفة الجزء التحليلي في النظام أو في السياق على حد سواء، والثاني : المعنى المعجمي للكلمة ، وكلاهما متعدد ومحتمل خارج السياق ، وواحد فقط في السياق ، والثالث : المعنى الاجتماعي أو معنى المقام ،

---

[١] المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة ، مجلة فصول ، المجلد السابع ، العدد ٣و٤ ، ١٩٨٧م، ص٢٧ وسأشير إلى هذا المرجع بـ تمَّام حسان ، المصطلح البلاغي .

[٢] انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص١٠ ، ص٢٠-٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو أشمل من سابقيه ، ويتصل بهما عن طريق المكامنة ، لأنه يشملها ليكون بها وبالمقام ، معبراً عن معنى السياق إلى إطار الحياة الاجتماعية[١].

ويرى تمَّام حسان " أنَّ اللغة عبارة عن منظومة عرفية ، تشتمل على ثلاثة أنظمة مترابطة : النظام الصوتي ، والنظام الصرفي ، والنظام النحوي ، ينضاف إليها النظام المعجمي وقرائن الأحوال"[٢]، وتكتمل هذه الأنظمة لإعطائنا دلالات الجمل والأساليب المستخدمة في الكلام ، فمجموعة العلاقات السابقة تربط ما بين المعاني ، حتى تكون صالحة – عند تركيبها الدلالي – لبيان المراد منها .

وقد رأى تمَّام حسان أنَّ كل نظام من أنظمة اللغة يتكون من " مجموعة من المعاني ، تقف بإزاء مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المباني المعبِّرة عن هذه المعاني ، ثُمَّ من طائفة من العلاقات التي تربط ربطاً إيجابياً "[٣]، فمجموعة الأنظمة تقف بإزائها الوحدات التنظيمية المعبِّرة عن المعاني الدلالية .

وعلى هذا ، فالنظام الدلالي عند تمام حسان يدور حول فكرة المقام ، التي هي " المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفي في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي يبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء (المقال) "[٤]، وأمكننا من خلال المعنى الدلالي الوصول إلى الوظيفة الاجتماعية ، مع توفر القرائن التي تؤثر في العلاقات والأحداث والظروف المحيطة بالسياق والمقال .

ومن المعروف أن جَلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا (معنى المقال) أو(المعنى الحرفي) كما يسميه النقاد أو (معنى ظاهر النص كما

---

[١] انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٢٨-٢٩.

[٢] انظر : المرجع ذاته ، ص ٣٤ .

[٣] المرجع ذاته ، ص٣٤.

[٤] المرجع ذاته ، ص٣٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسميه الأصوليون) ، وهو – مع الاعتذار الشديد للظاهرية – معنى فارغ تماماً من محتواه الاجتماعي التاريخي ، ومنعزل تماماً عن كل ما يحيط بالنص من القرائن الحالية[١]، فالوظائف الدلالية – كما يرى تمَّام حسان - للنص بدلالات التراكيب ، ومقاماتها الخارجية ، يؤدي إلى الجنوح الشديد للمعنى الدلالي .

وإذا ما فهم البلاغيون شكلية البلاغة التي تُعنى بأشكال المباني المختلفة للمعاني ، أدركوا " أن اللغة ظاهرة اجتماعية وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها ، وأن هذه الثقافة في مجملها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمون كلاً منها (مقاماً)"[٢]، فمقام الفخر غير مقام المدح وهما يختلفان عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو التمني أو الهجاء .

ولما كانت الوظيفة الاجتماعية ضرورية لفهم الدلالة الاجتماعية ، كان لابد من أن " تتوضح العلاقات العُرفية بين الكلمات ومعانيها بالوجود ، ومجرد وضوح هذه العلاقات لا يؤدي إلى فهم للكلمات المفردة على المستوى المعجمي، إذ أنها لم توضع في سياق "[٣]، فثقافة المجتمع له دور في إشاعة بعض الألفاظ وإظهار قيمتها الفنية ، بحيثُ تتسع أو تضيق في الاستعمال الوظيفي ؛ إذْ إن العبارات كلما كثر دورانها على الألسن بدأت مفهوماتها المحددة تتسع ، وقد تنحرف إلى مدلولات مغايرة من بعض الوجوه لمدلولها القديم .

وخذْ مثالاً على ذلك كلمة (الغشيان) ، فالغشيان منقول عن معنى آخر هو من قولهم " غشي غشياً : غطاه وحواه "[٤] ، والحرث منقول عن طريق المشابهة من قولهم : " حرث الأرض حرثاً : شقها بالمحراث ليزرعها "[٥]، واللغو أصله من " لغا في القول لغواً : أخطأ وقال باطلاً، ويقال لغا فلان لغواً تكلم باللغو "[٦]، والمباشرة من "باشر زوجه مباشرة وبشاراً ، لامست بشرته بشرتها ،

---

[١] تمَّام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٣٣٧-٣٣٨.

[٢] المرجع ذاته ، ص ٣٣٧ .

[٣] المرجع ذاته ، ص ٣٤١.

[٤] المعجم الوسيط ، ٢/ ٦٣٥ .

[٥] المرجع ذاته ، ١٦٤/١.

[٦] المرجع ذاته ، ٨٣١/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغشيها"[١]، والإفضاء من "أفضى فلان بالسر : أعلمه به وــ إلى المرأة : خــلا بها "[٢]، ومن هنا ، ترتكز الوظيفة الدلالية الاجتماعية على معنى الــدِّلالي ذات الغرض الواحد ، الذي فيه لطيفة رمزية ، ترمز إلى ما يعتري الإنــسان مــن توجس اتجاه الاخرين بإحساسه ، وهو الأسلوب الوحيد الذي يستطيع به المــرء أن يتجنب التصريح بالألفاظ الخسيسة أو الكلام الحرام .

ويشير تمَّام حسان إلى علاقة الوظيفة الاجتماعية بالوظيفة النفسية ، وذلــك عندما " يتكلم المرء إلى نفسه ، فيكشف عن مقام من نوع آخر ... ، لأن ذلــك أمر لا يصل بالدراسات اللغوية إلا من حيث هو جزء من (مقام) آخــر "[٣]، ومع أن هذه العلاقات تؤدي وظيفة شعورية وفكرية ، وتقوم بدور كبيــر فــي تمديد الجملة ، وإقدارها على تعميق مضمونها ، إلا أن البلاغيين لم يجعلونهــا عناصر أساسية في تكوين الجملة لا عن عدم تقدير منهم لها ، بــل عــن فهــم صحيح لطبيعتها ، فهي توجد في جملة دون جملة ، وتختلف في جملة عنها في جملة .

ووظيفة التوصيل أو الإبلاغ الاجتماعي ، تأتي من خلال الربط بين الوظيفة من جهة والمتكلم والسامع من جهة أخرى ، " فللخطاب دوافع كثيرة من جملتها أننا عن طريقه نحقق أنفسنا وذواتنا ، وهذا دافع نفسي مهم ، فالخطاب يجعلنــا قادرين على ان نجعل لأفكارنا قدراً من التقبل عند الآخرين ، وهذه درجة مــن درجات تحقيق الذات "[٤]، ذلك لأن نظام الاتصال يمثل صعوداً للفكــر وتعميقــاً للمعاني المطلوب توصيلها ، من خلال اللغة ، والفكر والوجدان .

وثقافة الشعوب ذات دلالات مختلفة ،" فاللغات تختلــف بــاختلاف الــنفس والحقائق خارج النفس ثابتة في جميع اللغات ، فمن هنا كانت ترجمة العبــارات تكاد تخلو من الصعوبة في حين أن ترجمة العبــارات الــشعرية تكــاد تكــون

---

[١] المعجم الوسيط ، ٥٨/١.

[٢] المرجع ذاته ، ٢/ ٦٩٣.

[٣] اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٣٤٢.

[٤] سمير استيتية ، اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر ، ط١، المؤسسة العربية – بيروت، ٢٠٠٢م ، ص١٧. وسأشير إلى هذا المرجع بــ : سمير استيتية ، اللغة وسيكولوجية الخطاب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صعبة"[١]، لاختلاف المعاني بحسب اختلاف الثقافات عند الأمم ، ولأن هذه المعاني تتصل بتراث الأمم المنقول عنها

ويبين تمَّام حسان من خلال المقامات الاجتماعية نوع يتعلق بمقامات اللغَّو ، وهو " أن يتناول الناس الكلام ، ولكنهم لا يقصدون به أكثر من شغل الوقت وحل موقف اجتماعي"[٢]، وهذا اللغو في هذا المقام لا يكون مقصوداً في ذاته ، وإنما هو مدخل لموضوع عام آخر .

ومن يتابع دلالة الألفاظ يلحظ أنه قد يطرأ عليها تغييرات دلالية نتيجة لملابسات إجتماعية أدت باللغويين المحدثين إلى الحديث عن مظهرين من مظاهر التعبير يتصلان بالظروف الاجتماعية ، وهما التغير الانحطاطي أو الهابط لبعض الكلمات والتغير المتسامي للبعض الآخر[٣]، وقد تضيف بعض الكلمات معاني إضافية إلى مدلولاتها وهذه الإضافة تعكس بعض الخصائص النفسية الاجتماعية ، فاسم اليهودي يدل على الشخص الذي ينتمي إلى الديانة اليهودية ، ولكن الكلمة تملك معاني إضافية في أذهان الناس تتمثل في الطمع والبخل والمكر والخديعة.

ويتحدث تمَّام حسان عن فكرة المقام ، ويعدُّها مركزية الوظيفة الاجتماعية في البلاغة العربية ، ويتحدث فيها عن " المتكلم والسامع والسامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر ثم التراث والفلكور والعادات والتقاليد والخزعبلات ، ولولا هذا المقام – كما يقول حسان– وما يقدمه العنصر الاجتماعي من قرائن حالية حين يكون المقام موضوعاً للفهم لاعتبر الناس التمائم والأحجية والسحر وهي مما يشمل على كلمات لا تفهم

---

[١] حسن سعيد الكرمي ، اللغة نشأتها وتطورها في الفكر والاستعمال ، د.ط ، وزارة الثقافة – عمان ، ٢٠٠٢ م ، ص٣٨ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : حسن الكرمي ، لغة نشأتها وتطورها في الفكر والاستعمال .

[٢] اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٣٤٣.

[٣] طاهر سليمان حمودة ، دراسة المعنى عند الأصوليين ، ط١ ، الدار الجامعية للنشر – الاسكندرية،١٩٨٣م ، ص١٨٨. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : طاهر حمودة ، دراسة المعنى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضرباً من ضروب الهراء"[١]، فهناك دلالات على المعاني يتم توظيف قيمتها نتيجة زيادة الاستعمال ونقصانه، مما يؤدي إلى خروجه من مدلول إلى مدلولات إضافية، تبعاً للوظيفة المستخدمة ، فتغير اللفظ نتيجة استعماله ، و يكسب الوظيفة دلالة إضافية مع تلك الدلالة الأصلية المعروفة .

وبعد عرض أهم الأصول التي نادى بها تمَّام حسان في هذه المقاربة نرى أنه قد بالغ المؤلف في اتحاد الأنظمة الثلاث على اللغة ، مع أن كل نظام منفصل عن الآخر، من حيث : عناصره ، وطبيعته ، والعلاقات التي تربط بين الأنظمة .

[١] اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع

محاولة صلاح فضل (الوظيفة الأدبية)

من مظاهر التوظيف الأدبي أن أصبحت المعرفة العلمية من أبرز مظاهر التوظيف الدلالي الاجتماعي للمعرفة ، " فقد دار جزء كبير من البحوث الاجتماعية اللغوية حول خواص الأبنية الصرفية والصوتية والدلالية ، مما جعل عمليات الانكماش الدلالي والتداولي التي تلاحظ على الخطاب بارزة ، وترك في الظل ارتباطها الوثيق باختلاف السياقات الاجتماعي "[١]، فعند دراسة المنهج الذي سار عليه في تقسيم الكتاب ، فقد بدا صلاح فضل متأثرا بالبلاغة الجديدة التي نظّر لعمليات تحولها ؛ فتقسيمه بنيوي إذ انطلق من بنية (البلاغة الجديدة) وأخذ كل علم يمكن أن يتصل بها من قريب أو من بعيد.

ويتكون هذا الكتاب (بلاغة الخطاب وعلم النص) من خمسة أبواب يحوي كل منها عدة فصول تشكل محتوى الكتاب [٢]، حيث جعل الكاتب كل باب من هذه الأبواب تمهيدا للباب اللاحق، وأساسا نظريا لا بد منه حتى تكون صورة بلاغة الخطاب جلية بعد تتبع عمليات تحولها.

وفيما يلي عرض مختصر لمحتوى هذه الأبواب حاولنا فيه تتبع أبرز الأفكار التي عرضها الكاتب في كل باب حتى تتشكل لنا الوظيفة الأدبية .

تحدث في الباب الأول عن" مفهوم النسق المعرفي في الفكر الحديث الذي يرتبط بالبحوث التي قدمتها دراسة الأطر الاجتماعية للمعرفة ، وتأسيس هذا المفهوم في بحث الظواهر البلاغية والأدبية ضروري لمتابعة التحولات التي تفرض على الباحث اتخاذ موقف منهجي في التعامل مع المادة التي يدرسها"[٣]، وهذا يقودنا إلى أمر كان ينبغي تأخيره ولكن السياق دعا لوجوده هنا، ألا وهو

---

[١] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ط١ ، مكتبة لبنان- بيروت ، ١٩٩٦ ، ص١٥ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب .

[٢] وهذه الأبواب هي:

الباب الأول: تحول الأنساق المعرفية ، الباب الثاني: بلاغة الخطاب ، الباب الثالث: الأشكال البلاغية ، الباب الرابع: نحو علم النص ، الباب الخامس: تحليل النص السردي .

[٣] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب ، ص٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاولته تطبيق الخطاب وعلم النص على جلّ الفنون الأدبية وغير الأدبية، وهذا أمر محال ؛ فالبلاغة الجديدة التي تحدث عنها هي بلاغة مستوردة أخذ تعاليمها من الغربيين ولا سيما الشكلانيين الروس ، قد لا تلائم ــ كثيرا من الأحيــان ــ عددا من الفنون الأدبية العربية.

من هنا ، فإن بلاغة الخطاب لا تقع في منطقة فلسفة العلوم بل تدور في فلك علوم الاتصال التي تخضع لمنطق استدلالي علمي ، وبالتالي" فإن المقولات والوحدات والمستويات الداخلة في نظريات البلاغة والسرد تختلف عن تلك التي تستخدم في النحو والدلالة والتحليل التداولي للغات الطبيعية"[١]، ولاحظ الباحثون في الغرب أن القدر الأوفر من الدراسات المهمة المتعلقة بالخطاب قــد أجــري خارج نطاق علم اللغة، خاصة في علوم مثــل: الأنثروبولوجيــا والاجتمــاع، بالإضافة للبلاغة الجديدة والشعرية. ونشأ علم مهم يسمى (إثنوجرافيا الكلام) حيث تدرس الأنماط المختلفة للخطابات المستعملة في الثقافات العديــدة مثــل: القصة واللغز واللعب بالكلمات والسباب وغيرها من أساليب السرد والأسطورة.

وهكذا ، فإن نظرية الخطاب البلاغية تقوم بوظيفتهــا كأســاس ملائــم لدراسة الوظائف والأبنية المحددة ، " فعلى سبيل المثال ينبغي أن ترتبط مقولات السرد ووحداته بشكل واضح بمستوى الدلالة الكبرى للخطــاب ، وبالطريقــة نفسها ؛ فإن بعض العمليات الأسلوبية الأدبية تتمثل على وجه التحديد في تغيير قواعد الترابط والتماسك وشروطها العامة للنص الأدبــي"[٢]، والمــشكلة التــي تواجهها الوظيفة الادبية في هذه الأيام ما يــسمونه(الأدب الهــادف) ، وهــو عندهم الأدب الذي يحقق حاجة من حاجات المجتمع الإنساني ، يــصف ذلــك المجتمع ، ويعمل على تطوره والنهوض به ، ويؤدي رسالة لا تتــصل بــالفن الخالص الذي يرون خطورته في أنه يسعى إلى تحويل الرأي العام عن مشكلاته إلى صيحات العواطف الرفيعة البعيدة عن حقيقة الآلام التــي يكابــدها بعــض طبقات المجتمع.

---

[١] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب ، ص ١٠.

[٢] المرجع ذاته ، ص ١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأهم ما ناقشه صلاح فضل في هذا فصل (نظرية اللغة) عدد من النظريات أهمها نظرية (دي سوسير) التي تشكل بلاغة الخطاب الجديدة بوصفها " نسقاً من العلامات غير السببية كل شيء فيه علاقة وتخالف، وهو يعني بذلك أن أي دال من الدوال لا يؤدي بوصفه صوتاً له دلالته المباشرة على شيء أو معنى ما ، بل بوصفه جوهره مختلفاً عن غيره من الدوال "[١]، ونظراً لأن الخطاب النصي يتشكل من أبنية لغوية ، فإن أي مقاربة علمية ينبغي أن تتأسس على اللغة ، ناهيك أن نظرية اللغة تقع في ذروة النسق المعرفي المتصل بالبلاغة والأدب.

والخطاب الأدبي باللغة يختلف عن الخطاب المعجمي المباشر ؛ " لأن الخطاب البلاغي في ذاته يتجه إلى ان يكتسب صيغة جديدة شاملة ، يتجاوز الصبغة الجزئية التي غلبت عليه "[٢]، فلا تقف وظيفة البلاغة عند حد المعنى فحسب ، بل تمتد إلى ما يوحيه النص من صور ، وما يتركه من آثار .
ومن ثَمَّ تشكلت فكرة التوليد البلاغي التي تقوم على أن للكلمات قدرة - مهما جمدت معاني الألفاظ في المعاجم - على إيجاد معانٍ جديدة ، لتصبح اللفظة عنده سياقية.

فانتقلت بذلك التداولية من وصف العلاقة بين العلامات ومن يسخدمونها، إلى تحليل العلاقة بين النص ومن يستخدمه في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم ، فالتداولية – كما يرى صلاح فضل - " هي الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية الذي يختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة ، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها حلال إجراء ات التواصل بشكل عام"[٣]، وربط صلاح فضل بين مفهوم التداولية وفكرة مقتضى الحال ، حيث قال: " ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة (مقتضى الحال) ، وهي التي أنتجت

---

[١] بلاغة الخطاب ، ص١٨ .
[٢] المرجع ذاته ، ص ٣.
[٣] المرجع ذاته ، ص٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقولة المشهورة في البلاغة العربية (لكل مقام مقال) " [١]، ثم تحدث عن التداولية اللغوية التي من شأنها تقريب المرء من الوصف النحوي للنصوص ، علما بأن التداولية ذات طبيعة (عبر تخصصية) أي تغذية جملة من العلوم أهمها: الفلسفة، وعلم النفس، وعلم اللغة، والاجتماع.

ويرى سعد مصلوح في فكرة مقتضى الحال " مشروعاً طيباً يمكن الانطلاق منه ، وإعادة النظر فيه لصياغة طراز يتسم بالدقة والشمول ، في ضوء نظرية الإبلاغ الإدبي ، واللسانيات النفسية "[٢]، وما يهمنا منها هو ربط التراث القديم بالحديث وإعادة النظر في البلاغة على نحو جديد ، وعلى مستوى المعنى الدلالي التي تسهم في إضاءة مشكلات البلاغة ، ومن ذلك دراستهم لفكرة التحول، حيث قاموا بدراسة هذه التحولات وأعراضها.

وحتى تؤدي الوظيفة البلاغية دورها ، تختار الألفاظ حسب المقام ، أو حسب الموضوع الذي يتم الحديث عنه ، " فغاية البلاغة الدلالة على البراعة ، وخدمة الصنعة ، وتجديد في القول ، وهي وراء الحسن التنظيمي أو التأليفي لقواعدها وقيامها على التأثير والإثارة "[٣]، فالبلاغة أمام الجميع متساوية يستخدمها الكاتب والمتعلم والفنان ، ولكن تأثرها في السامع يختلف باختلاف مستخدمها ، وهذا التأثير الذي يولده الأسلوب البلاغي .

وعند المقارنة بين الدلالة التي " تستخدم مفهوماً مجرداً بالغ الجدوى هو الواقع ، أي : العالم الممكن ، فإن التداولية تستخدم مفهوماً تجريدياً يدل على الموقف التواصلي ، وهو السياق ، فالتداولية تُعنى بالشروط والقواعد الازمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به ، أي: العلاقة بين النص

---

[١] بلاغة الخطاب ، ص٣٧.

[٢] مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ، النادي الأدبي الثقافي – جدة ، المجلد الأخير، ع٥٩ ، ١٩٩٠م ، ص٨٦٥ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : سعد مصلوح ، مشكل العلاقة .

[٣] محمد صادق حسن عبد الله ، جماليات اللغة وغنى دلالاتها من الوجهة العقدية والفنية والفكرية ، ط١، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص٣٢٦ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد عبد الله ، جماليات اللغة وغنى دلالاتها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسياق"[١]، فيأتي مفهوم التداولية بين النص ومجموع عناصر الموقف التواصلي الذي يشار إليه في البلاغة القديمة مقتضى الحال ، فمفهوم التداولية مرتبط بالسياق ، وهذا ما عبرت عنه البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال ، أو مقولة لكل مقال مقام .

ومن الأمور التي تتميز عند صلاح فضل في الفصل الثاني (علم النفس) أن هذا القسم حديثه يأتي على مبدأ التداعي النفسي الذي يشرح عددا من عمليات التحليل البلاغي ،" على أساس أن نظرية تغيير الدلالة قد عثرت على سند جديد لها في ملمح وصفي ، يتمثل في أن نعزوَ إلى كل معنى وإلى كل اسم (حقول تداعياته) التي تسمح بعملية الانزلاق والاستبدال ، على مستوى الأسماء وعلى مستوى المعاني ، وعلى كلا المستويين معاً "[٢] ، ويتقاطع علم النص مع علم النفس، ذلك أن علم النفس يشرح طبيعة العمليات اللغوية وآليات إنتاجها وتلقيها، كل ذلك يمثل تأسيسا علميا لبحث المتغيرات التي أدت إلى نشوء البلاغة الجديدة وعلم النص.

ويرى صلاح فضل في الفصل الثالث (علم الجَمال) أنَّ التأملات الفلسفية في الظواهر الأدبية ، وعلاقتها بالفنون الأخرى هي التي أدت إلى مولد علم الجمال ، وفي علم الجمال ليس هناك شكل مجازي ، وكل شيء حقيقة؛ ومن هنا يوجد الجمال ؛ إذ إن الجمال ليس سوى القيمة المحددة للتعبير، ومن ثم فإن العبارة المجازية إن كانت جميلة فلا بد أن تكون حقيقة.

وعلاقة علم الجمال ببلاغة الخطاب أنَّ علم الجمال هو الذي أسس نظريات مثل: القراءة والتلقي المساندة لبلاغة الخطاب مما يقدم دعامة فلسفية تقترن بالبحوث النصية المحددة للغة الأدب في مستوياتها المتعددة.

ومن أبرز نتائج الجمالية الرومانسية لنظرية الشعرية هي القول بوحدة الشكل والمضمون ، بامتزاج المادي والروحي لتأكيد وحدة الأضداد . ونجد مثلا، أن مختلف الأشكال البلاغية تقوم بوظيفة العضو الذي يخدم العمل الفني

---

[١] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب ، ص٢٥ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سواء أكان شعرا أم نثرا ، " فالبلاغة تنسب للفن واللغة دوراً توصيلياً انتقالياً خالصاً، فالفن وظيفي ، وهذه الوظيفة تنحصر في نهاية الأمر في هدف واحد هو محاكاة الطبيعة، واللغة بدورها انتقالية ، ووظيفتها أيضاً واحدة ؛ فهي تصلح لكي تمثل أو توصل"[١]، وكيفية توظيف الدلالة الفنية إنما هي تأويل العام والخاص ، مما يحيلنا إلى علاقة الدال والمدلول ، فالشعر لا يدمر اللغة العادية إلا لكي يعيد بناءها على مستوى أعلى ، فيتم فك البنية التي يقوم بها الشكل البلاغي لتحدث عملية إعادة نظام آخر جديد ، وبجمع هاتين البنيتين نصل إلى نظرية للأشكال البلاغية.

فعلاقة البلاغة بالشعرية تتمثل في الوظائف اللغوية المميزة للأدب ، ولا تزعم البلاغة لنفسها استنفاد الجوانب المتصلة بالنص الأدبي ، وإنما تحاول تكوين معرفة موضوعية به ، فالوظيفة الدلالية اللغوية تكشف الخواص الأساسية للغة الشعرية ، " هذه الخواص التي تفسر أحياناً بأنها تتصل بالدال ، وهي تشير إلى طريقته التي لا تتغير في الدلالة عما يمكن التعبير عنه ، ولو كانت هذه الدلالة يمكن التعبير عنها بطريقة أخرى – كما تقول البلاغة القديمة – فلأي شيء خُلق الشعر ؟ ولماذا الوزن والقافية وخواص الترجيع الصوتي؟"[٢]، فلا بد من دراسة التحولات الدلالية للبلاغة في ضوء القضايا الأصولية للشعر لنتعرف على نتائجها عند تحليل المفاهيم والإجراءات التي تعتمدها البلاغة في التحليل .

يتحدث صلاح فضل عن التحولات اللفظية والتركيبية على الدلالة ، "فالوحدات الدلالية عادة تتجلى في كلمات أو من خلال الكلمات ؛ ولهذا فإن تلك الأشكال كثيراً ما تم تعريفها على أساس أنها إحلال كلمات محل أخرى "[٣]، فالوظيفة الأدبية تتشكل بإحلال عناصر غير مألوفة محل عناصر القول العادية.

ويعمد البلاغيون إلى التمييز بين المتغيرات الدلالية عامة كالمجاز ، أو خاصة كالاستعارة ، وقصدوامن ذلك إلى تحديد المجازات والاستعارات

---

[١] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب ، ص ٦٧ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ٨٥.

[٣] انظر: المرجع ذاته ، ص ٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستخدمة ذات القيمة العامة ، "ويؤكد البلاغيون أن المجاز الشعري انحراف ظاهر له علامته ، ولكي يكون هناك انحراف لا بد أن يقوم توتر في الخطاب ، أو تباعد بين الوحدات الدلالية ؛ بين وحدتين على وجه الخصوص ؛ مما يجعل أولاهما تبقى حاضرة ، ولكي ندرك العلامة – أو القرينة كما كانت تسمى قديماً- لا بد وأن نضع أنفسنا في المستوى التركيبي بالضرورة ، أي ننطلق من السياق الماثل في النص أو المقام "[١] ، فالوظيفة الرئيسية للأدب إنما هي بإطلاق عمليات التلقي الأدبية للنص ، حينئذٍ يكشف عن الوظيفة الشعرية ، التي تركز على الرسالة بما هي رسالة في دوالها ومدلولاتها ، وتبرز بشكل مجسم الجانب الملموس للعلامات اللغوية.

وتطلق كلمة الشكل أو الصورة البلاغية على " الصبغة الكلامية التي تتسم بحيوية أشد من اللغة العادية ، وتهدف إلى جعل الفكرة محسوسة عن طريق المجاز ، كما تلفت النظر بدقتها وأصالتها "[٢]، فللمجاز دور نشط في تكوين الصورة الفنية ، ويقتضي ربط الألفاظ بالصورة الفنية ، بحيث تؤدي الوظيفة المطلوبة .

وتتحدد علاقة البلاغة بالتداولية من خلال تعريف مجال كل منهما ، فالبلاغة تداولية لأنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما ، " ويعنى التداوليون بالاقتراب من الخطاب كموضوع خارجي، أو شيء يفترض وجود فاعل منتج له ، وعلاقة حوارية مع مخاطب أو مرسَل إليه "[٣]، وما يهم بالتحليل التداولي هو الخطاب وفاعله ، فالخطاب - تبعا لذلك - نمط من الإنتاج الدال كان يسمى البلاغة من قبل، وهو الآن بما تراه من تحول معرفي أسهمت فيه البحوث السيميولوجية يسمى علم النص.

---

[١] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب ، ص ٩٧ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ١٤٩ .

[٣] المرجع ذاته ، ص ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتحدث صلاح فضل عن انتقال البلاغة من المعيارية " التي هي معيار البلاغة "[١] إلى الوصفية ، وأن ذلك لا يتتبع النموذج العلمي المعترف بـه فـي الدراسات الإنسانية فحسب، وإنما يتبع أيضا نوعا من الضرورة المعرفية التـي تتسق مع طبيعة التحول.

والإجراءات التي تتخذها بلاغة الخطاب ويتبناها علم النص في تجديـد المصطلحات المتداولة في التحليل مع الإشارة إلـى علاقتهـا بالمـصطلحات السابقة؛ " فالمجاز دال له مدلولان: أحدهما أولي والثاني، مجـازي ، والـشكل البلاغي يفترض مدلولا يمكن أن يشار إليه بـدالين أحـدهما حقيقـي والآخـر تصويري"[٢]، وعند البلاغيين الجدد نجد أنَّ الاستعارة هي الشكل البلاغي (الأم) الذي تتفرع منه وتقاس عليه بقية الأشكال حتى أطلق بعضهم على هذا الاتجـاه البنيوي في التحليل البلاغي للخطاب اسم البلاغة المختصرة؛ لاقتصارها علـى الاستعارة باعتبارها بؤرة للمجاز.

وعند الرجوع إلى مقاصد الكلام ووظائفه نجد أن أحوال المتكلم تتعلـق بمبادئ التداولية ، مثل ، الإيضاح والتأكيد ، في حين ينتقل التعليق من المـتكلم إلى السامع حسب الوظيفة التي تنبئه إليها ، كإثارة استفهام في ذهن الـسامع ، فيبادر إلى السؤال لضمان الاستمرار في الكلام [٣].

ويعنى صلاح فضل بالخرائط ، التي هي " منظومة الأبنية البلاغية الـصالحة لتغطية الأبنية النصية، ورصد أشكالها بما يشمل فضاءها الإبـداعي"[٤]؛ وهكـذا يسهم " إنتاج الخطاب على نحو مخصوص من جهة ، وفي كـشف العلاقـات القائمة بين عناصر الخطاب من جهة ثانية "[٥]، فبلاغة الخطاب التي تنحو إلـى

---

[١] تمَّام حسان ، المصطلح البلاغي ، ص ٢٩ .

[٢] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب ، ص١٣٤.

[٣] انظر : محمد خطابي ، لسانيات النص ، ط١ ، المركز الثقـافي المغربـي - المغـرب ، ١٩٩١م ، ص١١٦ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : محمد خطابي ، لسانيات النص .

[٤] بلاغة الخطاب ، ص١٧٨.

[٥] محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكوين علم النص لا تستطيع الاعتماد على الخرائط القديمة ، ومن الأشكال الجديدة التي تدعو إليها البلاغة الجديدة: الصورة، والرمز، والتخييل.

ويقيم صلاح فضل علاقة بين علم الأسلوب والبلاغة الجديدة فهما يتكاملان ويستقل كل منهما بميدانه ، فالأسلوبية تركز على المجال التطبيقي المحدد، والبلاغة على الجانب النظري المجرد ، ثم تنحل هذه العلاقة في مستوى أشمل هو علم النص.

يرى صلاح فضل أن " النص جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها ، وهكذا فإن النص يمثل عملية إنتاجية عن طريق تفكيك اللغة وإعادة بنائها ، ويمثل عملية استبدال من نصوص أخرى، أي تناص"[١]، وهناك سمة أساسية أخرى للنص الأدبي شغلت الباحثين البنيويين ومن يهتم من التفكيكيين بالأدب ، وهي علاقة النص بالكتابة، وارتباطهما معا بمصطلح الخطاب، بحيث يعد الخطاب من هذا المنظور حالة وسيطة تقوم ما بين اللغة والكلام ، وهذه السمة ذات أهمية خاصة في عمليات الفهم والتأويل ؛ أي في عمليات إنتاج النصوص وإعادة إنتاجها مرة أخرى.

[١] بلاغة الخطاب ، ص ٢٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس

المرحلة الثالثة

محاولة محمد عبد المطلب

الوظائف الدلالية أصبحت أحد مجالات دراسة البلاغة الحديثة ، بوصفها إمكانات لغوية يمكن رصدها ، وتحليل العلاقات بينها لاكتشاف النظام العام الذي يربط بينها ؛ ليكشف عن تلك الوظائف التي تختفي وراءها .

وما تزال هذه الأدوات عدة للكشف عن مسيرة البلاغة العربية الحديثة حتى يومنا هذا ، ولكنها ما تزال تقدم للناشئة في قوالب جامدة ، فلا يرون منها " إلا جانبها المشوه الذي يعمل على تمزيق النص ، وبعثرة مكوناته إلى عناصر مبتورة لا تجمعها وحدة شعورية أو موضوعية "[١]، فكان من بين المحاولات التي استهدفت تفسير البلاغة العربية على أساس القواعد التوليدية التحويلية ما أنجزه محمد عبد المطلب الذي تفرد في وصف العربية من وجهة نظر دلالية وظيفية .

لهذا يدعو محمد عبد المطلب إلى إعادة النظر في مباحث البلاغة العربية والتعامل مع هذه الأدوات ؛ " للإمساك بتصور شمولي يجمع بين مفرداتها ، والكشف عن تفسير عميق لتولادتها الظاهرة والعميقة "[٢]، ودراسة البِنية البلاغية السطحية والعميقة وفق القواعد التوليدية التحويلية ، لفهم الكلام وإعطاء التفسير الدلالي .

وتصدَّى محمد عبد المطلب للرد على التهم التي ألصقت للبلاغة العربية ، لافتاً النظر أن معظم مهاجمي البلاغة لا يجدون ما يسعفهم لذلك ، إلا تلك الأدوات القديمة ، " وتتمثل الإضافة التي تبدو على استعمال هذه الأدوات في الدراسات الحديثة بإخضاعها لمسميات طارئة توهم بالحداثة ، مثل : الانحراف والانتهاك والانزياح ، ثمَّ إدخالها في دوائر الإحصاء العددي ، وهي دائرة لم

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص١ .

[٢] المرجع ذاته ، ص١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تغب عن القدماء تماماً وإن تمثلت عندهم في إشارات خاطفة ، دون إعطائها العناية الكافية التي أصبحت لها في الدرس الأسلوبي الحديث"[١]، فالدرس الحديث يعكس مدى توظيف النظريات الحديثة ، بحيث يكشف عن الوظائف الدلالية للبلاغة ، في محاولة لتأصيل منهج تحليل بلاغي ، فأصبحت النظريات الحديثة صاحبة السيادة في عالمنا المعاصر ، وأصبح المنهج العلميُّ مساوياً لحقيقة نهوض أي مجتمع ، وذلك يدعو إلى مزيد من الاعتزاز بالجهد الذي بذله القدماء في تحويل البلاغة إلى علم مكتمل الأصول والفروع.

ويرى عبد المطلب أن هذا الهجوم غير منصف ؛ ذلك " لإنه شرفٌ للبلاغة أن تكون عِلْماً ، من أن تكون بحوثاً مبعثرة ، لا تلتزم بخطة ، أو منهج يضبط حركتها"[٢]، فتتبع محمد عبد المطلب في ضوء المفاهيم التوليدية تحولات البِنى البلاغية.

ومن المسائل التي ناقشها عبد المطلب وصف البلاغة ، وهي من أخطر ما وجه للبلاغة ، ويمكن أن تكون - في تحليله – " صادقة في جانب ، وغير صادقة في الجانب الآخر ، فصدقها يرجع إلى الكم الهائل من القواعد والقوانين التي قدمها البلاغيون بوصفها شروطاً أولية لإنتاج القول البليغ ، وأما عدم الصدق فيأتي من أن مجموعة القوانين لم تأت من تصور تجريديٍّ ، وإنما نتاجاً لمتابعة وصفية لمجموعة النصوص الأدبية "[٣]، فهي تمثل استجابة عملية للدعوة التي نادى بها عبد المطلب في معاودة النظر في مباحث البلاغة .

وقد اعتمد عبد المطلب في إطلاق هذا الحكم ، " وخرج منها بمحاولاته الأولى في ضمِّ ما تناوله الاستقراء في محاور محددة تم الاصطلاح عليها ، فهي متابعة وصفية ، وليست تجريداً جزئياً محدوداً" [٤]، فالبحث البلاغي لم يكن

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٩ .

[٢] المرجع ذاته ، ص٢ .

[٣] المرجع ذاته ، ص ٢١.

[٤] المرجع ذاته ، ص ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليستلهم الملامح الجزئية للبلاغة العربية ، ألا عندما يقوم بعملية استقراء كاملة للبلاغة العربية .

ومن المسائل الأخرى التي طرحها عبد المطلب اتهام البلاغة بالجزئية ، فلا يجوز أن تعاب البلاغة لأنها أخذت ثوباً جديداً ، وقد رد هذه التهمة بقوله : " إن الدارس في ممارسته العمليَّة لمفهوماته التنظيرية ، يلجأ إلى اختبار مفاهيمه من خلال اجتزاء الشاهد ، وهذا أمرٌ مسلم به على مستوى الخطاب البلاغي القديم والخطاب البلاغي الجديد ، فبرغم كثرة ما تُرجم عن الأسلوبيات والبنيويات ، لم نصادف منها ما يتعامل مع النصوص الكاملة تحليلاً وتفسيراً ، وإنما كان الاجتزاء سمة تميّز هذه الدراسات"[١]، ولا يقصد عبد المطلب في هذا الرد إلى الدعوة لمنهج الاجتزاء أو الانتقاء ، ولكن يريد التدليل على أن الدراسة تفرض متطلباتها المنهجية جزئياً وكلياً .

وتناول محمد عبد المطلب في (البلاغة العربية قراءة أخرى) مجموعة من البنى البلاغية ، وهي " مجموعة قواعد تُولّد من خلال تعاملها مع معجم مفردات محدودة ، مجموعة متناهية أو غير متناهية من التتابعات الكلامية ، وتحدد كل تتابع كلامي جيد التركيب ، وكل جملة تولده بوصف بنياني ملائم "[٢]، وتناول محمد عبد المطلب علم المعاني الذي ارتكز على البنية العميقة والبنية السطحية وفق القواعد التحويلية.

وقد تتبع محمد عبد المطلب في ضوء المفاهيم التوليدية ، تحولات البنى البلاغية التي تعتمد أصلاً مثالياً افترضه البلاغيون من خلال اتصالهم بالبحث النحوي الذي يقوم أساساً على افتراض الأصل ، ويقاس كل ما تقدمه اللغة من إجراءات كلامية دائماً إلى هذا الأصل باعتماد القواعد التحويلية[٣] ، ومن ثَمَّ فإن التحولات تظل قائمة بوصفها تنوعات دلالية لا تؤثر في الهيكل النحوي ،

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٢٦ .

[٢] ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية ، ص١٢٤ .

[٣] انظر : محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمقاربة للباحث هي الوصول إلى الخلفية الفكرية التي وجّهت البلاغيين إلى رصد الوظائف الدّلالية لعلم المعاني في ضوء المفاهيم التوليدية التحويلية .

وهذه الدراسة تُمثل استجابة عملية للدعوة التي نادى بها محمد عبد المطلب في الصفحة الأولى من (البلاغة العربية قراءة أخرى) ، من ملاحظة مؤداها : " أن التأمل في التوجّه البلاغي يؤدي للوقوف على البنية العميقة التي كانت بمثابة المفسّر الأول لتشكيلات مجموعة البنى البلاغية"[١]، فهذه الدعوة تمثل عنوان الكتاب في الصفحة الأولى ، وقد نص فيها على ضرورة " معاودة النظر في مباحث البلاغة جملة وتفصيلاً ؛ للإمساك بتصور شمولي يجمع بين مفرداتها ، والكشف عن تفسير عميق لتحولاتها الظاهرة والعميقة "[٢]، وتشير إلى معاودة النظر في البلاغة العربية وتفسيرها من جديد عن طريق الكشف عن التحولات السطحية والعميقة .

وأشار محمد عبد المطلب في دراسته (البلاغة العربية قراءة أخرى) على توظيف التحولات السياقية على أساس فكرة البنية السطحية والعميقة ، وقد مهّد لهذا الدراسة بالفصلين الرابع والخامس ؛ " غير أن لها خصوصية تفارق خصوصيته في قليل أو كثير ، ذلك أن الدرسين قد عُنيا بتفسير التوليد الجملي من خلال مجموعة من القواعد التنظيمية "[٣]، فعرض في الفصل الرابع لـ(بنية التحول)، وأشار فيه إلى الصلة بين مفهوم التحويل في النحو العربي ، ونظرية (تشومسكي) التحويلية التوليدية ، ويرى عبد المطلب أن أطراف هذه النظرية كان لها حضورها الواضح في الدرس العربي.

وانتقل الدرس البلاغي من خلال العناية الفائقة لدراسة الأبنية البلاغية ابتداءً من اللفظة وانتهاءً بالتراكيب ، " تصلح لتفسير ما أنتجه الخطاب القرآني من دلالات ، ثم – بالتبعية – تصلح لتفسير ما أنتجه الخطاب الأدبي من دلالات

---

[١] البلاغة العربية ، ص٩١ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ١.

[٣] المرجع ذاته ، ص ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيضاً، مع التركيز على طبيعتها الإبداعية " [١]، وتفسير هذا المنحى البلاغي جاء على أن الدرس البلاغي القديم اعتنى بتقديم أطر كلية للبلاغة العربية .

ويعني مفهوم التحويل عند البلاغيين – كما يعرفه محمد عبد المطلب – " الإجراء الذي ينطلق من أصل افتراضي يمكن تطبيقه على كل تركيب منطوق بهدف إبداعي"[٢]، فالتحويل ضروري للدرس البلاغي ، لأنه المدخل الصحيح للنص البلاغي ، من حيث قدرته في الكشف عن الوظائف الدلالية.

أما القواعد الإجرائية فهي " التي تساعد في تحويل الأصل إلى بنية التنفيذ ؛ نتيجة لما ينتاب أطراف التراكيب ذاتها من تحولات داخلية ، أو ما ينتاب التركيب كله من هذه التحولات "[٣] ، فالقواعد انعكاس للصور العقلية التي تتبع من التحولات وإظهارها في عملية إبداع .

بالنظر إلى أسباب التقديم والتأخير نجد أنها تتركز على اعتبارات يعود بعضها إلى المبدع وحركته الذهنية (كالإيهام بحضوره في الخاطر ، والاستلذاذ به ، وإظهار التألم) ، ويعود بعضها إلى المتلقي واحتياجاته الدلالية (كالتشويق، والتفاؤل ، وتعجيل المسرة ...) ، ويخلص بعضها الثالث للصياغة ذاتها ، على معنى أنه من طبيعتها المثالية [٤] ، وتغيير الترتيب (بالتقديم والترتيب) يمثل عدولاً عن هذا الأصل المثالي ، واختراقاً للحركة الأفقية المنتظمة المسيطرة على بنيته العميقة تبعاً لعنصر القصد عند المبدع ، حيث تتوافق البنية السطحية المخالفة مع اتجاه الحركة الذهنية عند المبدع [٥]، فالتقديم والتأخير يشكل سلسلة متصلة الحلقات تثير فينا انتباهاً عجيباً لما أضفى عليها جواً من التناغم الموسيقى الأخّاذ.

وقد أخذت هذه التحولات خطوطاً متعددة ،" فمنها الخط الأفقي ويضم مجموعة من الإجراءات ، مثل ، التقديم والتأخير ، ومنها الخط الوضعي " بكل

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٩٢ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ٩٣.

[٣] المرجع ذاته ، ص ٩٤.

[٤] انظر : المرجع ذاته ، ص٢٣٨ .

[٥] انظر : أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجراءته التصورية كالتعريف والتنكير ، وتفريغ الأدوات من دلالتها المعجمية لملئها بدلالات بديلة "[١]، ويتوقف ذلك على فهم الخطاب ، والإدراك الجيد لهذه الحركة التحويلية ، ومنها الخط الرأسي ، ويشمل مجموعة أخرى من الإجراءات، مثل ، الفصل والوصل .

ويرى عبد المطلب أن الدرس البلاغي في الفصل الخامس الموسوم بـ (أسلوبية التحول) ، " تجاوز البحث في مسألة الصواب والخطأ، وتجاوز طريقة النحو التقعيدي ، واستند في تقرير هذه النتيجة إلى التفرقة بين اللغة باعتبارها مجموعة من القوانين المطلقة والكلام بوصفة إنجازاً فردياً"[٢]، بحيث يكون اختياره موافقاً لتجربته ، ومساعداً في الكشف عنها بالنظر إلى الصواب والخطأ .

ويربط عبد المطلب التفرقة التي أخرجت الجهد البلاغي من دائرة الصواب والخطأ إلى دراسية علمية إبداعية ، بتتبع التراكيب في دلالتها المختلفة " مع ربط المستويات بالإمكانات التي تقدمها اللغة للمتكلمين بها ، ثم ربطها – في الوقت نفسه – بالدوافع الداخلية ، انطلاقاً من كون الحقيقة الأدبية للصيغة هي التعبير والتأثير على صعيد واحد "[٣]، وهذه النظرة إلى الإمكانات التي تتيحها اللغة في عملية الإبداع ، تجعل من اللغة مجموعة من الدلالات الحرة يتحرك من خلالها المبدع.

ويرتبط الاختيار بالوظيفة النفسية للمبدع ، ولم يقصره الباحث على المفردات وحدها ، بل تجاوزها إلى اختيار التراكيب بما فيها من علاقات ؛ لأن " العلاقات لا نهاية لها ، لكن ميزتها ليست ذاتية ، وإنما تأتيها من دورها في إنتاج المكونات الدلالية ، أو ما يمكن تسميته (الدلالة النصية) "[٤] ، فالتركيب

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٩٤ .

[٢] المرجع ذاته ، ص ١٠٥ .

[٣] المرجع ذاته ، ص ١٠٥-١٠٦.

[٤] المرجع ذاته ، ص ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدلالي يجعل الناقد يتخطى ذاتيته ، وأساس الناقد في فهم التركيب قائم على فهم البِنية من خلال اللغة، فيكشف التركيب حركة الذهن مع الخواص التركيبية.

تحولات البنية الدلالية

توظيف البلاغيين لمستويات استخدام اللغة على أساس الإحساس العميق بتميّز اللغة الأدبية ، فهم يجعلون وظيفة (التوصيل) غاية الاستخدام اللغوي المعتاد ، وعبروا عنها بمصطلحات (الإفهام ، أو الإفادة ، أو مطلق المعنى)، ويرون أن اللغة الأدبية تتضمن وظيفة (التوصيل) ، ثم تتجاوزها إلى تحقيق وظيفة جمالية أخرى ، تكون هي المهيمنة على تشكيل الرسالة اللغوية ، بينما تتوارى خلفها وظيفة التوصيل ، وعبروا عن هذه الوظيفة الجمالية بمصطلحات (الحسن ، والإيقاع ، والطرب).

فهناك دِلالة أبعد مما ذكرناه ، وهي أنَّ الصور الحسية لمعاني الإيمان والكفر، تبين اختلاف الطبيعتين في كليهما ، كاختلاف الموت والحياة...، فالاختلاف بين الإيمان والكفر ، اختلاف جوهري ، في الأصل والطبيعة ، وليس اختلافاً في المظاهر والأشكال.

فالمفارقة بين الوظيفة الأدبية والجمالية ، في هيمنة الوظيفة الجمالية على الأدبية ، والتي تسعى اللغة الأدبية بوسائلها المختلفة إلى تحقيقها ، ومن هنا يمكن تعريف وظيفة التوصيل : هي ارتباط المستوى اللغوي بالمألوف من انفعلات المتلقي .

كما تسعى البلاغة إل تحقيق الكفاية النفسية ، إذ إنه يلغي القواعد التي شكك في واقعيتها النفسية كالقواعد التحويلية ، فهو ينظر إلى الوظائف التداولية بمقتضى الوظيفة البلاغية [١] ، أي أن جملة مثل : (الدرسَ قرأَ الطالبُ) ، لا

---

[١] انظر : أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ط١ ، دار الثقافة – الدار البيضاء ، ١٩٨٤م، ص١٠-١١. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقل فيها للمكون (الدرس) ، بل هو يتموقع ، أصلاً ، في هذا الموقع ، بمقتضى الوظيفة التداولية المسند إليه ، وهي بؤرة المقابلة .

تحولات البنية الدلالية في الحذف والذِّكر

وأُولى التحولات التي ذكرها عبد المطلب تحوّل الشكل بالحذف ، وذلك " عندما يكون هناك ربط بين المتكلم والمتلقي في إطار احتمالي ، وكلما كان لأحد الأجزاء طبيعة نحوية معينة اقتضى ذلك نوعاً من الأداء التحويلي الذي يُنتج الإفادة المقصودة "[١]، واستخلص عبد المطلب نتيجة مفادها أن البلاغة بوصفها تحولاً خارجياً لحركة ذهنية داخلية .

وتتعاون الوظيفة الانفعالية والطلبية مع الوظيفة الشعرية في سياقات الاسترحام والاستعطاف ، والتأثير على المتلقي الخاص أو العام ، وهنا يبرز دور الوظيفة التبجيلية، حيث تنسحق الذات المبدعة تحت وطأة واقع فعلي ونفسي أليم، وظروف خارجية ضاغطة ، وبذلك تحتل مكانة منخفضة (حقيقية أو اعتبارية) في أسفل السلم الاجتماعي ، بينما يحتل المتلقي الخاص المشار إليه في الصياغة مكانة سامية مرموقة ، تقويها وتثبتها دوال التضرع والتوسل.

فالتركيب الإسمي يتكون من : المبتدأ (المسند إليه) + الخبر (المسند)[٢] ، فعند حذف (المبتدأ) تؤدي إلى تحول التركيب الأصلي إلى تركيب جديد ، يكون الهدف منه استحضار صورة المبد ع في الصياغة فتتولد المعادلة التنظيمية الآتية:

البنية السطحية ـــــــــــــــ المبتدأ + الخبر(هذه دارٌ)

البنية العميقة ـــــــــــــــ الخبر (دار)

---

[١] البلاغة العربية ، ص ٢٤٢.

[٢] انظر : خليل عمايرة ، رأي في بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية في ضوء علم اللغة المعاصر ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية – الكويت ، المجلد الثاني ، العدد الثامن ، ١٩٨٢م ، ص٦٢، ص٧٠-٧١. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : خليل عمايرة ، رأي في بعض أنماط التركيب . و خليل أحمد عمايرة ، ص٦٣ وص٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتناول محمد عبد المطلب (الذكر) من التقابل بين الأصل والعدول ، فهو يمثل الأصل ، " لأن الذكر يصطدم بسياق الحذف "[١]، ولإزالة هذا الاصطدام لا بدَّ من ذكر الأصل الذي لا عدول عنه ، ولا مقتضى للحذف .

ومن الواضح أن محمد عبد المطلب قد تعامل مع طرفي الحضور والغياب المتصلة بالمسند إليه بين الأصل والعدول ، " لأن الدال الرئيس الذي تتحرك منه الدِّلالة ، لتنتشر بين السياق ، واعتبر (الغياب) هو التحول الطارئ على بنية الأصل (الحضور) ، ومن هذه البنية الأخيرة تبدأ مجموعة التحولات التي تصيب المسند إليه" [٢]، والوظائف الدلالية للذكر تتكئ على حضور المتلقي واحتياجاته التعبيرية ، ومن هذه الوظائف الدِّلالية : ضعف التعويل على القرينة، وزيادة الإيضاح والتقرير ، والتنبيه على غباوة السامع ، وبسط الكلام .

أما دِلالة الحذف فهي من مستويات تحليل الدِّلالة الخاصة وبيان أثرها في الحذف ، فعلاقة ربط عملية الحذف بين مستوى البِنية السطحية ومستوى البِنية العميقة عالية ، بوصفها متابعة للصيغة الإبداعية ، وفيها نظم رائع موصل للمعنى من الربط بين المستويين السابقين .

تحولات البنية الدلالية في التعريف والتنكير

تحولات التعريف بالعَلَم تتم في دائرة المقام ، أي البعد التعبير الصياغي ، " حيث يحتاج المقام للإضمار ، لإنه مقام (التكلم أو الخطاب أو الغيبة) ، وخصوصية المقام تحتاج إلى الضمائر للتعبير عنه"[٣]، لكن من جهة أخرى فإن الاسم الظاهر يقوم بالوظيفة الدلالية ، ويستفيد الضمير من ربط السياق ، إذ إنه يعطي دلالات سطحية لها أهميتها البالغة ، وفيها من طلب الخفة .

---

[١] البلاغة العربية ، ص ٢٢٤.

[٢] المرجع ذاته ، ص ٢٢٧ .

[٣] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٢٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك ، إحضاره بعينه في ذهن السامع باسم يختص بــه ، بحيــث لا يطلق على غيره باعتبار وضعه لهذه الذات المعينه، إحضاراً ابتدائياً ، أي لأول مرة ، فإنه قد يستحضر بالضمير الذي يعود على مذكور قبله ، فقــد يعــرف المسند إليه تسجيلاً للسامع ، أو تبركاً بذكره ، " وذلك إذا اتكــأ علــى المقــام الصياغي ، فالتعريف بالعلمية تجاوز الصياغة إلى متلقيها لإحضار المسند إليه ابتداءفي ذهنه، والابتدائية هنا مخرجه للضمير ، لأنه يُحضر المسند إليه بافعادة وشرط إحضار المسند إليه أن يكون باسم مختص به"[١]، فالــسياق يــدل إلــى الاعتناء بالمسند إليه ، وتقرير دلالته وتمكينها فــي النفــوس ، إمــا بــالتعظيم والتفخيم ، كما في تكرار لفظ الجلالة (الله) كثيراً في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : { قل هو الله أحد ، الله الصمد } ، (الإخلاص :١،٢) .

البِنية السطحية : الله ــــــــــــــــ الله

اسم ظاهر ــــــــــــ اسم ظاهر

البِنية العميقة : الله ــــــــــــــــ هو

اسم ظاهر ــــــــــــ ضمير

والوظيفة الدينية هي محور الدِّلالات القريبة ، وهي هدف مقصود من الدلالة الذهنية والحسية ، ففي قوله تعالى : { الله ولي الذين ءامنــوا يخــرجهم مــن الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات } (البقرة : ٢٥٧) ، تتحرك الوظيفة الدينية من اســتخدام كلمــة النور مفردة ، وكلمة الظلمات في صيغة الجمع ، " وذلك للإشعار بتعدد طــرق الضلال وتشعبها، والدِّلالة على وضوح طريق الحــق وجلائــه "[٢]، فالوظيفــة الدينية مهيمنة على التشكيل اللغوي ، وساعد على ذلك وضع (الضمير) موضع الاسم الظاهر ، بتكرار دال لفظ الجلالة مرتين ، وتنبثــق مــن الآيــة دلالــة

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٢٢٩-٢٣٠.

[٢] بسيوني عبد الفتاح فيود ، من بلاغة النظم القرآني ، ط١ ، مطبعة الحــسين – القــاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٢٦.وسأشير إلى هذا المرجع بــ : بسيوني فيود ، من بلاغة النظم القرآني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعريضية تتجه بؤرتها إلى المتلقي ، لتقوي ماهية الألوهية ، وتمكين هيبتها في النفوس.

وهناك دِلالة أبعد مما ذكرناه ،" وهي أنَّ الصور الحسية لمعاني الإيمان والكفر، تبين اختلاف الطبيعتين في كليهما ، كاختلاف الموت والحياة "[١] ، فالاختلاف بين الإيمان والكفر ، اختلاف جوهري ، في الأصل والطبيعة ، وليس اختلافاً في المظاهر والأشكال.

وتجدر الملاحظة في التحولات في اسم الإشارة ، أنِّ اسم الإشارة يُنتج وظيفة لغوية وأخرى بيانية، "ولكن المفارقة بينهما تأتي من أنِّ مهمة اللغوي بيان معنى الحال الدال فحسب ، أمِّا البلاغي فإن مهمته كشف الإرادة الاستعمالية ، وهذه الإرادة شيء زائد على اللغوية، لأنها مرتبطة بالأحوال "[٢]، فاسم الإشارة اللغوية يبين معنى الحال الذي وصل إليه المتكلم في استخدامه الإشاري ، كأن يبرزه ويبينه جسدياً ، أما اسم الإشارة البلاغية بطبيعة دلالته يحسسك بالتعيين ، لأنَّ الِّدلالة الحسية لا يكون فيها اشتباه.

ويقصد من تمييز المشار إليه إحضاره في ذهن السامع حساً ؛ لأنَّ أصل أسماء الإشارة أنْ يشار بها إلى مشاهد محسوس قريب أو بعيد ، فإنْ أُشير بها إلى محسوس غير مشاهَد ، أو إلى مايستحيل إحساسه ومشاهدته فلتصييره كالمشاهدة، وتنزيل الإشارة العقلية منزلته الحسية ، فدِلالة اسم الإشارة لا تنافي كونه أقل المعارف ، لكنَّه يفوقها بناحية التعميق والتحديد المحسوسة في الاستعمال، لأنَّه المراد أن تكون أقل التباساً في هذه الحالة ، وإلا فهي دونها في حالة المعرفة ، ويرتبط التمييز بوظيفة دلالية خالصة ، فالسامع قد يلتبس عليه الكلام ، وهنا ، يأتي تمييز المقصود في ذهن السامع وتوثيقه .

---

[١] عبد السلام أحمد راغب ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم ، ط١ ، فُصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب ، ٢٠٠١م ، ص١٠٣. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد السلام راغب ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم .

[٢] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتعريف بالموصلية يشيرإلى معرفة الخبر ، من حيث كونه مدحاً أو ذماً أو ثواباً أو غير ذلك ، وبهذا يتنبه الفطن من فاتحة الكلام إلى خاتمته ،" فيتكئ التعريف بالموصلية على حضور المخاطب ، حيث ينحصر علمه عن المسند إليه في الصلة"[١]، ويستطيع أن يدرك الفطن ما سيجيء بعده ، فوسيلة المعرفة أنْ يكون الاسم الموصول الوسيلة الوحيدة للمعرفة ، وهنا ، تظهر الوظيفة الانفعالية ، وذلك من خلال التشكيل الصياغي للمفردات ، وحضور المخاطب بشكل واضح .

فالغرض المسوق له الكلام في قوله تعالى : { وراودته التي هو في بيتها عن نفسه } (يوسف : ٢٣) هو زيادة التقرير، فالاسم الموصول ، هنا ، مسوق لتنزيه يوسف – عليه السلام – عن الفحشاء والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز وغيره ؛ لأن ذكر اسم امرأة العزيز " لا يفيد ما أفاد الموصول من ذكر السبب الذي هو قرينة في تقرير المراودة " [٢]، فأنت ترى أن اسم الموصول أفاد زيادة التقرير ، ولا تتحرك وظيفة التقرير إلا في نطاق الوظيفة الإفهامية ، لأن المتكلم له الحضور المهيمن على المفردات اللغوية.

ويذهب محمد عبد المطلب انطلاقاً من هذا الفهم إلى دراسة علم المعاني ، فهو يرى أن مقولة التقديم " لا تكتسب حقيقتها الخالصة إذا كان المسند إليه فاعلاً ؛ لأن الدائم هو التأخير عن الفعل ، ومن ثَمَّ تنصرف مقولة التقديم إلى المبتدأ – غالباً – لأن رتبته غير المحفوظة التقديم "[٣]، فمباحث النحو تمد المتكلم بمجموعة من الدلالات التي تساعد على فهم البنية من خلال مدخلها ، وهي اللغة التي بدورها تكشف عن العلاقة القائمة بين حركة الذهن وشبكة الوظائف الكائنة في الكلام .

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص٢٣٠

[٢] المرجع ذاته ، ص ٢٣٠

[٣] المرجع ذاته ، ص ٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحولات البنية الدلالية في التقديم والتأخير

تبدو مقولة (التقديم للأهمية) ، مثلاً ، " في حاجة إلى مراجعة من خلال رصد حركة الذهن ، وتوافقها مع الحركة الصياغية أفقياً ، على أن يؤخذ في الاعتبار طبيعة الاحتمالات القائمة في بنية التركيب ؛ لأن ضياع الاحتمالات يشد الصياغة إلى جبرية تناسب وظيفتها اللغوية لا وظيفتها البلاغية "[١]، وقد نبه عبد المطلب على ضرورة التعامل مع سياقات التقديم والتأخير التي رصدها البلاغيون في شيء من الحذر ؛ وذلك ليصبح في الإمكان الربط بين هذه السياقات ، وحركة الفكر من ناحية ، وطبيعة المقام من ناحية أخرى.

ويخلص عبد المطلب من ملاحظة تحوّلات البنية في التقديم والتأخير ، إلى أن هذه التحوّلات تكشف عن ظاهرة مهمة في تحليل الصياغة الأدبية ؛ " وتتمثل هذه الظاهرة في أن التفكير في الصياغة الأدبية ، يقوم على أنها مجموعة من الخصائص الطارئة ، ويمكن متابعة هذه الخصائص بالكشف عن عناصرها أولاً ووظائفها الدلالة ثانياً"[٢]، وتكمن أهمية هذا التفكير من كونه يقدّم منظومة متكاملة من الخصائص ؛ لأن كل عنصر في الصياغة يمكن التعامل معه تحليليّاً للكشف عن أدبيته ، حتى تلك التراكيب غير الأدبية .

وأوضح محمد عبد المطلب الشكل السطحي وتحوّلاته على النحو الآتي :

١- مبتدأ معرفة + خبر نكرة : يجوز التشريك بالعطف .

٢- مبتدأ معرفة + خبر معرفة : يمتنع التشريك بالعطف[٣] .

ويرجع الجواز أو الامتناع – في المقام – " إلى المستوى العميق الذي يتمثّل في الفكر ، وما يجريه العقل من عمليات استنتاجية "[٤]، بحيث تعتمد على

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٢٣٧.

[٢] المرجع ذاته ، ص ٢٤٠-٢٤١.

[٣] المرجع ذاته ، ص ٢٤٣.

[٤] المرجع ذاته ، ص ٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجموعات من المواصفات البلاغية التي تجسد الحركة الذهنية الداخلية للدلالات.

وتحولات البنية السطحية – كما يرى عبد القادر عبد الجليل – في سياقات التقديم والتاخير تقع في مستويين :

١- مستوى التحول في هيئة العناصر .

٢- مستوى التحول في تركيبة البنية العميقة [١].

وهذان المستويان يتحركان في منطقتي المتكلم والسامع ، للوصول إلى الوظائف الدلالية التي تجعل من التقديم والتأخير أساليب تتحول فيها المعاني من البِنية السطحية إلى البِنية العميقة ، لتنتج وظائف دلالية على مستوى الإقناع العقلي ، يعبر فيها المتكلم عن انفعالاته مستفيداً من إجراءات الممارسة التحويلية التي تحدث في الذهن .

وتسيطر الوظيفة الانفعالية على الصياغة ، وتوجه دلالتها الكلية لخدمة انفعالات الذات المبدعة ، على الرغم من عدم حضورها بكثافة في التشكيل اللغوي، وذلك مناسب لسياق التضرع ، والتذلل ، والاستعطاف [٢]، فالدلالة المباشرة للتشكيل اللغوي تتجه إلى الذات المبدعة الخاص ، بسبب تجسيم المعاناة وتكثيف الانفعالات التي يزيد من تفاعل المبدع مع الصياغة ، بما يعكس نجاح الصياغة في أداء الوظيفة الشعرية .

وبالنظر إلى أسباب التقديم والتأخير نجد أنَّها ترتكز على اعتبارات تعود إلى الحركة المنتظمة المسيطرة للبِنية العميقة ، بحيثُ تتوافق مع البِنية السطحية ، ومن هذه الدِّلالات المرتكزة على المتكلم " الإيهام بحضوره في الخاطر ، والاستلذاذ به، وإظهار الألم ، ويعود بعضها إلى المتلقي واحتياجاته الدلالية (كالتشويق ، وتعجيل المسرة) ، ويخلص بعضها للصياغة ذاتها ، على أنَّه من طبيعتها المثالية إذا كان الأصل التقديم ولا مقتضى للعدول عنه "[٣] ، فنظم

---

[١] عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص٢٩٥ .

[٢] انظر : أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص٨٨.

[٣] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٢٣٨ وص ٢٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العبارة بشكل معين يحمل بين طياته معنًى دلالياً ، وإذا ما تغير شكل العبـــارة , فقدمنا ما كنا أخرناه , ظهر لنا معنى دلالي جديد , وبدا لنا الفرق في المعنـــى بين العبارتين ، ومن هنا ، اختلاف العلاقات في التركيب يؤدي إلى اخـــتلاف المعنى بداهة.

ويرى محمد عبد المطلب أنَّ في التقديم دلالة إيحائية ، ويظهر أثرها فـــي إخصاب النص ، حيثُ يقول :" وانتهاك الرتب بتحريك الألفـــاظ مـــن أماكنهـــا الأصلية إلى أماكن أخرى ، وهذه العملية تضفي على الدلالة طبيعة جمالية ، لا نراها مع بقاء الكلام على رتبه الأولى "[١]، وتعليل ذلك أنَّ الإضفاء يكون فـــي تغيير موقع اللفظة ، والتي لا سبيل إليها مع التاخير ، وتبدو عملية تحريك هذه العناصر، غاية بالغة في الدقة للوصول على البنية العميقة التي يتوجب إيصالها إلى السامع.

فمن الوظائف الدلالية للتقديم والتأخير العناية والاهتمام وهي أحد الوظائف التي تتم فيها التقديم لدلالة تحتمها ظروف النص ، فالمتكلم يقدم العنصر الـــذي يهتم به على عنصر آخر لا يهتم بذكره أولاً ، ويفيد تقديم المسند اليه للاهتمـــام والعناية، ففي قوله تعالى : { أفي الله شك } (إبـــراهيم ١٠) أدخلـــت همـــزة الانكار على الظرف ، أي الجار والمجرور ، لأنَّ الكلام ليس في الشك ، وإنَّما هو في المشكوك فيه ، وإنَّه لا يحتمل الشك لظهور الإدلة وشـــهادتها عليـــه ، فالتقديم ، هنا، يفيد الاهتمام بأمر المقدم والعناية به لمشيئة الله ، فمـــن وجهـــة النظر التحويلية التوليدية ، فإنّ جملة (في البيت رجلٌ) ، جملة تحويلية أصلها التوليدية(رجل في البيت) ، جملة إخبارية ، ثمَّ حدث فيهـــا تقـــديم وتـــأخير ، فصارت (في البيت رجلٌ) ، وهي جملة خبرية فيها عناية، ولكـــنَّ المـــتكلم لا يريد الإخبار ، بلْ يريد معنى آخر ؛ لإبراز القوة في الحدث على أمـــر معـــين مقدم .

ويؤيد المنهج اللغوي المعاصر أن الترتيـــب الموضـــعي للتركيـــب يمثـــل التركيب الفعلي ، أي (ف فا مف) ، وبمقتضى قواعد التحويـــل ، يـــتم نقـــل

---

[١] البلاغة والأسلوبية ، ص٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاعل إلى مقدمة هذا التركيب لتحقيق غرض دلالي ، وهو (الاختصاص) ، وبهذا يتحول النمط من التركيب التوليدي الفعلي إلى التركيب التوليدي الإسمي[١]، ويمكن توضيح ذلك بهذا التحليل حيث يكون تقديم محمد للتخصيص :

البنية السطحية ـــــــــــــــــ ف + فا + مف (أكرم محمد خالداً)

البنية العميقة ـــــــــــــــــ فا + ف + مف (محمد أكرم خالداً)

والترتيب الأساسي والجوهري للعناصر اللغوية في توليد التركيب الفعلي في العربية ، يمثله الشكل الآتي[٢]: ف + فا + مف ، وحسب هذه القاعدة اللغوية تكون جملة : (قتل زيدٌ الخارجيَّ) " ... جملة توليدية فعلية لا تركيز فيها على أي جزء من أجزاء المعنى ، وهدفها نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهن المتكلم إلى صورة (فنولوجية) "[٣]، أما جملة (قتل الخارجيَّ زيدٌ) فهي جملة فعلية توليدية تحويلية مولدة من البنية تفيد تخصيص من وقع عليه الحدث.

فالتحوليون يرون أنَّ تقديم الفاعل في (زيد جاء) الأصل فيه أن يتأخر عن فعله (جاء زيد) ، والجملة بهذا الشكل جملة توليدية ، لا تركيز على أي جزء من أجزائها ، والغرض منها الإخبار لا غير ، ولكن المتكلم إذا أراد العناية بجزء قدمه ونقله من موقعه الأصلي ، ولا يكون التقديم إلا وفق القواعد النحوية.

أما في سياق النفي ، فتحتوي الجملة المنفية على : أداة نفي ، ومسند ، ومسند إليه ، والأصل التوليدي في هذه الأركان ، تقديم أداة النفي ، ثم يتبعها المسند ، فالمسند إليه ، وذلك نحو قولنا : (ما كتب زيد هذا) ، ويمكن تمثيل ذلك ،كما هو في التحليل اللغوي المعاصر كالآتي[٤] :

---

[١] انظر : خليل عمايرة ، رأي في بعض أنماط التركيب ، ص٦٣- ٦٤ .

[٢] عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية) ، ط١ ، دار توبقال للنشر – المغرب ، ١٩٨٢ م ، ص ١٠٥ – ١٠٦ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ : عبد القادر الفهري ، اللسانيات واللغة العربية .

[٣] خليل أحمد عمايرة ، في نحو اللغة ، ص٩٤ .

[٤] انظر : خليل عمايرة ، في التحليل اللغوي (منهج وصفي تحليلي) ، ط١ ، مكتبة المنار – الزرقاء ، ١٩٨٧م ، ص١٥٩ . وسأشير إلى هذا المرجع بـ خليل عمايرة ، في التحليل اللغوي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البنية السطحية ـــــــــــــــــــــــــــ كتب زيد هذا

البنية العميقة ـــــــــــــــــــــــــــ ما كتب زيد هذا

وتنحرف هذه الصورة عن أصلها ، فيتقدم المسند إليه على المسند ، مع بقاء أداة النفي في موقعها .

وعند تقديم المفعول به على الفاعل في قولنا :(إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ) ، وأصل الجملة من جهة نظر التوليد والتحويل ، هو قولنا : (يخشى العلماءُ اللهَ) ، وهي جملة توليدية ، ثم تحولت الجملة بتقديم المفعول به للأهمية والتوكيد ، فأصبحت الجملة (يخشى اللهَ العلماءُ) ، كما دخلها عنصر تحويلي آخر هو إنما ، وهي داة توكيد ، فأفادت إضافتها توكيداً آخر لمضمون الجملة ، فصار المفعول به مؤكداً مرتين ، الأولى منهما بتقديمه ، والأخرى بإضافة (إنما).

وفي حالة تقديم المفعول به على الفعل والفاعل في قولنا : (بل اللهَ أعبد) يدل على الاهتمام ، ويؤكد ذلك المنهج التحويلي التوليدي ، فالأصل في الآية (أعبدُ اللهَ) ، ثم جرى تحويل بتقديم المفعول به لتوكيده .

وفي حالة تقديم المفعول به عندما يكون ضميراً ، في قول الله تعالى : { إياك نعبد وإياك نستعين } (الفاتحة : ٥) ، والأصل في الآية كتوليد لهذين التركبين ، نعبدك ونستعينك ، وكل منهما توليدية مكونة من [١]:

ف + فا + مف (ضمير متصل)

ولما كانت العناية والاهتمام بالمفعول به قدم لتوكيده ، فاتخذ صيغة الضمير المنفصل (إياك) ، فأصبحت الجملة تحويلية فعلية مكونة من :

مف (ضمير منفصل)+ ف + فا .

وتتمتع عناصر التقديم والتأخير بحرية في تشكيل التراكيب ، وذلك عن طريق التحويل فيما بينها تقديماً وتأخيراً ، وهما أحد الوسائط التحويلية في الجملة ، حيث إنَّ لكل عنصر ترتيباً خاصاً به ، ولا يخرج عنصر عن ترتيبه إلا لتأدية وظيفة دلالية يريدها المتكلم ، وترتيب الكلمات إمَّا أنْ يكون ترتيباً

[١] خليل عمايرة ، في نحو اللغة ، ٩٤-٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حراً تتقدم فيه الكلمات وتتأخر ، كما في (زيد ضرب عمرو) ، وإمَّا أنْ يكون ترتيباً إلزامياً لا يحق للكلمات فيه أنْ تتنتقل من مواقعها إلى مواقع جديدة ، كما في (أين جلس زيد ؟).

تحولات البنية الدلالية في القَصْر

تؤدي تحولات بنية القصر وظيفة إلى التركيز ، وتثبيت الدلالة بجزيئاتـــه ، ووظيفة القصرتعتمد على البنية في الدلالة على مستوى البنية العميقة ، " ومهمة وظيفة القصر وظيفة إنتاجية ، تجمع بين صفتي الضد (الإثبات والنفي) فـــي مستوى سطحي واحد ؛ حيث تتجلى في الأول توكيد حكم الإثبات ، وفي الثاني نفيه عما سواه "[١] ، وهذه المهمة تتجلى في الإجراءات التي تمارســـها الدلالـــة لإنتاجها في حركة أفقية في ثنائية الحضور والغياب ، فتركيز بنية القصر يأتي على مستوى البنية العميقة ، ولكنها تتميز عن غيرها من الوظائف في رصدها للجزئيات للشكل الخارجي لمستوى البنية السطحية .

وبنية القصر تعتمد في إنتاجها على البنية العميقة ، وهذه المهمة الإنتاجيـــة تجمع بين وظيفتين على صعيد واحد ، " هما: الإثبات والنفي ، إثبـــات الحكـــم للمذكور ، ونفيه عما عداه ، أي أن المهمة تمـــارس فاعليتهـــا فـــي الحـــضور والغياب"[٢]، وحركة الدِّلالة حركة مزدوجة ، من حيـــث الأداة التعبيريـــة فـــي تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، حيث تبدأ الحركة مـــن المقـــصور عليه لتتسلط على المقصور .

وتقوم وظيفة القصر على ثنائية (الصفة والموصوف) ، " فالحركة الأولى تبدأ من الموصوف لتتسلط على (الصفة) ليستأثر بها (الموصوف) " [٣]، ففي

---

[١] عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص ٣٤١.

[٢] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٢٦١ .

[٣] المرجع ذاته ، ص ٢٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قولنا : ما محمد إلا كاتب ، نرى مجموعة التحولات من البنية العميقة إلى البنية السطحية ، ففي المستوى الأول يظهر محمد بصفته البشرية ، وفي المستوى الثاني يرتفع محمد عن غيره من الكتاب ، وفي المستوى الثالث يتم فيه إنتاج البنية السطحية في الشكل الأخير للمثال السابق على الحركة الذهنية للصياغة.

المتكلم ـــــــــــــــــــ السامع

ما محمد إلا كاتب ـــــــــــــــــــ محمد كاتب

وتبدو براعة المتكلم في إنتاج البنية السطحية في الحركة الثانية ، " وهي تبتدئ من (الصفة) لتنحصر في الموصوف وكأنه لا موصوف سواه "[١]، وهذه العملية تنطلق من البنية العميقة لتولد البنية السطحية ، وذلك في قصر الصفة على الموصوف .

والنفي والاستثناء من أهم أساليب القصر، ولا يختلف البلاغيون المعاصرون على هذا الأمر ، " فالناتج الدّلالي في النفي والاستثناء يطرح احتمالين اثنين في بنية العمق ، هما : الاحتمال الأول : حضور المتكلم والمتلقي على صعيد واحد ، فإذا قلنا : (ما جاءني إلا محمد) يكون القصد المتكلم اختصاص (محمد) بالمجيء ، ونفيه عن غيره ، والاحتمال الثاني : أن يكون الناتج القصري في بنية القصر والاستثناء مساوياً للناتج من بنية (إنما) ، ويكون الكلام مقولاً لعلم أن (الجائي محمد) لا غير"[٢]، فدلالة الطريق إلى القصر دلالة واضحة وضوحاً تاماً وظاهراً ظهوراً قوياً ، وذلك من بنية السطح التي تسير في خط أفقي ، وصولاً إلى الاحتمالين السابقين في الناتج الصياغي .

ويظهر ذلك جلياً واضحاً في طرح الاحتمال الأول على النحو :

البنية السطحية ـــــــــــــــــــ ما جاء إلا محمد

البنية العميقة ـــــــــــــــــــ جاء محمد ولم يجئ غيره

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٢٦٤.

[٢] المرجع ذاته ، ص٢٦٩-٢٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاحتمال الثاني يكون :

البنية السطحية ـــــــــــــــــــ ما جاء إلا محمد = إنما جاء محمد

البنية العميقة ـــــــــــــــــــ جاء محمد لا غيره = جاء محمد لا غيره

فتقوم عملية التحولات في بنية القصر بين الاحتمال الأول والثاني ، ولكن الفرق أن الاحتمال تحرك في اتجاه المتكلم والسامع ، أما في الاحتمال الثاني فجاءت في اتجاه المتكلم ، فالذي يعطي بنية القصر الدلالة على حقيقتها ، هي حركة التقدير بين ذهن المنشيء ، وتوقع السامع ، حيث تختزل التحولات بين البنية السطحية والبنية العميقة ، وتتحرك الدلالة حينئذ إلى التركيب الصياغي .

تحولات البنية الدَّلالية في الإنشاء

تظهر الوظيفة الدلالية في تحولات البنية الدَّلالية في الإنشاء خلال التعبير اللغوي للمتكلم ، ويحتوي على دلالات ثرة ، بحيث يتجاوز الدلالات التقريرية إلى دلالات عميقة .

- **بنية التمنِّي** :

وعنصر الحيوية في الأساليب الإنشائية ينتج عن عاملين ، هما:

١- الوظيفة الداخلية : وتحتوي على ما يتمناه المرء من رغبة طامحة ، ويسميه البلاغيون (الأحوال القلبية) .

٢- الوظيفة الخارجية : وتحتوي على الواقع الخارجي للوظيفة الداخلية ، الذي لايستطيع الوصول إليه [١].

فالبعد الداخلي يمثل البنية السطحية ، لأنه واقع الحصول في النفس ، والبعد الخارجي يمثل البنية العميقة الذي يمثل انتفاء حصول الشيء المحبوب .

---

[١] انظر : محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص٢٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتأتي عملية التحول في ليت – كما يرى عبد القادر عبد الجليل - ، كالآتي:

١- التحرر من الوظيفة الأصلية لها .

٢- الدخول إلى دائرة اتمني ، وتقمص وظيفته التعبيرية .

٣- إنتاج دلالة جديدة بعد تعديلات في البنية السطحية [١].

فالموازنة بين البعدين السطحي والعميق يعكسه الفعل (ليت) ، لأن تعاظم حصول الرغبة الداخلية تصبح مؤرقة في البِنية العميقة ، فتؤسس تعادلاً بين الدلالَتين ، وهما الرغبة الداخلية والواقع الخارجي المستحيل ، وهذه النقاط الثلاث محكومة بإنتاج الوظيفة ضمن بنية التمني الذي يتطلبه السياق .

جاء في القرآن تمني الكافرين يوم القيامة ، وذلك في قوله تعالى : { هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا شفعاء فيشفعوا لنا أو نُرد فنعمل غير الذي كنا نعمل }(الأعراف : ٥٣) .

البنية السطحية : الشفاعة ـــــــــــ وظيفة داخلية .

شفاعة ـــــــــــ رغبة داخلية .

البنية العميقة : ليس لهم شفاعة ـــ وظيفة خارجية .

تمني الشفاعة ـــــــ واقع خارجي .

والوظيفتان تتصارعان في إمكان وقوع الرغبة في القلب ، واستحالتها في المنال ، فالتعادل في النتاجين الدلاليين يعمل صراعاً غير متكافئ .

وتفيد لعل في الرجاء ، ويكون في الأمور المتوقعة ، وإشراب (لعل) بدلالة التمنِّي في البِنية السطحية تكثف الرغبة الداخلية ، وتعادله في الدلالة الخارجية بحيث يصبح ممكن الوقوع ، " فالبنية تتحرك من منطقة النفي وصولاً إلى منطقة الإثبات (المرجو) ، لا الإثبات المتحقق الواقع "[٢]، كما جاء في

---

[١] عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص٢٧٤ .

[٢] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصة فرعون :{ وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلـغ الأسـباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنِّي لأظنه كاذباً }(غافر : ٣٦،٣٧) .

البنية السطحية: الاطلاع ـــــــــــ وظيفة داخلية .

ابنِ لي صرحاً ـــــــــــ رغبة داخلية .

البنية العميقة : ليس له صرح ـــــ وظيفة خارجية .

تمنِّى أنْ يكون له صرح الشفاعة ـــــــــ واقع خارجي .

وهذا التوجه نحو الوظيفة الدلالية ، أصله العدول عن الدلالة الأصلية إلـى الدلالات الجديدة ، والسر في العدول عن (ليت) التي هي الأصل في التمني إلى (هل) ، إبراز المتمني في صورة المستفهم ، لإظهار كمال العناية بـه ، حتى لا يستطاع الإتيان به إلا في صورة الممكن الذي يطمـع فـي وقوعـه ، وبذلك تحمل (لعل) معنى (التمني) ، فالتمني حاضر في الوظيفة الداخليـة ، وهو تمني أن يكون له صرح ، والوظيفة الخارجية تتمثل في نصب الفعل بعـد (لعل) .

وهذا يوحي بشدة الوظيفة الداخلية ، والرغبة في تحويلها إلى واقع ، " وفي هذا إيهام بأن فرعون جاد في التعرف على حقيقة ما يدعو إليه موسى – عليـه السلام - ، فها هو يبلغ السموات ، ويجد في أن يطلع على حقيقـة الأمـر ، وكأن وراء قوة موقفه ، وانه إنما يفعل ذلك ؛ ليبطل ما قد يطوف في الأوهـام أنَّ في الكون إلهاً غيره "[١]، فدِلالة الاستفهام تكون في الأمور الممكنة ، وتدخل في صيغتها دلالة التمنِّي، بحيث يفرغ على التمني لوناً آخر ، يجعله في صورة الممكن، وإنَّما هكذا أوهمتْ عبارتهم ، وفي هذا الإبهام إشارة إلى أنَّ حـاجتهم إلى شفيع قد غلبت على نفوسهم ، وعظم تعلقها بها حتى صارت مـن فرطـه تفترض غير الواقع.

وأما (لو) فتبرزفي الوظيفة الخارجية لتؤدي دلالة أصلية وهي الامتناع ، نتيجة لسطوة الواقع الخارجي ، وتمتد الوظيف الداخلية لتكثف الإحساس بالقنوط التام ، نتيجة الرغبة القلبية الداخلية .

---

[١] محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قوله تعالى : { أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين }(الزُّمر : ٥٨) .

الوظيفة الداخلية : أن يكون من المحسنين ـــــ وظيفة الداخلية .

الإحسان ـــــــــــ رغبة داخلية .

الوظيفة الخارجية : ليس له كرةٌ ـــــ وظيفة الخارجية .

تمني أن يكون له كرة ـــــــــ واقع خارجي .

وتأتي أهمية التمني في التعبير به دائماً عن حالة نفسية متألمة ، تسيطر عليها الوظيفة النفسية (الانفعالية) في الصياغات التي تساهم في تحديد الدلالة الانفعالية، لأنَّ " التعبير عن عاطفة المتكلم تحتل مركز الثقل ، وإنِ اقترن بطلب يدرك مقدمة نفسه صعوبته أو استحالة تنفيذه "[١] ، مثلُ : فوت محبوب أو الوقوع في مكروه ، والملاحظ أنها ترد بكثرة في القرآن الكريم في تصوير مشاهد يوم القيامة ، وفي عرض الأحوال والهيئات النفسية التي يكون عليها المجرمون ، كقوله تعالى : { يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون } (القصص : ٧)، فهم يطلبون شيئاً بعيد التحقق والحصول .

- **بنية الاستفهام** :

تركيب صياغة الاستفهام يحتوي على وظيفيتن دلاليتين ، هما:

١- وظيفة دلالية داخلية : وهي الوظيفة الانفعالية ، وتتحول أحياناً إلى وظيفة طلبية، ليصبح المتلقي له الحضور المهيمن على الصياغة وتدعم الوظيفة الشعرية تلك الوظائف السابقة ، لأن التركيز على الرسالة (الصياغة) هدفٌ أولي في الإنتاج الدلالي لبنية الإنشاء عموماً .

---

[١] صلاح فضل ، علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة ، مجلة فصول – القاهرة ، العدد (١) ، ١٩٨٤م ، ص٥٥. وسأشير إلى هذا المرجع بـ : فضل ، علم الأسلوب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- وظيفة دلالية خارجية : وهي صورة الشيء المستفهَم عنه من قبل المتلقي، والسياق الذي قيل فيه ، فهناك وظيفتان : الوظيفة الطلبية ، والوظيفة المرجعية[١].

وتظهر الوظيفة الدلالية من صورة الشيء المستَفْهَم عنه إلى ذهن المتلقي ، أي من الوظيفة الخارجية إلى الداخلية .

وعملية التوليد الدلالي تمر بثلاث مراحل متتابعة:

١- التنبيه : وهو موجه إلى المتلقي بالدرجة الأولى .

٢- التفاعل : أي تفاعل الوظيفة الطلبية (المتلقي) مع الوظيفة المرجعية (السياق) ، والوظيفة الشعرية (الصياغة) .

٣- الإنتاج : يمثل المرحلة الأخيرة التي تنبعث فيها الدلالات التوليدية الجديدة للبنية ، وتتركز بؤرتها في ذهن المتلقي ، أي تحصل صورتها في الذهن كما قال البلاغيون [٢].

فالحركة الدلالية لبنية الاستفهام تتجهة من البنية السطحية إلى البنية العميقة، كما في قوله تعالى :{ أفاصفاكم ربك بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً كريماً }(الإسراء : ٤٠) ، فتتوجه البؤرة الدلالية وتتصاعد إلى أقصى مدى للكاذب والمنافق، ووظيفته في هذه الحالة الدلالة على الإبطال و التكذيب وهي وظيفة داخلية ، فيكون الناتج الدلالي في البنية العميقة.

وظيفة خارجية ـــــــــــــــــــــــ استفهام .

وظيفة داخلية ـــــــــــــــــــــــ تكذيب وإبطال .

ففي جملة : (هل جاء زيدٌ ؟) ، مثلاً ، جاءت عناصر الترتيب على أصل ترتيبها ، فقد حافظت العناصر على ترتيبها ، فنلاحظ أن حركة بنية الاستفهام جاءت من الخارج إلى الذهن ، أي من السطح إلى العمق ، " فبنية العمق تطرح الشك في إطار ذهني تقريري ، لكن البنية السطحية تطرح هذا الشك في الخارج الصياغي في صورة تساؤل مسلط على الفعل مباشرة " .

---

[١] انظر : محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ٢٨٥ .

[٢] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتظهر هذه البنية كالآتي :

البنية السطحية ــــــــــــــــــــــ مجيء زيد أو عدم مجيئه

البنية العميقة ــــــــــــــــــــــــ هل جاء زيدٌ؟

وفي جملة :(أحصدت الزرع ؟) ، فالذي يلي الهمزة هو المسؤول عنــه ، فعلاً كان أو أسماً هو موضوع السؤال ، ولا يعني هذا إن الذي يؤخر الفعل ، لا يشمله الاختصاص ، وهه المعادلة توضح ذلك :

حرف استفهام [مسند + مسند إليه] = جملة استفهامية

[مسند إليه + مسند]

وإذا نظرنا إلى البلنية العميقة في التقديم والتأخير اتضح الفــرق بينهمــا : "أحصدت الزرع ؟ ، فالمستوى العميق يطرح تصور الحصاد أعدمه ، ومن ثم جاء التحول على السطح ليكون المطلوب نسبة حصاد الزرع ، لكن في مثــال آلزرع حصدت ؟ ، فإن الحركة تتغير مع إحداث حركة أفقية فــي الــصياغة بتقديم الفاعل على الفعل "[١] ، ويكون الناتج بينهما كالآتي :

البنية العميقة في تقديم الفعل ـــــــــــــ أحصدت الزرع أم لم تحصد؟

البنية العميقة في تقديم الفاعل ـــــــــــــ آلزرع حصدت أم غيرك ؟

فمركز الثقل الإنتاجي يعتمد على الحركة الأفقية لعناصر الكلام ، او تبعــاً للبعد المكاني للدوال ، ففي جملة الأولى :(أحصدت الزرع ؟) ، سلط السؤال على حدث الإنجاز أحدث أم لم يحدث ؟ ، وفــي الجملــة الثانيــة :(آلــزرع حصدت ؟) ، سلط السؤال على فاعل الحدث : أنت أم غيرك؟ .

فالدلالة الأصلية للاستفهام هي التي تنبه المتلقــي ، فتتولــد لديــه دلالات إضافية، وتتكثف في الذهن مع بقاء الدلالة الأصــلية حاضــرة وماثلــة فــي التركيب، ووظيفة الاستفهام – كسائر البنى الإنــشائية – بنيــة توليديــة فــي صياغتها الأصلية ، وقد يحمل دلالات أكثر عمقاً من المعنى الأصلي يدلنا عليه السياق ، وتتجاوز دلالالتها الأصلية لتنتج دلالات أخرى تبعاً لــسياق الحــال ،

[١] انظر : محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص٢٨٧ . وانظر : خليل عمايرة ، في التحليل اللغوي، ١١٩- ١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتحرك وظيفة الاستفهام في مجال الوظيفة الطلبية ، أي أنَّ بؤرتها تتجه إلى المتكلم .

- **بنية الأمر** :

تتجه بِنية الأمر من البِنية العميقة إلى البِنية السطحية ، فهي لا تعرف الالتزام بأصل المعنى ، بل تتجاوز كل الإمكانات للوصول إلى دلالة جديدة ، وترتد هذه الدلالة الجديدة إلى العمق الذي يعتمد الشرط في عملية التوليد .

وتحتوي بِنية الأمر على وظيفة داخلية وخارجية ، وتسير حركة الدلالة فيها من الوظيفة الداخلية إلى الخارجية ،" وهي تكشف بوضوح بالإضافة إلى الوظيفة الأصلية وهي بِنية النَّهي عن جوانب كثيرة من الجوانب التبجيلية ، حيثُ تعكس العلاقات الاجتماعية بين من يعطي الأمر ومن يتلقاه "[١]، والأصل في الأمر أنْ يفيد الوجوب على جهة الاستعلاء ، وقد تتبع البلاغيون الدِّلالات المتعلقة بهذه الأوامر ، والتي تُنتج غالباً عن طريق الخروج على دلالة الاستعلاء .

والحركة الدلالية لبنية الأمر تتجه من البنية العميقة إلى البنية السطحية ، وهي عكس بنية الاستفهام ، " فبنية الأمر لا تعرف الالتزام بأصل المعنى ، وإنما تتجاوز الإمكانت من أجل حاصل إنتاجي"[٢]، والشرط الواجب حصوله في عملية التولد ، هي ارتداد البنية إلى العمق الداخلي ، وعلى هذا الأساس بنية الأمر بنية توليدية .

فمن وظائف الأمر التهديد ، وهو التخويف ، وهو أعمُّ من الإنذار ، لإنه إبلاغ مع التخويف ، " ولكي يولد التهديد ، فإنه يحتاج إلى سياق خارجي يرتد إلى المتكلم ، من حيث عدم رضائه عن المأمور به " [٣]، وتتحرك دِلالة التهديد

---

[١] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص١١٦.

[٢] عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص ٢٧٥.

[٣] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص ٢٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في نِطاق الوظيفة الطلبية ، ولكنَّ ناتجها الدلالي يعاكس دلالة الطلب في الأمر ، حيث يقتضي التهديد رفض الفعل المأمور به ، وتخويف المتلقي من عواقب فعله .

نحو قوله تعالى : { اعملوا ما شئتم إنِّه بما تعملون خبير }(هود : ١١٢)، وهي وظيفة انفعالية ، فالأمر موجه للكفار ، والدِّلالة على التهديد لهم بأنَّهم سيحاسبون على كل عمل .

البنية السطحية ـــــــــــــــــــ اعملوا ما شئتم

البنية العميقة ـــــــــــــــــــ اعملوا ما شئتم فإن جزاءه أمامكم

ويشيرهذا إلى القرائن المصاحبة ، حيث يلفت عبد المطلب إلى " أن العلاقة بين التهديد والأمر علاقة (التضاد) ، أي تحول الأمر إلى ضد ما ينتجه وهو (الطلب) إلى رفض (المأمور به)"[١]، وذلك يقتضي حضور المتكلم حضوراً قوياً في الصياغة ، ليعلن عن غضبه ورفضه لهذا العمل ، ويكون باستعمال الأمر من المتكلم إلى المخاطب بقيامه بفعل ما أمر به تخويفاً وتهديداً له.

والسياقات التي يمر بها الأمر لتعبر عن الوظيفة الانفعالية ، تبين إنَّ " فعل الأمر يبدو ذا طابع مثالي ، ويبدو ضرباً من معالجة الخيال ، ومن الواضح ، أنَّ المرء يحقق ما يستطيع ، فإذا لم يستطعْ تحقيق شيء ناداه ، أو دعاه إلى نفسه دعاء، فالفعل الطلبي واضح في الدلالة على مايشبه العجز والقصور ، ومحاولة الثبات والرسوخ في مجال يتعرض للتموج والاضطراب "[٢]، وتعود المعاني السياقية لبِنية الأمر إلى الوظائف الثلاث : الوظيفة الانفعالية(المتكلم)، والوظيفة الطلبية (المتلقي) ، والوظيفة الشعرية (الصياغية) [٣]، وقد لا تنفرد كل دلالة بوظيفة لغوية مستقلة ، ولكنها قد تتداخل وظيفة أو أكثر في الدلالة الواحدة.

---

[١] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص٢٩٤ .

[٢] مصطفى ناصف ، النحو والشعر ، ص٣٩.

[٣] المرجع ذاته ، ص ١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبِنيةُ الأمرِ بِنية توليدية ، حيثُ تستعمل في طلب الفعل بحسب السياق التي ترد فيه ، وهي تكشفُ بوضوحٍ عن جوانبَ كثيرة من الوظائف الاجتماعيـــة ، حيثُ تعكس العلاقات الاجتماعية بين المتكلم والمتلقي .

- **بنية النهي :**

يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى دلالات أخرى ، " وهذه الدلالات تجنب الأسلوب سمة التقريرية التي تتحجم في عملية (الفهم والإفهام) ، وتنقله إلـــى فضاءات تتوافر فيها موسيقية الحركة ، وتقدم وظائفه ضمن صياغات تتناســـب فيها العلاقات طرداً وعكساً "[١]، بحيث تتحرك الدلالة بحضور حالـــة ذهنيـــة ، ويكون النهي ، هنا ، توليدياً .

فدلالة الدعاء يفرِّغ بنية النهي الحقيقي من دلالة الاستعلاء الملازمة للمتكلم ويضفيها على المتلقي المباشر ، بينما يضع المـــتكلم فـــي موضـــع التـــضرع والخضوع[٢]، حيث تتحرك الدلالة من الأدنى إلى الأعلى .

كما في أدعية القرآن الكريم :{ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به}(البقرة :٢٨٦) ، وتتحرك دلالة الدعاء في نطاق الوظيفة الانفعاليـــة ، أي أنها ترتد إلى الذات المبدعة لتعبر عن المشاعر والانفعالات ، حيـــث يتوجـــه الخطاب الدعائي من الأدنى للأعلى .

البنية السطحية ـــــــــــــــــــــــــــ ربنا لا تؤاخذنا

البنية العميقة (بنية خبرية)ـــــــــــــــــ ندعوك ربنا أن لا تؤاخذنا

ودِلالةُ النهي دلالةٌ سالبةٌ ، لأنَّه طلبُ الامتناعِ عن الفعلِ ، بعكس دِلالة الأمر الموجبة ، وعندما تزول دِلالة الاستعلاء الحقيقي منْ بِنية النهي ، فإنَّهـــا تُنـــتِج دِلالات كثيرة تختلف باختلاف السياقات التي تتواجدُ فيها ، ولكنَّها تتوزعُ علـــى

---

[١] عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ، ص٢٦٣ .

[٢] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظيفتين رئيستين هما : الوظيفةُ الانفعاليةُ ، والوظيفــةُ الطلبيــةُ [١] ، والنــاتج الدلالي يرتدُّ من دلالة الاستعلاء الملازمة للمتكلم ، وينقُلها إلى المتلقي ، بحيثُ تتحركُ الدِّلالات في نِطاق الوظيفة الطلبية ، وتتجهُ بؤرتها إلى المتلقي مباشرة .

- **بنية النداء** :

والوظائف الدلالية للمنادى تجعل المعاني الوضعية تتحول من البِنية الــسطحية في حالة المعنى الأصلي التقريري إلى البنية العميقة في حالة أكثر كثافة وعمقاً؛ لتنتج وظائف انفعالية ، تعبر عن انفعالات المتكلم .

فمن الوظائف الدلالية للنداء الإغراء ، حيث تتحرك دلالة الإغراء في نطاق الوظيفة الطلبية ، لحث المتلقي على التمادي في فعله ، أو تعديله بما يتوافق مع مصلحة المتكلم ، وهنا يبرز دور المتكلم في هذه الدلالة ، " وهو سياق يتوجــه إلى المتلقي لحثه على لزوم شيء بعينه ، لكنَّ الغالب أنْ يستحضر هذا الــسياق المتكلم أيضاً ، ويستحضر معه الهوامش المــصاحبه ، نحــو حــضورشخص تصاحبه صفة إضافية هي (كونه مظلوماً) ، كما يصاحبه ســياق آخــر هــو (عرض شكواه) ، فيتوجه إليه المتكلم بالنداء (يا مظلوم) "[٢]، فليس القــصد طلب الإقبال كونه حاصلٌ ، وإنِّما الغرض إغراؤه على زيادة الــتظلم ، وبــث الشكوى ، وهنا ، يبرز دور المتكلم في هذه الوظيفة الدلالية.

وتأتي أهمية النِّداء من خلال وظيفة مرتبطة بالبعد الدلالي ، لتعلقها المباشر بالسامع تنبيهاً على الإقبلال ، فقد ميّز البلاغيون نتيجــة لاخــتلاف الوظيفــة الدلالية – وَفق الظروف وقرائن الأحوال– بين النداء والندبــة والاســتغاثة ، فالمنادى للحاضر الذي يسمع على سبيل الأمر والنهي ، والندبــة لمــن لــيس حاضراً ، على سبيل التفجع ، والثالث لمن ليس حاضراً كذلك ، لطلب المساعدة والمعونة ، وتتحرك دلالة النداء؛ فتنتج الوظيفة الانفعالية، لتعبر عن إحــساس المتكلم ، وانتباهه الدائم إلى من يناديه.

---

[١] أسامة البحيري ، تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ١٢٢.

[٢] محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية ، ص٣٠٠-٣٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمة البحث

توصل الباحث إلى أنَّ التجديد في البلاغة العربية من الوجهة النفسية ، يأتي من خلال تسليط الضوء على المعاني التي تمسك بالنص قبله وبعده ، وأشير هنا ، وأرى أنَّ إبراز الدلالة النفسية يظهر من خلال حضور المعاني النفسية بازدياد حضور المتكلم ، فالحوار الذي يدور بين المتكلمين لا يخفى على المتكلم والمتلقي، ولا على أحد من الناس .

وعند تناول المتكلم للفظ من الناحية النفسية ، فإننا نقف على الأبعاد النفسية التي تشير إلى الانفعالات المتنوعة التي توجه سلوك الإنسان بقصد إظهار ملامح وإشارات تستجيب لها النفس من الداخل ، سواء أكانت إرادية ، أم غير إرادية ، فتحديد موقع الدِّلالة النفسية ، هو مبحث الألفاظ الذي يحظى عند كثير من البلاغيين المحْدَثين ، وسر هذه الحفاوة في رأيي أنَّ التعامل مع النصوص مباشرة هو الأمر الذي أدَّى إلى ظهور هذه الوظيفة .

وتشمل الوظيفة النفسية العمليات التي تقوم على استدعاء الأفكار والتمثل لها، إضافة إلى المشاعر الانفعالية المختلفة التي يراد نقلها إلى ذهن السامع ، وهذه العمليات تظهر في الوظيفة النفسية ، مثلاً ، (أساءني غضبك) ، أي حرَّك مشاعر الإساءة ، وهذه دِلالة نفسية واضحة ، وطريقة خروج هذه الوظيفة عن طريق الإشارة من ملامح الوجه ، وأحياناً تاتي عن طريق صياغة الجملة ، وهذا برأيي أدق انواع الدِّلالات وأوضحها ، وبهذه الطريقة تظهر الوظيفة النفسية على أرض الواقع نتيجة وضوح الدِّلالة .

فمن العوامل التي تساعد على وضوح الوظيفة النفسية :

١- عوامل تحيط ببيئة المتكلم ، وتتعلق بتركيب الكلام .

٢- عوامل تتعلق بأسلوب الكلام ، وهو استخدام اللفظ على سبيل الحقيقة والمجاز ، فالكلام الذي يحمل في طياته أغراضاً أخرى خارج سياق مقتضى الحال ، كالسخرية والاستهزاء ، يختلف عمَّا لو كان خروجه مخرج الحقيقة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- عوامل تتعلق بالمتلقي ، حيث تتفاوت الدِّلالات النفسية ، بتفاوت ثقافة المتلقي ، أو الخبرة الحياتية .

ومن الفنون البلاغية التي تغذيها الوظيفة النفسية ، اللفظ والمعنى الواحد الذي يجلب العاطفة والخيال والفكرة ، فليست هذه الفنون متضادة بحيث لا يلتقي فن بآخر ، كلا ، فكل فن منها يتصل بالباقي أشد اتصال ، إذ تاتلف من عناصر واحدة .

فالبلاغيون بهذا الفهم بحاجة إلى إبراز النصوص التي كانت في التراث البلاغي ، وإخراجها إلى أرض الواقع بما يُسمى (الثوب النفسي) ، فمن يقدم لنا هذا الفهم ؟ ، وأي طريقة يجب ان نسلك .

وتكشف لنا الوظيفة النفسية ، التفسير النفسي للقرآن ، ولو لم يتنبه البلاغيون – منهم أمين الخولي - إلى أنَّ اتخاذ هذا الطريق في فهم الوظيفة النفسية ، هو جانب من جوانب الحياة الوجدانية ، في فهم القرآن وأغراضه ، ويكون المخرج لكثير من القضايا الخلافية بين المفسرين .

وبين البلاغة العربية والوظيفة النفسية صلة وثيقة ، فأساليب البلاغة العربية الجارية على ما النفس الإنسانية ، فينقل لنا المتكلم تلك المعاني النفسية ويخرجها على شكل قوالب لغوية .

ولمَّا كانت الوظيفة النفسية تمثل الوضوح في الأثر النفسي ، وتجسيد المعني وتشخيصها, فإنها لا تقف عند ذلك , بل تتضاعف دلالتها المعنوية النفسية , في الخيال الذي يبقي أثراً في النفس.

فالوظيفة الأولى للبلاغة هي الإقناع من طريق التأثير ، والإقناع من طريق التشويق ، ولذلك كان اتجاهها إلى تحريك النفس أكثر ، وعنايتها بتجويد الأسلوب أشد ، وربما جعلوا سر البلاغة في جمال الصياغة .

والوظيفة النفسية وظيفة الشعورية ، فيها العنصر هو الذي يدفع إلى التعبير, والتعبير يشمل كل صورة لفظية ذات دلالة على تجربة شعورية , ولا يقصد به مجرد التعبير, بل يتجاوز ذلك إلى رسم صورة لفظية موحية مثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هنا ، فالوسائل التي أراها تساعد على تحقيق الوظيفة النفسية أن:

أ- نستخدم الكلمات المألوفة ، محدودة المعنى ، بحيث تكون قريبة إلى النفس.

ب- نستخدم الكلمات الوصفية التي تعد في جمال الأسلوب ، مثل تلك التي تصور مشاهد ، أو حوادث تلفت النفس .

و ينبغي عند النظر إلى التجديد البلاغي في الوظيفة الدينية ، أن تهتديَ تلك الوظيفة بمألوف استعمال الألفاظ والأساليب ، وذلك بعد تحديد الدِّلالة اللغوية ، وهذا هو الذي بنت علية بنت الشاطئ دراستها في الوظيفة الدينية.

وعند توجيهنا للوظيفة الدينية من وجهة التجديد نرى أنَّ هذه الوظيفة تؤثر على المؤمنين بتأثير روعة القرآن وبلاغته ، ودهشة نظمه وأسلوبه ، ومن جهة أخرى تؤثِّر في الكفار حيث يستولي على قلوبهم ، ويثير الدهشة والحيرة ، حتى أنَّهم وصفوا القرآن بالسحر .

وتناسق صفات الحروف وجرسها وحركاتها وظلِّها ، تناسق عجيب بما توحيه ألفاظ القرآن ، بحيث تميل إليه كل أذن ، وليس لذلك تعليل إلا لأنَّ من خصائص الوظيفة الدينية احتواءها على جرس فني عجيب امتاز به القرآن الكريم .

ونحن نلمس تنوعاً في آيات القرآن وسوره ، هذا التنوع يكون جزءاً من الوظيفة الدينية ، فتارة نجد المشاعر تلتهب بسبب أجواء الموضوعات المقروءة، وفي آيات أخرى نجد أنّ المشاعر حقيقية ، فتبقى الوظيفة متذبذبة بين ارتفاع وانخفاض .

والوظيفة الدينية تعتمد على فهم ما حول النص ، من أسباب نزول ، وما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن ليساعد في بروز الوظيفة الدينية .

ومما له علاقة بالوظيفة الدينية التراكيب البلاغية ، التي تنظم الجملة في السياقات التي يستحسن فيها ، ذلك لأن الجملة تشتمل على أجزاء تعبيرية عن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفكرة ، وإذا كان المتكلم في اللغة الاعتيادية غالباً ما يستوحي من أجزاء الجملة كافة من أجل إيصال فكرة مفهومة للآخرين .

قد نسأل أنفسنا هل نحن بحاجة إلى وظيفة دينية ؟ ، وما هو وجه الحاجة التي يمكن أن تقدمه الوظيفة الدينية في فهم كتاب الله ، فالباحث يميل إلى الإجابة عن هذا التساؤل ، بأنَّ الوظيفة الدينية تسهم في إبراز مفهوم الإعجاز القرآني، وتكشف عن القيم الإنسانية في النص القرآني ، فمعجزة القرآن معجزة خالدة، حيث يتم تحويل الوظيفة إلى شيء إيجابي في حياة الفرد ، وكذلك اتخاذ الوظيفة الدينية منطلقاً لفهم النص القرآني ، فخير معين لفهم النص هو النص ، وعلى دارس القرآن أنَّ يحدد الأغراض من حيث تكامل الوظيفة الدينية مع الوظائف الأخرى التي يتعرض لها النص.

فمن الوسائل التي أراها تساعد على تحقيق الوظيفة الدينية الأسس الآتية :

١- التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه ، فيجمع كل ما في القرآن منه ، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك.

٢- فهم دلالات الألفاظ بأن يضع الباحث معاجم العربية وكتب التفسير في خدمة هذا المنهج .

٣- فهم أسرار التعبير ، وذلك بالاحتكام إلى سياق النص الوارد فيه ، والتزام ما يحمله نصاً وروحاً ، والباحث هنا ينتفع بجهود المفسرين، إذ يعرض أقوالهم على القرآن الكريم فيقبل منها ما يحتمله نصاً وسياقاً.

٤- البقاء في إطار النص القرآني وبيان دلالته من خلال النص نفسه ، مع الاستئناس بآراء المفسرين التي تلقي ضوءاً على بلاغة القرآن الكريم وتتناسب مع بلاغته ، وترفض ما عدا ذلك من آراء.

وتظهر الوظيفة الاجتماعية في البلاغة المعاصرة من خلال تحرك الدلالة من أماكنها الأصلية ، وما يصيب المفردات والتراكيب من تغير دلالي حولها إلى وضعها الذي آلت إليه ، فتوسعت الاستعمالات الوظيفية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاجتماعية إلى أكثر من مدلول ، وكما أن دلالة الكلمة يصيبها التغيير الدلالي ، فإن التراكيب تصيبها التغيير ، وأهم نوع من أنواع التغيير يصيب التراكيب الاصطلاحية ، هو توسع الدلالة .

وتنتج الوظيفة الاجتماعية من التعبيرات والأمثال التي تستخدم للتعبير عن المواقف المشابهة للموقف الذي نشأ فيه التعبير أو المثل ؛ ذلك لأنه يستطيع أن يقوم بالوظيفة الدلالية ، والتي تعبر عن هذا الموقف المشابه بطريقة مثالية ، لما له في حياة الجماعة اللغوية من وضوح دلالي ، فيستدعي الحاجة إليه .

ويهتم علم الدلالة فيما يهتم بالتعبيرات الاجتماعية ودلالاتها ، فإنك تستطيع أن تفهم بذلك عادات الشعوب وتقاليدهم وطرق عيشهم ، وجميع ممارساته الحياتيه .

ودِلالة الوظيفة الاجتماعية تظهر في اللغة كظاهرة اجتماعية تخضع لضوابط وعوامل اجتماعية ، منها علاقة المتكلم بالمستمع من حيث المكانة الاجتماعية، والجنس، والعمر ، والدين ، ومدى الألفة والتضامن ، إضافة إلى طبيعة موضوع البحث فالوظيفة الاجتماعية ، هنا ، تتبلور من خلالها علاقات المتكلم الاجتماعية توثيقاً أو تعديلاً عن طريق التأثير في الناس ، ويتحكم هذا النوع في بنية اللغة ، كون البنية اللغوية تتحدد في ظل الظروف الاجتماعية الملابسة للاستخدام اللغوي .

والوظيفة الاجتماعية تكتمل فيها الظروف ،عندما يتحقق وجود عناصر تجعل المقام مفهوماً ، فانت عندما تقول لضيفك : (أهلاً بالضيف) ، يختلف المقام الاجتماعي بتنوع المقامات الممكنة من مقام ترحيب إلى مقام توبيخ ، فقد لوحظ أن بعض الكلمات قد تغيرت دلالتها نتيجة الاستعمال الوظيفي الاجتماعي، إمّا أنها اكتسبت دلالة قوية وأصبح لها مدلول أرفع مما كان عليه ، أو أن هذه الدلالة تحولت إلى معنى أقل درجة مما كانت قبل الاستعمال السابق .

فالوظيفة الاجتماعية تشتمل على عنصرين لأداء تلك الوظيفة لا غنى له عن أحدهما :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- المعنى المقالي : المعنى الوظيفي + المعنى المعجمي + القرينة .

ب-ظروف أداء المقال السابق

والتجديد في الوظيفة الأدبية يشمل دراسة النص ، والهدف من النص ، والجو الذي يثيره، وأسلوب التعبير ، والأسلوب اللفظي ، مع ربط هذه الجوانب لتنتظم في إخراج الخصائص الفنية والفكرية للوظيفة الأدبية .

ويقتضي تحول البلاغة الجديدة في الواقع إلى علم النص يرتبط بمدى قدرة البلاغة في الثقافات المختلفة على إبداع نموذج جديد لتكوين الخطاب بكل أنماطه ، دون الاقتصار على نوع واحد منه، كما كانت تفعل البلاغة القديمة ، فهناك من يعيد قراءة البلاغة ليجعل منها علما وصفيا بحتا، في مقابل اتجاه آخر يعيد قراءتها ليقيم منها علما توليديا يبحث في كيفية الإنتاج الخلاق للنصوص؛ مما يفضي بها عندئذ إلى أن تصب في علم النص.

ولا يوجد فن أدبي إلا إذا أظهرت الكلمات انحرافا ما عن الطريقة المباشرة غير الحساسة في التعبير عن الفكر ، وعندما تمثل هذه الانحرافات عالما من العلاقات ، يختلف عن العالم العملي، عندئذٍ يستطيع الشاعر أن يمسك بشذرات من هذا العالم الفطري ، فينميها ويحولها إلى أدب نستطيع من خلاله أن نحلل جماليات سرده.

وتتميز الوظيفة الأدبية بكثافة شديدة يحتاج معها المتلقي إلى أن ينشغل بالعناصر المتعددة ، التي تشترك في تكوينه ، والجهات التي يتم بها انتهاك الأصل والعدول عنه ، ليقف أمام احتمالات دلالية تمليها طبيعة هذا الخطاب أو ذاك ؛ وهذه خصيصة شعرية تتميز بها الصياغة الأدبية.

ومعرفة الاستعمال الوظيفي للألفاظ تتم من خلال المعجمات ، وهي مهمة تتصل بالمعجم التاريخي ، والاستعمال الوظيفي ، والعرف المتبع ، وإتلاف الألفاظ بعضها مع بعض ، وربط ذلك بالغاية والمقصد ، والهدف والحاجة حتى يتم التوصيل والتأثير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وينبئ هذا الربط الواضح بين الوظيفية الأدبية والوظيفة الجمالية عن قوة الأسلوب ، ومراعاة المتلقي ، وسلامة التركيب ، وصحة المعنى ، ووضوح الفكرة ، وترسيخ المنطق ، وسلامة المنهج .

لقد حاولنا من خلال استثمار علم النص وتحليل الخطاب في تحليل الوظيفة الأدبية ، ولكن ثمة أمور تساعد في التجديد البلاغي ، وهي كالآتي :

١- عندما تؤدي الوظيفة الأدبية دورها ، فإن النص يمثل وحدة دلالية تؤدَّى خلال نص تواصلي .

٢- هناك قواعد نصية بجانب الوظيفة الأدبية ، من تركيب النص وتحليله ودراسته على الأساس الدِّلالي ، فهي وظيفة تسعى إلى وصف اللغة بشكل عام تؤدي الدور التواصلي في النص بين الدّلالة والتداول .

٣- تميل الوظيفة نوعاً ما إلى التحليل ، بحيث تتجاوز فيه حدود الجملة إلى وحدة أكبر ، فيحاول المتكلم بذلك الخروج من البلاغة القديمة ، والتوسع في التعامل مع النص انسجاماً وفهماً وتحليلاً ، تخرج به الوظيفة الأدبية عن دائرة الجملة إلى رحاب أوسع .

أما التجديد في البلاغة من حيث اللسانيات البلاغية يأتي من خلال دراسة الوظائف البلاغية باتصالها مع محيطها ، فإذا كانت بمعزل ، فلا تتحقق أهداف التعبير والتواصل وغايتها , ولا تفرق الأداءات المختلفة عن بعضها ؛ لأن اللغة واقع اجتماعي حي , وأبنيتها تحدد أولاً على أساس أنها علاقات وأنظمة داخلية تتأثر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية, ثم على أساس أنها وسيلة للتواصل , والفرق بين المناهج المختلفة إنما يمكن في مدى الإيمان بآثارها في الوظيفة .

فالنقلة النوعية كانت على يديِّ محمد عبد المطلب الذي اتخذ من الأنظار اللسانية الحديثة ، مفهوماً جديداً يستلزم إلمام لمتكلم والمخاطب بالمعايير التي تمكنه من إنجاز الكلام حسب المقام المنجز ، فكشفت لنا هذه المحاولة ثراء البلاغة العربية القديمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبهذا حولت الوظيفة البلاغية وجهة البحث من موضوع المعرفة المتمثل في اعتبار اللغة تراكيب ودلالات ، إلى فاعل المعرفة المتمثل في اعتبار اللغة خطاباً ولفظاً وإنجازاً , أي حولته في نهاية الأمر إلى وجود الإنسان في لغته.

لقد بدأ البحث الدلالي في العصر الحديث بمنهج وصفي يعاين جزئيات الظاهرة اللغوية معاينة وصفية تعتمد طريقة الملاحظة والتحليل فالاستنتاج ، وهي طريقة تعد امتداداً لمنهج البحث اللغوي القديم.

ثم ارتقى الدرس الدلالي إلى مرحلة محاولة التنظير والتقعيد ، فغدا يعتمد على المنهج المعياري ، وذلك لنزوع الباحثين اللغويين نحو تشكيل معالم مشروع دلالي بدءاً ببلورة جهود السابقين في ميدان البحوث اللغوية المختلفة، وارتقاء إلى بناء هيكل نظري ينظم الركام الذي هو هيئة المعلومات السابقة، وبهذا تغدو الدراسة مقدمة لتاليات لها فيدفع العلم خطوات إلى حقول جديدة .

هذا التناول اللغوي الموسوم بالتحليل العميق لبنية اللغة الداخلية ، يبين المدى الذين توصلت إليه الدراسات اللسانية والدلالية في البلاغة للعصر الحديث ، فلم تعد الدراسة تكتفي بالوصف السطحي للظاهرة اللغوية فحسب ، وإنما تلاقح العلوم الحديثة من فلسفية ونفسية واجتماعية ، أثرى المنهج اللغوي المعتمد في استنباطات سنن اللغة وقواعد نظامها، وتمكن العلماء معه إلى تحديد وظائف اللغة حسب العملية التواصلية، ويمكن القول أن البلاغة العربية بوجه عام تؤدي أربع وظائف، هي كالاتي :

١- الوظيفة النفسية : وهي الوظيفة التي تتوافر في طبيعة النفس الإنسانية، وتتراءى لنا من خلال مظاهر شتى تتعاقب عليها فكراً وعاطفةً وإرادة.
٢- الوظيفة الدينية : وهي الوظيفة التي تظهر مدى انسجام النص القرآني ليحث المتلقي على إنجاز الغرض الديني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- الوظيفة الاجتماعية : وهي تعني إشارة الوظيفة إلى محتوى معين لإيصاله إلى أذهان الآخرين وتبادل الرأي معهم ، من حيث الغرض البلاغي المراد توصيله إلى السامع ، كما يحدث في إتصال الناس ببعضهم بوسائل مختلفة .

٤- الوظيفة الأدبية : وهي التي تشير فيها الوظيفة إلى موقف المرسل من مختلف القضايا التي يتحدث عنها ، ذلك أن البلاغة قد تتخذ طابعاً أدبياً في التعبير عن الأدب ، يهدف من خلاله التعبير عن المشاعر ، أو تحرسك المشاعر في اتجاه الشخص المتلقي .

هذه الوظائف الأربع ، هي التي تتمحور في إطارها العملية الإبلاغية التي تتخذ اللغة كخطاب يؤدي الدِّلالات المقصودة في الأحوال العادية ، وهي تشير إلى مدى العمق العلمي التحليلي الذي سارت عليه الدراسات اللغوية الحديثة ، من أجل إبراز القيم الجوهرية في اللغة باعتبارها أهم نظام للتواصل.

تقوم الوظائف البلاغية على أساس تحديد العلاقة بين الدال والمدلول ، وهي علاقة لا يمكن ضبطها إلا إذا تعرفنا على طبيعة كل من الدال والمدلول وخواصهما ، وفي هذا الإطار فإن الدال اللغوي لا يمكن بحال من الأحوال أن يحيلنا على الشيء الذي يعنيه في العالم الخارجي مباشرة ، وإنما مروراً بالمدلول أو المحتوى الذهني الذي يرجعنا إلى الشيء الذي تشير إليه العلامة اللسانية

وغدت الوظيفة البلاغية متشعبة ، فمن ذلك أنْ اهتدوا إلى وضع قواعد سلامة التركيب ،وسلامة الدلالة ، مستوحين ذلك من قواعد الإسقاط ، فلكي يؤدي التركيب الدلالة المعنية ، وجب أن يكون سليماً في عناصره ، وكذلك الشأن لسلامة الدلالة في البنية السطحية .

فالوظائف البلاغية الحديثة تهدف أساساً إلى التعرف على القوانين التي تشرف على النظام اللبلاغي ، وذلك بتحليل نصوص لغوية بقصد ضبط المعاني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختلفة بأدوات محددة ، وفي هذا سعي إلى تنويع التراكيب اللغوية لأداء وظائف بلاغية دلالية معينة، وهذا التنويع هو الذي يثري اللغة البلاغية إثراء يحفظ أصول هذه اللغة ولا يكون حاجزاً أمام تطورها وتجددها.

وإلى هذه السنن الوظيفية ذاتها أشارت اللسانيات الحديثة عن البنية السطحية والبنية العميقة للبلاغة ، محدداً مسألة الأداء الكلامي ، التي تتيح للفرد التوصل إلى نسج جمل كثيرة وجديدة ، بواسطة ما يحمل ذهنه من قواعد وسنن لغوية.

فالبِنى السطحية تظهر نتيجة آلية وميكانيكية لبني كانت في الأعماق ودفعتها اللغة إلى السطح ، ويبدو أنَّ البِنى العميقة هي أسس التفكير وهي التي تستوعب المفاهيم ، وأنَّ البِنى السطحية تقوم فقط بصوغ المفهوم على شكل جملة أصولية، ويبدو أن هناك تماثل بين هياكل اللغة وهياكل الذهن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصة

تهدف هذه الدراسة إلى تبيُّن الوظائف الدلالية للنظام البلاغي ، وتوصيفه من حيث : عنايتهما بالمتكلم والمتلقي ، والشكلية والوظيفية ، واستعراض الدلالات البلاغية في كتب البلاغة المعاصرة ، ومتابعتها وما يطرأ عليها من تغيير في المعاني .

والذي دعا إلى دراسة تلك الوظائف التي ينتظمها علم المعاني ، هو إظهار مع الأخذ بعين الاعتبار الوظيفة الدلالية من خلال معنيين : المعنى العام الذي عرفه البلاغيون المحدثون ، والمعنى الخاص تحديداً من خلال الوظيفة الدينية والنفسية والأدبية والاجتماعية .

وجاء تقسيم البلاغيين للدلالة إلى قسمين :

أ- الدِّلالة الأصلية : وهي دلالة التركيب الحقيقي للمعنى ، وفيها ينتقل الذهن من اللفظ إلى المعنى انتقالاً مباشراً ، وهذه الدِّلالة لا تختلف وظيفتها من جيل إلى جيل ، وتشمل : الطلب ، والخبر ، والتنبيه .

ب- الدلالة الخاصة : وتنتج من خلال علاقات التفاعل بين النحو والبلاغة، ومن خروج عن مقتضى الظاهر للمعنى الأصلي ، وهي ليست جزءاً من اللفظ ، بل هي ملازمة لها ، ويشعر فيها المتلقي من النص دون ان يدل عليها بحرفيته.

وبذلك نستطيع تحديد الوظيفة الدِّلالية في البلاغة العربية من عدة أمور ، هي :

أ- الدقة في الدِّلالة على الوظيفة بحيث لا يؤدي إلى لبس في الفهم .

ب- قدرة الدلالة على استخدام الألفاظ السهلة دون التعقيد الذي يفسد عملية التلقي .

ج- استخدام الدلالة من خلال الموضوع الذي تنتمي له اللفظة دون الإغراق في التعقيد ، بل يجب الالتزام بموضوع الوظيفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي غضون ذلك توصلت إلى عدد من النتائج ، لعل من أبرزها :

* في الفصل الأول :

١- حظيت دراسة الدِّلالة باهتمام كبير من قبل البلاغيين القدامى في النظرية البلاغية العربية في التراث منذ وقت مبكر ، فأبدوا في دراستهم رؤى متكاملة وشاملة ، التقت مع النظرية اللسانية الحديثة ؛ فأمكننا القول أن النظرية البلاغية القديمة نظرية قائمة بذاتها ، وصالحة لأن تكون رافداً مهماً من روافد علم البلاغة الحديث ، وهذا يعني أن الوظائف البلاغية لم تكن غائبة عن الدراسات البلاغية القديمة .

٢- وجدنا أنَّ البلاغيين العرب المحدثين وعَوا مفهوم النظام الدِّلالي للبلاغة العربية ، ومستوياته التي تكوِّن البنية اللغوية ، وبينوا الأثر الدلالي في البنية البلاغية ، فالبلاغيون المحدثون يربطون بين الوظيفة البلاغية على أساس عملية التواصل .

* في الفصل الثاني :

٣- أدرك البلاغيون ، مفهوم الوظيفة البلاغية ، وفرقوا بين المعنى المرتبط بين المعنى الدلالي الناتج عن التراكيب البلاغية ، والمعنى الدلالي المرتبط بالقواعد النحوية .

٤- وجدنا أن ظهور الوظيفة الدِّلالية للبلاغة العربية على المستوى الوظيفي لا يعطينا إلا معنى المقال أو المعنى الحرفي أو معنى ظاهر النص، وهو معنى فارغ تماماً من محتواه ومنعزل عن كل ما يحيط به من القرائن ذات الفائدة في تحديد المعنى ، وهذا يقودنا إلى التوسع أكثر عن النظام الصوتي ، والنظام الصرفي ، والنظام النحوي ، والمعجم ، والدلالة .

٥- بينت الدراسة ، بما لايدع مجالاً للشك ، أنَّ الوظائف في البلاغة العربية لم تكن شكلية خالصة ، وإنما امتدت تحليللاتهم إلي البعد الدلالي ، بالقدر الذي يتواءم مع دراسة البلاغة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* في الفصل الثالث:

٦- الوقوف على الأغراض البلاغية للوظيفة الدينية ، مع ملاحظة التنوع في سر الدِّلالات القرآنية ، ومحاولة معرفة سر اختيار أسلوب التقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير ، فالضابط في تلك الوظيفة استخراج دلالاتها .

٧- بينت الدراسة أن الوظيفة النفسية ضرورية لفهم النص البلاغي ، فحين ندفع في تطبيق النص على النفس ، أو تحليل الوظيفة المبني على النظريات الحديثة ، تستوي فيها دلالة النص الجيد ، ودلالة النص الرديء، ومن هنا ، وجدنا كل الدراسات المستفيدة من الوظيفة النفسية تحاول الولوج إلى النص وإخراج ما فيه من إبداع، وما فيه من إشراقة تحبب من خلالها هذه البلاغة وتوصلها إلى القلوب ، والتي هي سر خلود البلاغة ومصدر تأثيره .

٨- وجدنا أنَّ حاجة المتلقي تزداد يوماً بعد يوم للوظيفة الدينية ، فهي التي ترشد المتكلم إلى الطريقة السليم في التعامل مع الآخرين ، فوجود هذه الوظيفة يعين الداعية على فهم الطريقة التي يخاطب بها الآخرين ، فيختار لذلك المقام أفضل الكلام بما يناسب المتلقي وفهمه.

٩- يمكن فهم الوظيفة الاجتماعية للبلاغة العربية المعاصرة ، من خلال السياق الخارجي الذي يتغير بالمؤثرات الخارجية للنص البلاغي ، فالمتكلم يجب أن يراعي انتقاء الألفاظ ؛ لإنه يتضمن الواقع الفعلي للنص، والزمان والمكان ، وأحوال المتلقين ، وهذا كله من مستلزمات مطابقة الحال للوظيفة الخارجية ، ويأتي على مستويين ، هما :

أ- المستوى الخارجي : وهي الوظيفة الاجتماعية التي تؤدى في البيئة المحيطة بظروف العمل الأدبي المتضمن (المتفنن، والمتلقي ، والواقع الخارجي).

ب- المستوى الداخلي : وهي الوظيفة الجمالية التي تدرس البيئة الداخلية للنص البلاغي ، ومكوناته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠- الوظيفة الأدبية للبلاغة العربية من خلال علم النص تنطلق من افتراض الانسجام داخل النص الأدبي ، بمعنى آخر أنَّ دراسة النص تعتمد على الجانب النظري والاكتفاء في الجانب التطبيقي بالتعامل مع نصوص بسيطة وقصيرة مقتطعة من سياقاتها ، فضلاً عن تركيزها على نوعين من النصوص : التخاطبي والسردي ، ممَّا أدى إلى عدم التوصل إلى نتائج في تحليل النصوص الطويلة.

١١- لم يهتم علم النص وبلاغة الخطاب بمراعاة السياق والمقام والمستوى التداولي اهتماماً كبيراً ، وكانت المسافة واسعة ، فأدرك البلاغيون أن النتائج التي يتوصل لها عن طريق هذا العلم هي المساهمات في اجتماع تياري النحو والبلاغة في تشكيل (علم المعاني) في صياغة مبادئ ربط النص بالسياق والمقام .

١٢- تعميق البحث البلاغي للوظائف الدِّلالية ، مكَّن من تجاوز البنى السطحية لهذه اللغة إلى بنى عميقة تكشف عن الشبكة الداخلية ، وتستمر معها عملية التواصل والإبلاغ ، إذ ليس للساني من مهمة في خاتمة المطاف ، سوى استنباط الشبكة التصنيفية التي تقوم عليها الظاهرة اللغوية .

١٣- استطاعت الدراسة أن توظف اللسانيات في الوصول إلى الوظائف البلاغية ، فبالرغم من أنَّ بعض المُحدثين لم يقرؤوا التراث قراءة منصفة، إلا أنَّ الدراسة خلصت إلى أنَّ الوظائف البلاغية عند المحدثين العرب ، من خلال مقارباتهم ، قطع شوطاً في سبيل التأطير والمنهجية العلمية القائمة على أسس لسانية حديثة ، وهو ما تمثله مقاربة محمد عبد المطلب ، مما يعني أنَّ دراسة البلاغة العربية أمر مشروع وضروري ، لما تستلزمه الدراسة اللغوية من التواصل بين المناهج والأنظار المختلفة ، بشرط ان تبقى الإفادة في إطار معين دون المساس بروح التراث البلاغي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر

القران العظيم .

ابن الأثير ، ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزري / ت٦٣٧هـ/، **المثل السائر** ، ط١، جزءان في مجلدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٩٨م.

امرؤ القيس / ت٨٠ق.هـ / ، **ديوان امرئ القيس** ، ط٢ ، (تحقيق : حنا الفاخوري) ، دار الجيل – بيروت، ٢٠٠٥م .

التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر /ت ٧٩٢هـ / ، **شرح تلخيص مفتاح العلوم** ، ط١ ، جزءان في مجلدين ، (تحقيق : عبد الحميد هنداوي) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠١م .

ـــــــــــــ ، **مختصر المعاني في شرح تلخيص المفتاح** ، د.ط ، جزءان في مجلدين ، مكتبة البابي الحلبي – القاهرة ، ١٩٦٥م.

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر/ ٢٥٥هـ/، **البيان والتبيين** ، د.ط ، (٤) أجزاء في (٤) مجلدات ، (تحقيق: عبد السلام هارون) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ت) .

الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن /ت٤٧١هـ/ ، **أسرار البلاغة**، ط١ ، (شرح وتعليق وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف)، دار الجيل – بيروت ، ١٩٩١م .

ـــــــــــــ، **دلائل الإعجاز** ، ط٥، (تحقيق : محمود محمد شاكر) ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ٢٠٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن جني ، ابو الفتح عثمان /ت ٣٩٢هـ / ، **الخصائص** ، د.ط ، (٣) أجزاء في مجلد واحد ، (تحقيق : محمد علي النجار) ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ١٩٩٠م .

القزويني ، الخطيب / ت ٧٣٩هـ / ، **الإيضاح في علوم البلاغة** ، د.ط ، (شرح وتعليق محمد خفاجي) ، الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٨٩م .

الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم /٢٧٦هـ/، **أدب الكاتب** ، د.ط ، (شرح : علي فاعور) ، دار الكتب العلمية– بيروت ، (د.ت) .

الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر/ ت٦٠٦هـ/، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب** ، د.ط ، (٣٢) جزء في (١٦) مجلد ، (تحقيق : خليل محي الدين الميس) ، دار الفكر – عمان ، ١٩٩٥م .

رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، ط١ ، (تحقيق : عارف تامر) ، منشورات عويدات – بيروت ، ١٩٩٥م.

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله/ ت٧٩٤هـ/ ، **البرهان في علوم القرآن** ، ط١، (٤) أجزاء في مجلدين ، بيروت – دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٢م.

الزمخشري ، لأبي القاسم محمود بن عمر/ت٥٣٨هـ/، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل** ، ط٢ ، (٤) أجزاء في (٤) مجلدات ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠١م .

السُّبكي ، بهاء الدين أحمد بن علي ت/٧٧٣هـ/ ، **عروس الأفراح** ، ط١ ، (٣) أجزاء في (٣) مجلدات ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السكّاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد / ت ٦٢٦هـ/ ، **مفتاح العلوم** ، د.ط ، (تحقيق : عبد الحميد الهنداوي) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠٠م.

السيوطي ، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن أبن أبي بكر الخضيري / ت ٩١١هـ / ، **الاتقان في علوم القرآن** ، ط١، جزءان في مجلدين ، دار الجيل – بيروت ، ١٩٩٨م .

الشريف الجرجاني ، علي بن محمد /ت٨١٦هـ/ ، **التعريفات** ، ط١ ، مكتبة لبنان – بيروت ، ١٩٨٣م .

ـــــــــــــــ ، الإشارات والتنبيهات ، د.ط ، (تحقيق : عبد القادر حسن الطاهر) ، دار نهضة- مصر ، ١٩٨٢م .

العلوي ، يحيى بن حمزة ، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التنزيل** ، ط١ ، (٣) أجزاء في (٣) مجلدات ، دار الكتب العلمية- بيروت ، ١٩٨٠م .

الغزالي ، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي / ت ٥٠٥هـ/ ، **المستصفى من علم الأصول**، ط١ ، جزءان في مجلدين ، (تحقيق : محمد سليمان الأشقر) ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٩٩٧م.

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد /ت ٣٩٥هـ/ ، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها** ، د.ط ، المكتبة السلفية – القاهرة ، ١٩١٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـــــــــــــــــــ ، **مقاييس اللغة** ، د.ط ، (٦) أجزاء في (٦) مجلـــدات ، (تحقيق : عبد السلام هارون)، الدار الإسلامية – بيروت ، ١٩٩٠م.

القرطاجني ، أبو الحسن حازم / ت ٦٨٤هـــ /، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ط١ ، دار الكتب الشرقية - تونس ، ١٩٦٦م .

القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق /ت٤٥٦هـــ/، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه** ، ط١، جزءان في مجلد واحد ، (تحقيق : محمد عبد القادر عطا) ، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠١م .

مسكويه ، أبو علي أحمد بن يعقوب / ت ٤٢١هـــ/ ، **الهوامـــل والـــشوامل** ، ط١، (تحقيق : سيد كردي) ، دار الكتب العلمية– بيروت ، ٢٠٠١م .

ابن منظور ، جمال الدين الأنصاري / ت ٧١١هـــ/ ، **لـــسان العـــرب** ، د.ط، (١٨) جزء في (١٨) مجلد ، دار صادر – بيروت ٢٠٠٠م .

• قائمة المراجع

أمين ،بكري شيخ ، (١٩٧٩م) ، **البلاغة العربية في ثوبهـــا الجديـــد** ، ط١ ، لبنان - مطبعة دار العلوم .

استيتية ، سمير ، (٢٠٠٢م)، **اللغة وسيكولوجية الخطـــاب بـــين البلاغـــة والرسم الساخر** ، ط١، بيروت - المؤسسة العربية .

ـــــــــــــــــــ ، (٢٠٠٥م) ، **اللـــسانيات** ، ط١ ، إربـــد - عـــالم الكتـــب الحديث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إسماعيل ،عز الدين ، (١٩٨٤م) ، **التفسير النفسي للأدب** ، ط٤ ، القـــاهرة- دار غريب .

أنيس ،إبراهيم ، (١٩٥٨م) ، **دلالة الألفاظ** ، ط١ ، القاهرة - مكتبة الأنجلـــو المصرية.

البحيري ، أسامة ، (٢٠٠٠م)، **تحولات البنية في البلاغـــة العربيـــة** ، ط١ ، القاهرة - دار الحضارة للطبع والنشر والتوزيع .

بدوي ،أحمد أحمد ، (١٩٧٨م)، **من بلاغة القرآن** ، د.ط ، دار نهضة مصر – القاهرة.

بِشر ،كمال ، (١٩٩٨م)، **دراسات فـــي علـــم اللغـــة** ، ط١ ، القـــاهرة - دار غريب.

البياتي ،سناء ، (١٩٩٨م) ، **نحو منهج جديد في البلاغـــة والنقـــد** ، ط١ ، بنغازي - جامعة قاريونس .

الجندي ،درويش ، (١٩٦٢م) ، **علم المعاني** ، ط ٢ ، القاهرة - مطبعة نهضة مصر .

ـــــــــــــ ،(١٩٨٢م) ، **معجم علم اللغة النظري** ، ط١ ، بيـــروت- مكتبة لبنان.

أبو حاقة ، أحمد ، (١٩٨٨م)، **البلاغة والتحليل الأدبي** ، ط١ ، بيـــروت - دار الملايين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حبلص ،محمد يوسف ، (١٩٩٤م) ، **من أسس علم اللغة** ، ط١ ، القـــاهرة - دار الثقافة العربية .

حسان ، تمَّام ، (١٩٨٢م) ، **الأصول** ، ط١ ، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ـــــــــــــــــ،(١٩٧٣م) ، **اللغة العربية معناها ومبناهـــا** ، د.ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة.

حسين ،عبد القادر ، (١٩٧٧م) ، **فن البلاغـــة** ، د.ط ، القـــاهرة - مطبعـــة الأمانة .

حمودة ،طاهر سليمان ، (١٩٨٢م) ، **ظاهرة الحذف في الـــدرس اللغـــوي** ، ط١ ، الإسكندرية - الدار الجامعية .

ـــــــــــــــــ ، (١٩٨٣م) ، **دراسة المعنى عند الأصـــوليون** ، ط١ ، الاسكندرية -الدار الجامعية للنشر .

خفاجي ، محمد عبد المـــنعم ، (١٩٨٠م) ، **نحـــو بلاغـــة جديـــدة** ، ط١ ، القاهرة- مكتبة غريب .

خلف الله ، محمد ، (١٩٤٧م) ، **من الوجهة النفـــسية فـــي دراســـة الأدب ونقده**، د.ط ، القاهرة - لجنة التأليف والترجمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـــــــــــــــ ،(١٩٨١م) ، **اللغة والدِّلالة** ، د. ط ، دمشق -اتحاد الكتاب العرب .

الخولي ، أمين أنور ، / ت١٩٦٦م/ ، (١٩٦١م)، **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب** ، د.ط، القاهرة - دار المعرفة .

الخولي ، محمد علي ، (٢٠٠١م) ، **علم الدلالة (علم المعنى)** ، ط١ ، عمان- دار الفلاح .

الداية ، فايز ، (١٩٨٥م) ، **علم الدلالة العربي (النظرية والتطبيق)** ، ط١، دمشق - دار الفكر .

أبو ديب ، كمال ، (١٩٧٩م) ، **جدلية الخفاء والتجلي** ، د.ط ، بيروت- دار العلم للملايين .

ابن ذريل ، عدنان ، (١٩٨٠م) ، **اللغة والأسلوب** ، ط١ ، دمشق -منشورات اتحاد الكتاب العرب.

راغب ،عبد السلام أحمد ، (٢٠٠١م) ، **وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم** ، ط١ ، حلب - فُصلت للدراسات والترجمة والنشر .

الرافعي ،مصطفى صادق ، /ت ١٩٣٧م/ ، (د.ت) ، **تاريخ آداب العرب** ، د.ط ، بيروت - دار الكتاب العربي .

ربيع ، محمد أحمد ، (١٩٩١م)، **علوم البلاغة العربية** ، ط ١، عمان- دار الفكر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزوبعي ،طالب محمد ، (١٩٩٧م) ، **علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين**، ط١، بنغازي - دار الكتب العلمية .

الزيات ،أحمد حسن ، (١٩٦٧م)، **دفاع عن البلاغة** ، ط٢ ، القاهرة - عالم الكتب.

زكريا ، ميشال ، (١٩٨١م) ، **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)** ، ط١ ، بيروت -المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

سامرائي ،صالح ، (١٩٧٧م) ، **تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية** ، د.ط، بغداد - المكتب الإسلامي .

السعران ، محمود ، (--١٩م) ، **علم اللغة** ، د.ط ، بيروت - دار النهضة العربية .

أبو شادي ، مصطفى عبد السلام ، (١٩٩٢م) ، **الحذف البلاغي في القرآن الكريم** ، القاهرة - مكتبة القرآن للطبع .

شاهين ،عبد الفتاح ، (١٩٨٣م) ، **المعاني في ضوء أساليب القرآن** ، ط٤، القاهرة - دار المعارف.

الشربيني ،عبد الرحمن ، / ت١٩٠٨م/ ، (١٩٠٥ م) ، **فيض الفتاح على حاشية شرح تلخيص المفتاح** ، القاهرة - إدارة أوقاف الحلمية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشرقاوي ،عفت ، (١٩٧٢م) ، **اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث** ، القاهرة - مكتبة سعد رأفت .

الشيخ ،عبد الواحد حسن ، (١٩٩٩م) ، **العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي** ، ط١، مصر - مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية .

طبانة ، بدوي ، (١٩٦٢م) ، **البيان العربي** ، ط٣ ، القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية .

طبل ، حسن ، (١٩٩٩م) ، **علم المعاني** ، د.ط ، المنصورة - مكتبة الإيمان.

عباس ،فضل حسن ، (١٩٩٢م) ، **البلاغة فنونها وأفنانها** ، ط٣ ، إربد - دار الفرقان .

عبد الجليل ،عبد القادر ، (٢٠٠٢م) ، **الأسلوبية وثلاثية الدوائر** ، ط١ ، عمان- دار صفاء للنشر والتوزيع .

ـــــــــــــــ ، (١٩٩٨م) ، **الأصوات اللغوية** ، ط١ ، عمان - دار صفاء .

عبد الرحمن ، عائشة ، / ت ١٩٩٨م/،(١٩٨٤م) ، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق** ، ط٢ ، القاهرة - دار المعارف .

ـــــــــــــــ ،(١٩٦٢م) ، **التفسير البياني للقرآن الكريم** ، ط٣ ، القاهرة - دار المعارف .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبد الله ، محمد صادق حسن ، (١٩٩٣م) ، **جماليات اللغة وغنى دلالاتها من الوجهة العقدية والفنية والفكرية** ، ط١ ، القاهرة - دار إحياء الكتب العربية .

عبد المطلب ، محمد ، (١٩٩٧ م) ، **البلاغة العربية (قراءة أخرى)** ، ط١، بيروت - مكتبة لبنان .

ـــــــــــــ ، (١٩٨٤م) ، **البلاغة والأسلوبية** ، ط٢ ، القاهرة- الهيئة المصرية للكتاب .

عبد الواحد ، وافي ، (د.ت) ، **علم اللغة** ، ، ط٢ ، القاهرة -مكتبة النهضة المصرية.

عتيق ،عبد العزيز ، (١٩٨٥م) ، **في البلاغة العربية (علم المعاني)** ، ط١، بيروت - دار النهضة .

عطية ،مختار ، (٢٠٠٤م) ، **علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)**، ط١، الإسكندرية - دار الوفاء .

عمايرة ، خليل أحمد ، (١٩٨٤م) ، **في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)** ، ط١ ، جدة - عالم المعرفة للنشر والتوزيع .

ـــــــــــــ ، (١٩٨٧م) ، **في التحليل اللغوي (منهج وصفي تحليلي)**، ط١ ، الزرقاء - مكتبة المنار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العمري ،محمد ، (١٩٨٦م) ، **في بلاغة الخطاب الإقنـــاعي** ، ط١ ، الـــدار البيضاء - دار الثقافة .

عمر ، أحمد مختار ، (١٩٨٢م) ، **علم الدلالة** ، ط١ ، الكويت - مكتبـــة دار العروبة للنشروالتوزيع .

أبو علي ، محمد بركات ، / ت٢٠٠٥ / ، (١٩٨٤م) ، **فـــي الأدب والبيـــان،** ط١ ، عمان - دار الفكر .

عيد ، رجاء ، (١٩٩٣م) ، **البحث الأسلوبي (معاصـــرة وتـــراث)** ، د.ط ، الإسكندرية - منشأة المعارف .

الفاخوري ،عادل ، (١٩٨٥م) ، **علم الدلالة عند العـــرب** ، ط١ ، بيروت- دار الطليعة .

فضل ، صلاح ، (١٩٨٥م) ، **علم الأســـلوب : مبادئـــه وإجراءتـــه** ، ط١ ، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الفهري ، عبد القادر الفاســـي ، (١٩٨٢م) ، **اللـــسانيات واللغـــة العربيـــة (نماذج تركيبية ودلالية)** ، ط١ ، المغرب - دار توبقال للنشر .

ـــــــــــــــ ، (١٩٩٦م) ، **بلاغة الخطاب وعلم النص** ، ط١، بيروت - مكتبة لبنان .

فيود ،بسيوني عبد الفتاح ، (٢٠٠٤م) ، **علـــم المعـــاني** ، ط٢ ، القـــاهرة- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـــــــــــــــــــ، (١٩٨٣م) ، **من بلاغة النظم القرآني** ، ط١ ، القاهرة - مطبعة الحسين .

قدور ، أحمد محمد ، (١٩٩٦م)، **مبادئ اللـــسانيات** ، ط١ ، دمـــشق - دار الفكر .

قطب ،سيد ، /ت١٩٦٦م/ ، (١٩٧٩م) ، **التصوير الفني في القــرآن** ، ط٥، بيروت - دار الشروق .

ـــــــــــــــــــ ، (١٩٧١م) ، **في ظلال القرآن** ، ط٧ ، بيروت - دار إحياء التراث العربي .

قلقيلة ، عبده عبــد العزيــز ، (١٩٨٧م) ، **البلاغــة الاصــطلاحية** ، ط١ ، القاهرة- دار الفكر العربي .

الكرمي ،حسن سعيد ، (٢٠٠٢م) ، **اللغــة نــشأتها وتطورهــا فــي الفكــر والاستعــمال** ، د.ط، عمان - وزارة الثقافة .

مبارك ، مبارك ، (١٩٩٥م) ، **معجــم المــصطلحات الألــسنية** ، ط١ ، دار بيروت - الفكر اللبناني .

المبارك ، محمد ، (١٩٦٨م) ، **فقــه اللغــة وخــصائص العربيــة** ، ط٣ ، بيروت- دار الفكر .

المبارك ،ناصر ، (٢٠٠٤م) ، **الظاهر اللغوي في الثقافــة العربيــة** ، ط١ ، بيروت - دار الكتب العلمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتوكل ،أحمد ، (١٩٨٤م) ، **الوظائف التداولية في اللغة العربيـــة** ، ط١ ، الدار البيضاء - دار الثقافة .

محمد ،خطابي ، (١٩٩١م) ، **لسانيات النص** ، ط١ ، المغــرب - المركــز الثقافي المغربي .

ابن مراد ، إبراهيم ، (١٩٩٧م) ، **مقدمة لنظرية المعجم** ، ط١ ، بيروت - دار الغرب الإسلامي.

المراغي ،أحمد مصطفى ، (١٩٨٦م) ، **علوم البلاغة** ، ط٢ ، بيروت- دار الكتب العلمية .

المسدَّي ،عبد السلام ، (١٩٨١م) ، **التفكير اللساني في الحــضارة العربيـــة** ، ط١ ، ليبيا - الدار العربية للكتاب .

ـــــــــــــــ ، (١٩٨٦م) ، **اللـــسانيات وأســـسها المعرفيـــة** ، ط١، تونس - المطبعة العربية .

مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، (١٩٧٢م) ، **المعجـــم الوســـيط** ، اســـتانبول- المكتبة الإسلامية.

المطعني ،عبد العظيم ، (١٩٩٢م) ، **خصائص التعبير وســـماته البلاغيـــة** ، د.ط ، القاهرة - مكتبة وهبة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملاح ،ياسر ، (١٩٩٣م) ، **المقدمة إلى علم المعنى في العربيـــة** ، ط١ ، عمان - دار الفرقان للنشر والتوزيع.

أبو موسى ، محمد ، (١٩٨٧م) ، **دلالات التراكيب** ، ط٢ ، القاهرة - مكتبـــة وهبه .

الميداني ، عبد الرحمن حسن ، (١٩٩٦م) ، **البلاغة العربية** ، ط١ ، دمشق- دار القلم .

ناجي ،مجيد عبد الحميد ، (١٩٨٤م) ، الأسس النفسية لأســـاليب **البلاغـــة** ، ط١، بيروت - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر .

الوعر ، مازن ، (١٩٨٨م)، **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث** ، ط١، دمشق -دار طلاس .

ـــــــــــــــ ، (١٩٨٧م) ، **نحو نظرية لسانية حديثة لتحليـــل التراكيـــب الأساسية في اللغة العربية** ، ط١ ، دمشق - دار طلاس .

- **المجلات:**

إسلام ،عزمي ، (١٩٨٥م) ، **مفهوم المعنى** ، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت ، الحولية (٦) ، الرسالة (٣١).

حسان ،تمَّام ، (١٩٨٧م) ، **المصطلح البلاغي القديم فـــي ضـــوء البلاغـــة الحديثة** ، مجلة فصول ، المجلد (٧)، العدد (٣و٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زكريا ،ميشال ، (١٩٨٢م) ، **المكون الدلالي في القواعد التوليدية التحويلية،** الفكر العربي المعاصر مركز الإنماء – بيروت ، العدد (١٨-١٩).

عياشي ،منذر ، (١٩٨٧م) ، **تشومسكي والنظرية التوليدية** ، مجلة البيان – الكويت ، العدد (٢٥٥).

عمايرة ،خليل ، (١٩٨٢م) ، **رأي في بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية في ضوء علم اللغة المعاصر** ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية – الكويت ، المجلد (٢) ، العدد (٨) .

عودة ،خليل ، (١٩٩٩م) ، **مستويات الخطاب البلاغي في النص الشعري،** مجلة جامعة النجاح ، المجلد (١٣)، العدد (٢) .

غلفان ،مصطفى ، (١٩٨٦م) ، **نحو علاقة جديدة بين اللسانيات ومناهج تحليل النص الأدبي** ، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الحسن الثاني الدار البيضاء ، العدد (٣).

فضل ،صلاح ، (١٩٨٤م) ، **علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة** ، مجلة فصول– القاهرة ، العدد (١).

قطب ، سيد ، (١٩٤٠م) ، **دلالة الألفاظ على المعاني** ، مجلة الثقافة – مصر، العدد (٧٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصلوح ، سعد ، (١٩٩٠م) ، **مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية** ، النادي الأدبي الثقافي – جدة ، المجلد الأخير ، العدد (٥٩).

أبو ناصر ، موريس ، (١٩٨٢م) ، **مدخل إلى علم الدلالة الألسني** ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد(١٨-١٩).

ناصف ، مصطفى ، (١٩٨١م) ، **النحو والشعر(قراءة في دلائل الإعجاز)**، مجلة فصول – القاهرة ، العدد (٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

THE ROLE OF ARABIC RHETORIC IN THE PRESENT

By
Ahmad Al sani

Supervisor
Dr . m . Aba Hamda

ABSTRACT

This study aims to expose the semantic function of the Arabic Rhetoric and the role of the speaker and the listener, A profound reading was carried out in modern books of Rhetoric to trace the phases of progress and contribution in meaning this implies the general meaning as notified by the modern Rhetoricians and the specific meaning linked with the religions psychological , literary and social functions.

The Semantic function in Arabic Rhetoric can be traced through the following items:

- To be specific in locating the meaning without any ambiguity.

- Adoption of clear diction .

- Adoption of the semantic meaning with reference to the topic without going afar.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit